

دوامات الشارع العراقي



شاکر عبد موسی

دوامات الشارع العراقي

دوامات

الشارع العراقي

شاكر عبد موسى

شاكر عبد موسى

تستعرض لكم دار نسومات الأدب للنشر الإلكتروني

بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : كتاب

المؤلف: شاکر عبد موسي

غلاف الكتاب: سلمى سامي

مؤك اب الكتاب: جيهان سمير

تنسيق داخلي: رويدا رمضان

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسومات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

[نسومات الادب للنشر الإلكتروني](#)

المقدمة

تشهدُ الساحةُ العراقيةُ اليومَ العديداً من التحدياتِ والمشاكلِ، ومن بينِ هذه المشاكلِ تأتي البطالةُ كواحدةٍ من أبرزِ المشاكلِ التي تعصفُ بحياةِ المواطنينِ وتؤثّرُ على جودةِ حياتهم.

وقد عانى المجتمعُ العراقيُّ المعاصرُ العديداً من المشكلاتِ الأخرى التي تؤثّرُ سلباً على حياةِ الناسِ وتعيقُ التقدّمَ والازدهارَ. وتعودُ أسبابُ هذه المشكلاتِ إلى عدّةِ عواملٍ، منها الوضعُ السياسيُّ والاقتصاديُّ والاجتماعيُّ، ومنها النزاعاتُ الداخليّةُ والخارجيّةُ التي تعصفُ بالبلادِ منذ سنواتٍ طوالٍ.

سنتناولُ في هذا الكتابِ بعضًا من أبرز تلك
المشكلاتِ وسبلِ التغلّبِ عليها، والتي أطلقنا عليها
دواماتِ الشارعِ العراقي؛ لأنّها تُصيبُ رأسَ الإنسانِ
أولًا ثم بقيةَ جسده.

-الجمع: دُوام ودوامات.

-الدَّوامة: لعبةٌ مستديرةٌ يُلْفُها الصبيُّ بخيطٍ ثم
يرميها على الأرضِ فتدور.

-الدَّوامة من البحرِ أو النهرِ: وسطُه الذي تدومُ
عليه الأمواجُ بسرعةٍ وبشدّة، وهي مستديرةٌ
وأعلاها متسعٌ وأسفلها ضيق.

-فلانٌ يعيشُ في دوامةٍ: تنتابه مشكلاتٌ تسبّبُ له
قلقًا واضطرابًا.

وأحد أبرز تلك الدوامات التي يعاني منها المجتمعُ العراقيُّ هو انعدامُ الأمنِ والاستقرار؛ فالعراقُ يشهدُ منذ سنواتٍ طويلةٍ نزاعاتٍ مسلحةً وانفلاتًا أمنيًا، وهذا ما يؤثرُ سلبيًا على حياةِ الناسِ ويعيقُ التطوُّرَ والاستقرارَ الاقتصاديَّ. فالأمنُ هو الأساسُ لأيِّ تقدُّمٍ وتنميةٍ في المجتمع، ودونَه يكونُ من الصعبِ تحقيقُ أيِّ تقدُّمٍ يُذكر.

في إطارِ الوضعِ الاقتصاديِّ، تتسبَّبُ مشكلةُ البطالةِ في العديدِ من الإشكالياتِ الاجتماعيةِ والنفسيةِ، إذ يصبحُ من الصعبِ على الأفرادِ توفيرُ مستلزماتِ حياتهم الأساسيةِ، وهذا ما يؤثرُ بشكلٍ كبيرٍ على الأسرِ والأفرادِ ويزيدُ من حدةِ الفقرِ والتفاوتِ الاجتماعيِّ في المجتمع.

من ناحيةٍ أخرى، تعاني المرأةُ العراقيةُ من مشكلاتٍ عدَّةٍ تتعلَّقُ بحقوقها ومكانتها في المجتمع. فرغمَ التقدُّمِ الذي حقَّقتهُ المرأةُ في العراقِ على مدى السنواتِ الأخيرة، إلَّا أنَّها لا تزالُ تواجهُ تحدياتٍ كبيرةً في مجالاتٍ مثل التعليم والعمل والمشاركة السياسيةِ الواسعة.

علاوةً على ذلك، تنشأُ العديدُ من المشكلاتِ الاجتماعيةِ والنفسيةِ نتيجةً للنزاعاتِ الداخليةِ والخارجيةِ في العراق؛ فالحروبُ والصراعاتُ تتركُ آثارًا سلبيةً عميقةً على الناسِ وتزيدُ من حدَّةِ التوترِ والتوتراتِ الاجتماعيةِ.

إضافةً إلى انتشارِ ظاهرةِ المخدِّرات، والفسادِ الإداريِّ والمالي، والترويجِ للماضي البعيد من قِبَلِ

بعض صغار رجال الدين، والإثراء الفاحش من قبل سارقي المال العام، والسلاح المنفلت لدى العشائر العراقية والفصائل المسلحة غير المرتبطة بالدولة.

إنّ دوامات المجتمع العراقي المعاصر تتطلّب جهوداً مشتركةً من جميع القطاعات والفئات الاجتماعية من أجل التغلب عليها. ويجب تعزيز وتقوية الأمن والاستقرار، وتوفير فرص العمل ومكافحة البطالة، وتحسين حقوق المرأة ومكانتها في المجتمع، وتعزيز الاندماج والتسامح بين الطوائف والأثنيات المختلفة.

علاوةً على ذلك، يجب إيجاد حلول للنزاعات الداخلية بشقّها القبلي والشخصي، وتعزيز

الحوار والتفاهم بين الأطراف المتحاربة، والعمل
على تقديم الدعم النفسي والاجتماعي للناس
الذين يعانون من تبعات الحروب والصراعات
الداخلية.

من المهم أن يتحد المجتمع العراقي المعاصر بكافة
طوائفه وقواه السياسية والدينية لمواجهة تلك
المشكلات وإيجاد الحلول اللازمة لها، وأن يعمل
الجميع على بناء مجتمع متماسك ومزدهر يتمتع
بالسلام والاستقرار الدائمين.

وختاماً، يجب أن تكون لدى الحكومة العراقية
الإرادة السياسية الراسخة لمعالجة مشكلة
دوامات الشارع العراقي، واتخاذ الإجراءات
الفعّالة والسياسات الملائمة والتعاون مع

الأطراف المعنية للحد من هذه المشكلة وتوفير بيئة

مرورية آمنة وسلسلة للمواطنين.

ومن الله التوفيق.

الكاتب / شاكر عبد موسى

نسمات الأدب

للتفكير

١- ماذا جرى بعد ٩ نيسان / ٢٠٠٣ في العراق

الجديد؟.

لم يكن التاسع من أبريل / نيسان عام ٢٠٠٣ يومًا عاديًا، بل كان يومًا مُفرحًا عند الكثير من العراقيين، ومُظلمًا لدى القلة من أعلام النظام البعثي والمستفيدين والنفعيين من النظام السابق. وهو اليوم الذي أُعلن فيه الاستيلاء على العاصمة بغداد من قبل قوات التحالف الدولي بقيادة أمريكا وبريطانيا، وبمساعدة وخيانة من كبار ضباط الجيش العراقي السابق في الحرس الجمهوري الخاص والمرتزقة المحترفين، بعدما انسحب كثير من الضباط والجنود الذين شاهدوا هول الصدمة، وضعف الإمكانيات، وعدم القدرة

على المواجهة، وأدركوا أنّ الأمور تتجه نحو
الخسارة، خاصّةً بعد أن اخترقت القوات
الأمريكية خطوط الاتصال مع عددٍ من القادة.

كانت أيام ٣ - ٥ أبريل/نيسان أيامًا حاسمةً في
معارك بغداد. إذ تحرّكت الدبابات الأمريكية من
جنوب بغداد باتجاه طريق الدورة ومسجد أم
الطبول، ثم طريق المطار والجانب الغربي من
منطقة الرضوانية إلى مطار بغداد الدولي،
مدعومةً بغطاءٍ جويّ كثيفٍ. كما اعتمدت
القوات الأمريكية على قدرتها الهائلة في الهجمات
الجوية لإرباك القوات المدافعة ومناورتها.

تمّ إنزال المظليين في مناطق جسر ديالى وجسر
دجلة وأبو غريب السريع، مع إبقاء طريق

الراشدية مفتوحًا للهرب من بغداد. وأدّت صعوبه
حركة القوات المدافعة إلى تعطيلها، مما جعلها
هدفًا سهلاً لهجمات الطيران الأمريكي.

وقع أول تماسٍ بين القطعات الأمريكية والقوات
المدافعة داخل بغداد على طريق الدورة - أم
الطبول، حيثُ استخدمت القوات الغازية
سياسة الأرض المحروقة بإطلاق النار على كل ما
يتحرك أمامها. ورغم المواجهة الشرسة التي
خاضها الحرس الجمهوري الخاص والأمن
الخاص في تلك المنطقة، وتدمير عددٍ من الدبابات
والمدرعات الأمريكية المتقدمة رغم الغطاء
الجوي، استمرّ الرتل الأمريكي باتجاه المطار، حيثُ
التقى بالرتل القادم من الرضوانية، لتدور هناك

أشرسُ معركةٍ استمرَّت ثلاثةَ أيامٍ بين كَرِّ
وفرٍّ. خلالَ تلكَ المعركةِ، استخدمتِ القواتُ
الأمريكيةُ القنابلَ المحرَّمةَ دوليًّا، مثلَ الفسفورِ
الأبيضِ والقنابلِ العنقوديةِ والقنابلِ التكتيكيةِ،
ليُعلنَ بعدها عن السيطرةِ على المطارِ، واستقرَّت
القواتُ الأمريكيةُ داخلَه، على الرغمِ من الخسائرِ
البشريةِ التي تكبَّدها المحتلُّ في البداية، اندفعتِ
القواتُ الأمريكيةُ صباحَ يومِ الاثنينِ ٧ نيسانِ نحوَ
عمقِ العاصمةِ بغدادَ، متقدِّمةً عبرَ طريقِ المطارِ
حتى وصلتْ إلى القصرِ الجمهوريِّ وساحةِ
الاحتفالاتِ، حيثُ تمركزتِ القواتُ هناكَ لفترةٍ
طويلةٍ. جاءَ الإعلانُ عن الاستيلاءِ على بغدادَ في ٩
أبريلِ/نيسانِ ٢٠٠٣، عندما وصلتِ الدباباتُ

الأمريكية إلى ساحة الفردوس في مشهدٍ دراماتيكيٍّ
مثير، حيثُ أُسقطَ تمثالُ رأسِ النظامِ وسطَ
تغطيةٍ مباشرةٍ من الفضائياتِ العالمية. ساهمتْ
القنواتُ الفضائيةُ العربيةُ، مثلَ الجزيرةِ
والعربيةِ، في نقلِ الحدثِ. هذا السقوطُ أفرحَ
الملايينَ من العراقيينَ الذينَ عانوا ويلاتِ الحروبِ
التي خاضَها دكتاتورُ العراقِ (١٩٨٠-٢٠٠٣) ضدَّ
جيرانه. وفي تلكَ اللحظاتِ، اختفى رأسُ النظامِ
وبطلُ التحريرِ الوهبيُّ صدامُ حسينُ المجيدُ عن
الأنظارِ. عمليةُ الفجرِ الأحمرِ، أو القبضُ على
صدامِ حسينَ (بالإنجليزية: Operation Red Dawn)،
كانتْ عمليةً عسكريةً نفَّذتها الولاياتُ
المتحدةُ، وألقيَ القبضُ فيها على الرئيسِ العراقيِّ

الأسبقِ صدامَ حسينَ في ١٣ كانونَ الأوّلِ /
ديسمبر / ٢٠٠٣، في قضاءِ الدورِ بمدينة تكريتِ /
محافظةِ صلاحِ الدينِ بالعراقِ، تمَّ القبضُ على
الرئيسِ العراقيِّ السابقِ نتيجةَ خيانةِ أحدِ المقرّبينِ
له لقاءَ جائزةٍ ثمينةٍ تلقّاها من الأميركيّان. هناك
من يقولُ: إنّ مَنْ أوْشى برئيسِ النظامِ السابقِ
روايتان: الأولى تشيرُ إلى مضيفه قيسِ النامقِ
وأخيه، والثانية إلى العقيدِ محمّدِ الإبراهيمِ. لكنّ
كلاهما، بحسبِ الرواياتِ، لم يفعلَا ذلكَ من أجلِ
المالِ، بل نتيجةَ الضغطِ والتحقيقِ الذي وصلَ
إلى النساءِ والتهديدِ بالأعراضِ، وفقَ ما رواهُ لي
أحدُ مقرّبيهم، رغمَ عدمِ قناعاتي التامّةِ بهذه
الرواياتِ. دخلتُ قوَّاتُ الاحتلالِ إلى بغدادَ

مستخدمة سياسة الأرض المحروقة، ومارست
القوة المفرطة ضدّ كلّ من يتحرّك أو يحاول
القيام بأيّ إجراء.

احتفل العديّد من العراقيين بسقوط النظام،
وبرز هذا الاحتفال بإسقاط تمثال الديكتاتور
وسط العاصمة بغداد. بدأت عملية الفرهود،
حيث جرى سرقة الموارد الحكومية، وتخریب
الممتلكات وحرقتها على أيدي بعض اللصوص
وضعاف الوطنيين. وقعت عمليات القتل
والاغتالات بحق الأكاديميين، والطيارين،
وأساتذة الجامعات، والقادة العسكريين، والرموز
الوطنية والدينية في جميع محافظات العراق. وفرّ
كثير منهم إلى إقليم كردستان العراق أو إلى دول

الجوار مثل سوريا والأردن، بمن فيهم عائلة
الرئيس وأبناء عمومته. هرب جميع قادة الحزب
الكبار من بغداد ومن مدنهم في المحافظات
العراقية، وارتدى بعضهم العباءة النسائية
للتخفي خوفاً من انتقام الجماهير الغاضبة. ابتهج
الكثيرون بقدوم قوات الاحتلال، وأطلقوا عليها
اسم الجيش الصديق أو جيش التحرير، واحتفلوا
بيوم سقوط بغداد، بل جعلوه في البداية عطلة
رسمية. لكن، بعد أن اتضح الاحتلال، تصاعدت
المقاومة من قبل الوطنيين ورجال الدين من
مختلف المجموعات العرقية.

وأصبحت مدينة الفلوجة في محافظة الأنبار أول
مدينة تنهض بعد الاحتلال. في 1 يناير/ كانون

الثاني ٢٠١٤، هاجم مسلحوثوارالعشائر
(التمردون السُّنَّة) مراكز الشرطة المحليَّة في
قضاء الفلوجة وسيطروا عليها دون مقاومة. ثمَّ
أعلن تنظيم داعش عبْر مكبِّرات الصوت في
الفلوجة سيطرته الكاملة على المدينة، ودعا
العشائر السُّنِّيَّة للانضمام إليه لمواجهة القوات
العراقية. خلال حرب العراق الأولى، كانت
الفلوجة المعقل الرئيسيَّ لجميع التنظيمات
السُّنِّيَّة المتطرِّفة، مثل تنظيم القاعدة. وقد شكَّل
سقوطها هذه المرة مشكلةً كبيرةً للحكومة
العراقية بسبب موقعها الاستراتيجيِّ القريب من
العاصمة بغداد ومطارها الدوليِّ.

أمّا معركة الفلوجة الأولى، فكانت نتيجة عدم التزام القوات الأمريكية بالاتفاق مع الأهالي بالبقاء خارج المدينة. إذ تمركزوا في إحدى المدارس، مما أثار مظاهرات قوبلت بالقوة، وأسفرت عن مقتل عددٍ من المتظاهرين. وردّ الأهالي بمهاجمة إحدى سيارات الشركات الأمريكية، وقتلوا أربعة منهم، ثمّ أحرقوا جثثهم وعلّقوها على الجسر الحديديّ. على إثر ذلك، اندلعت معركة الفلوجة. لم يكن تنظيم القاعدة أوّل الأمر لهم دورًا كبيرًا، وكان مجلس علماء الفلوجة صاحب القرار، وكان عبد الله الجنابي وعمر حديد من أبرز الوجوه، إضافةً إلى قادة وضباط من الجيش والحرس الجمهوري المنحلّ،

أبرزهم جاسم الفلاحي. حدثت معارك ضارية في
أحياء الجولان والصناعي، وتكبدت على أثرها
القوات الأمريكية خسائر فادحة ولم تستطع
الدخول إلى المدينة، ليتم إيقاف القتال بعد
مفاوضات قاسية، تم بعدها تسليم المدينة إلى
أبنائها. شارك في الدفاع عن المدينة فصائل ثورة
العشرين، والجيش الإسلامي، وأبناء العشائر،
والقوات المسلحة، وحتى فدائيون عرب
وغيرهم. أمّا المعركة الثانية، فقد اختلفت الموازين
عندما دخلت القاعدة وصفت القيادات
الحقيقية للمقاومة.

انسحب وانكفأ أغلب المقاومين لأنهم بدأوا بقتل
وتصفية المنتمين لأجهزة الدولة ومن يعمل مع

الأمريكان، وهذا ما كان مرفوضاً عند المقاومة من أبناء البلد. كذلك، التيار الصدريّ الشيعيُّ أعلن الحربَ على المحتلِّ، ودارت هناك معارك طاحنة في محافظات وسط وجنوب العراق، ومنها معركة النجف الشهيرة. وهي نزاع عسكريّ مسلح اندلع في ٤ نيسان ٢٠٠٤ واستمرَّ بشكلٍ متقطّعٍ حتى شهر آب من العام نفسه، بين التيار الصدريّ وجناحه العسكريّ جيش المهديّ، الذي يرأسه مقتدى الصدر، نجل المرجع الشيعيِّ محمد صادق الصدر، ضدّ القوات الأمريكية وقوات التحالف الداعمة لها في مدينة النجف وسط العراق بعد الغزو الأمريكيّ للعراق. اشتعلت شرارة المقاومة العسكرية المسلحة في معظم المناطق ضدّ

الاحتلال، خاصّةً في المنطقة الغربية وفي منطقة تُعرفُ بالمثلثِ السُّنيِّ (مثلثُ الموتِ).

وكانت المقاومةُ في البداية عرقيةً بحتةً. استمرت الحربُ عدّةَ سنواتٍ، حيث تغلّغت الجماعاتُ الإسلاميّةُ المتطرفةُ في جماعاتِ المقاومةِ الشعبيّةِ، وأشعلت حروبًا طائفيةً أحرقت البلادَ وخلفت آلافَ الشهداءِ والمشوّهينَ والجرحى والنازحينَ. فهؤلاءُ أديانهم قائمةٌ على تكفيرِ وقتلِ مَنْ يُخالفهم متى ما سنحت لهم الفرصةُ. وقد سنحت لهم هذه الفرصةُ، ولكن تحت مراقبةِ عدساتِ الكاميراتِ المتوفرةِ في كلِّ مكانٍ، والتي تنقلُ كلَّ ما يفعلونَ من جرائمٍ، والعالمُ يشهدُ هذه الجرائمَ ويُشاهدُهم أيضًا، وهم يبررونها بأنّها

من الإسلام السُّنيِّ، أو جزءً من قانون الإيمان
عندهم، باعتبار أنها مستندة إلى نصوصٍ أو إلى
تصرفات الحكام الذين يُقدِّسونهم، مثل إحراق
الإنسان وهو حيٌّ.

فقد فعلها أبو بكر البغدادي وكررها السلفيون
من بعده. وطبعاً، هذا جعل كثيراً ينفرون من
دينهم، حيث شكَّلت هذه التصرفات صدمة لم
يتمكنوا من استيعابها، فتوجَّه بعضهم إمَّا إلى
دين آخر أو إلى الإلحاد. حدثت جرائم قتل جماعيٍّ
وتفجيراتٌ باستخدام أقوى أنواع المتفجرات
وأكثرها فتكاً. كما دُمِّرت شوارعٌ بأكملها ومناطقٌ
سكنيةٌ مأهولةٌ وأسواقٌ مزدحمةٌ، خاصَّةً في
المناطق الشيعية. إضافةً إلى ذلك، تعرَّضت

عائلاتٌ ومجمعاتٌ سكنيةٌ للتهجير القسريّ. أمّا
الحرقُ والقتلُ بالنارِ، فقد بلغ ذروته في مجزرة
سبايكر في يوليو/حزيران ٢٠١٤.

وقامَ بها أفرادٌ من طائفةِ السلفيةِ الجهاديةِ أو
التكفيريةِ. حتى أنّ هناك نوعاً من السلفيةِ يُسمّى
المرجئة، رفضوا قتالَ الأمريكانِ، بحجةِ أنّ
الإصلاحَ الداخليّ وتوحيدَ الصفِّ أولى، ومن ثمّ
يتمُّ التوجهُ إلى المحتلِّ. وهؤلاء يتبنون أفكارَ محمدِ
بنِ عبدِ الوهابِ (١٧٠٣-١٧٩٢). ومن أبرز أمثالهم
محمدُ الخضيرُ أو المعروفُ بأبي المنارِ العلميِّ.
رفضَ أغلبُ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ المشاركةِ في
العمليةِ السياسيةِ لأنها كانت مبنيةً على أسسٍ
طائفيةٍ، ورأوا أنها من صُنِعِ الاحتلالِ. كذلك،

رفضوا الدستور بأغلبية، ولم يدخلوا في العملية السياسية بشكلٍ منظمٍ إلا في عام / ٢٠١٠. العملية السياسية لم تكن تسيّر بانتظام، وكان الاحتقان الطائفي في أشده، وقد ولّد ذلك نزعةً لدى المناطق الغربية بالظلم، مما أدى إلى مظاهرات للمطالبة بالحقوق، ما لبث أن استُغلت واختُرقت من تنظيماتٍ متطرفةٍ أحرقت المدن ودنست المناطق وقتلت كلَّ من يختلفُ معها فكراً وممارسةً. اختفت التنظيمات الإرهابية كالقاعدة وداعش (٢٠١٤-٢٠١٧) بعد أن خلفت وراءها مدناً مهدمةً وآلاف الشباب الفقيرين وآلاف العوائل النازحة وآلاف القتلى والأيتام، وسيطرت فصائلٌ مسلحةٌ من الحشد الشعبي على المناطق

المحررة نفسها، وبمساعدة قواتٍ من الحشدِ
الشعبيّ القادمة من وسطٍ وجنوبِ العراق، نتيجة
فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها السيد علي
السيستاني.

فتوى الجهاد الكفائي : هي فتوى شرعيةٌ أوجها
المرجعُ الدينيُّ علي السيستاني بتاريخ ١٣ حزيران
٢٠١٤ على مقلديه في الأحكام الشرعية من
المسلمين الشيعة في العراق، دون غيره من
البلدان، للتصدي ومحااربة مقاتلي تنظيم الدولة
الإسلامية في العراق والشام (داعش) الذين
أسقطوا عددًا من المناطق في غرب وشمال غرب
وشمال شرق العراق. لقد تم احتلال العراق عام
٢٠٠٣ وتغيرت مؤسساته القمعية بالقوة، مما

أتاح الفرصة لإعادة بناء الدولة الحديثة بدستور دائم يضمن حقوق جميع أعضائها في دولة فيدرالية ديمقراطية تعددية، ولكن للأسف تم تجاهل هذا الدستور منذ سنوات عدة. ومع مرور السنين، سيطرت القوى الطائفية على الحكومة، وأصبحت تتغطرس في الاستيلاء على المكون الأكبر، وبعد أن أغراهم السلطة والمال والميول الطائفية المدعومة من الخارج، بدأوا في مركزية الدولة مرة أخرى، ومنع إنشاء اتحاد فيدرالي وطني متماسك. واليوم تسعى أساليب الدعائية إلى إعادة إنتاج مواقف ومناهج الأنظمة السابقة من خلال صهر المكونات الأخرى في بوتقة تنصهر فيها الأغلبية، والاعتماد بدلاً من ذلك على أفضل

الأنظمة الإدارية والسياسية في العالم، وهو النظام الفيدرالي الذي حول العراق إلى ثلاث اتحاداتٍ جغرافية، وعزز طبيعة التكوينات الاجتماعية في الجزء الغربي من البلاد، وفي جنوب العراق ووسطه، وفي إقليم كردستان العراق. لقد أدت جهودهم والسلطة والمال التي كانت في أيديهم إلى تعطيل الديمقراطية والفدرالية من خلال إنشاء دولة عميقة، وميليشيات وأسلحة وفتاوى دينية وشعارات مخدرة، مما أدى بالبلاد إلى الحرب والصراع. لقد أصبح هذا البلد من أكثر الأنظمة فشلًا سياسيًا وأكثرها فسادًا وإرهابًا وتخلّفًا مقارنةً بإمكانياته وثروته وتنوع قومياته وطوائفه ودياناته.

٢ - التفاح مقابل الوقود :

حكومة لبنان تقترح مقايضة العراق بالتفاح مقابل النفط، وقريباً تركيا أيضاً تكون الماء مقابل النفط، وإيران ستلزم العراق (الكهرباء مقابل الدولار). بالتالي تسقط فكرة توزيع إيرادات النفط على الشعب، التي وصلت خلال العام /٢٠٢٤/ إلى تسعة ملياراتٍ دولاريةٍ شهرياً. وهذا سيدفع الحكومة إلى توزيع التفاح على الشعب ضمن البطاقة التموينية بدلاً عن الأموال، وهو تفاح لبناني سبق أن تغزل به المطرب العراقي الكبير كاظم الساهر (هي خدودها خدود... لوتفاح لبناني).

ولكن مشروع النفط مقابل التفاح مع لبنان لم
ينجح، ف لجأوا إلى النفط مقابل طبع الكتب.
مهازل الحكومات العراقية لم ولن تنتهي، هل
المطابع العراقية غير مؤهلة لطبع مناهجنا
التربوية أم إن الأمر مفروض علينا للحفاظ على ما
تبقي من لبنان؟

وفقاً للأرقام التي يحللها الأكاديمي الاقتصادي
العراقي نبيل المرسومي، تبدو الصيغة اللبنانية
المقترحة غير قابلة للتحقق، فكمية النفط الأسود
التي يطلبها لبنان هي مليون طن، فيما سعر الطن
الواحد ٦٠٠ دولار، أي أن قيمة النفط الأسود
المصدر إلى لبنان تبلغ ٦٠٠ مليون دولار، في وقت
يبلغ سعر كيلو التفاح المستورد من لبنان ٢٥

سنتًا، وسعرُ طنِّ التفاحِ اللبنانيِّ المستوردِ ٢٥٠
دولارًا.

ويضيفُ المرسوميُّ في مقابلةٍ مع "درج" أنَّ العراقَ
سيصدرُ مليونَ طنٍّ من النفطِ الأسودِ مقابلَ ٢,٤
مليارِ كيلوغرامٍ من التفاحِ اللبنانيِّ، وهذا يعني
إغراقَ العراقِ بالتفاحِ، لأنَّهُ من غيرِ المعقولِ أن
يستهلكَ العراقُ يوميًّا نحوَ ٧ ملايينِ كيلوغرامٍ من
التفاحِ المستوردِ، في حينَ أنَّ استهلاكَ العراقيين
سنويًّا من جميعِ الفواكهِ لا يزيدُ عن ٢,٥ مليارِ
كيلوغرامٍ.

ووفقَ الاتفاقيةِ العراقيةِ اللبنانيةِ، يزودُ العراقُ
لبنانَ، بالوقودِ مقابلَ ترتيباتِ سدادِ طويلةِ
الأجلِ. ورغمَ أهميةِ هذهِ الاتفاقيةِ للبنانِ، الذي

يعتمد على الوقود العراقي لتشغيل محطات الكهرباء، فإن الوضع المالي المتدهور في لبنان، مع تزايد ديونه للعراق والتي قد تتجاوز اربعة مليارات دولار بحلول عام /٢٠٢٨، يثير تساؤلات في بغداد.

كما أعلن مكتب وزير الطاقة اللبناني وليد فياض، الثلاثاء، موافقة حكومة العراق، على تأمين كامل احتياجات لبنان من المشتقات النفطية اللازمة لتشغيل محطات الكهرباء.

ويرى عراقيون أن الاتفاق قد أبرم في وقت حساس لتقليل الانتقادات التي تواجه حزب الله في ظل تزايد الأزمات الاقتصادية في لبنان وقت توقيع الاتفاقية.

ويأتي ذلك في ظل تصاعد التوترات في الجنوب اللبناني بين حزب الله وإسرائيل، التي استهدفت مواقع تقول إنها تابعة للحزب، مما يزيد من تعقيد الموقف السياسي والاقتصادي في لبنان.

وفي هذا السياق، قال مصدر من وزارة الطاقة اللبنانية إنه "طالما لا يوجد حصار بحري إسرائيلي على لبنان، فإن إمدادات الوقود مستمرة، والبواخر تصل بانتظام لتأمين الديزل والفيول".

ويثير هذا الوضع تساؤلات حول قدرة العراق على الاستمرار في تقديم الدعم في ظل ضعفه الاقتصادي والأمنية الخاصة فيه.

وأشارت مصادر عراقية إلى أن الحكومة سحبت من شركة تسويق النفط الوطنية "سومو"، صلاحيات تنظيم "دعم لبنان"، حيث تتجه لتنظيم خطة لتقديم المساعدات النفطية للبنان، ولكن دون جدول زمني واضح للشحنات.

ومع استمرار تراكم الديون اللبنانية، قد يجد العراق نفسه أمام قرارات صعبة بشأن استمرارية دعم الوقود.

وحذر من أن استمرار هذا الوضع سيؤدي إلى مزيد من الامتعاض في الشارع العراقي، حيث يعاني العراقيون من نقص الخدمات الأساسية بينما تستمر بغداد في تقديم الدعم الخارجي.

٣- الانتخابات العراقية :

بعد مضيّ تسعة أشهر على الانتخابات البرلمانية العراقية التي جرت في تشرين الأول/ ٢٠٢١، ومنذ أن عُقد البرلمانُ أولى جلساته مطلع كانون الثاني برئاسة (محمود المشهداني)، لم يُفلح إلا في انتخاب رئيسه ونائبيه وتوزيع أعضائه على اللجان. وقد اكتفى بإقرار منافع أعضائه ورواتبهم وبعد انسحاب نواب الكتلة الصدرية من الملعب بنتيجة (صفر مقابل خمس).

قفز نواب الإطار التنسيقي إلى قبة البرلمان، ولكن عاد نواب الكتلة الصدرية مرة أخرى إلى ملعب البرلمان ليحققوا عشرة أهدافٍ مقابل صفرٍ لبقية اللاعبين. وأخيرًا قرر الفائزون الانسحاب من

الساحة لتركها لخصومهم الآخرين لتتشكل

حكومة أخرى برئاسة السيد (محمد شياح

السوداني) عضو حزب الدعوة الإسلامية

أولاً: الجدلية بين الدين والدولة

الدين، أي دين، أتى نتيجة طبيعية لوعي الإنسان

لإثبات وجوده في الدنيا الضائعة بين الغابة

والصحراء، وبين الشدة والضعف، وبين الحق

والباطل. أدركها الإنسان منذ أن كان هائمًا على

وجهه لا يلوي على شيء ولا نصير له في مصيبة

التيه، في لقاء من يهاجمه أو يقتله أو يستولي على

مستحقاته.

من هنا بدأ يفكر بقانون يصونه، ولأن التشريع لا

وجود له في تصوره وواقعه في ذاك الدهر البعيد،

التَّجَأَ إِلَى الْمَقْدَسِ الَّذِي لَا يُخْرَقُ، فَكَانَتْ النَّارُ
الْمَقْدَسَةُ، وَالشَّمْسُ وَالْمَاءُ وَالْقَمَرُ وَالْمَطَرُ... إِلَى
آخِرِهِ مِنْ الْعِبَادَاتِ الْوَثْنِيَّةِ. ثُمَّ جَاءَتِ الْكُتُبُ
الْمَقْدَسَةُ الَّتِي تَحْمِلُ شُرَائِعَ وَقَوَانِينِ لِلْإِنْسَانِ لَا
يُمْكِنُ رَفْضُهَا أَوْ الْحِيَادُ عَنْهَا.

أَمَّا الدَّوْلَةُ فَهِيَ تَبَايُنُ عَنِ مَفْهُومِ الدِّينِ كَوْنِهَا
تَشْكِيلٌ سِيَاسِيٌّ يَجْسَدُ شِرَاكَةَ إِنْسَانِيَّةً لِلدِّفَاعِ
عَنِ الْأَمْنِ الْعَامِّ وَالنِّظَامِ وَالسُّلْطَةِ، تَقْوَمُ عَلَى
التَّشْرِيعِ وَالْقُوَّةِ مَعًا. وَكِيَانُهَا اعْتِبَارِيٌّ تَعَاوُنِيٌّ،
أَرْكَانُهَا الْأَرْضُ، وَالِدَسْتُورُ، وَالْقَانُونُ، وَالْقَضَاءُ
لِحِمَايَةِ الْعَدَالَةِ فِيهَا. وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ نِظَامُهَا الْمُخْتَصُّ
بِهَا، هُنَا الدَّوْلَةُ تَتَنَافَى مَعَ مَفْهُومِ الدِّينِ فِي تَوَجُّهَاتِهِ
الْعَقَائِدِيَّةِ وَتَطْبِيقَاتِهِ الْإِلْزَامِيَّةِ، كَوْنِ الْمَوْضُوعِ

الدينيّ ثابتًا، وقانونُ الدولة متحرّكًا، لأن لكل دولةٍ فلسفتها المخصصة بها. من هنا تبدأ الجدلية بين الدين والدولة لمصلحة الإنسان، وليس لأجل صالح سلطة البلد وشركة الدين.

لقد جرب العراقيون النظام البرلماني الممزوج بالطائفية السياسية على مدى عقدين من الزمن، والنتيجة أنها كارثية بكل المقاييس. أعتقد أنه صار لزامًا على الخيرين من أبناء الوطن كتابة دستور جديد بعيدًا عن المحاصصة الطائفية والمذهبية، واستحداث نظام رئاسيٍّ بمهلٍ محددةٍ (فترات رئاسية مثلاً) لتبديد مخاوف العودة إلى نظام الحكم الشمولي. مع استمرار السيد (محمد

شيعاء السوءاءى) بسكومتة لءىن إءراء استفتاء
على الءستوراءءىء.

ءانىاً: الاءءاباء العراءىة اءءاباء عشاءرىة

ما أن ءنشر المفوضىة المسءقلة للاءءاباء مىعاء
بءاءىة المباءرة الاءءابىة، ءءى ىنهال المؤهلون
ومسانءوهم على ءكاكن الءصوىر والءباءة
والءءاءاءة، وىءسابقون لكى ىءفننوا فى ءءهىز
بوسءراء الءعاءىة الاءءابىة الءى ءءزىن بصورهم
الشءصىة وبأءءام مغاءىرة، وىبءلون فىها أموالاً
ءائلة.

بىنما كان القلة من ءمىنهم ىبءلون على إعالة من
بمعىءهم من عوائلهم لسء الرمق، وىءبارون فى
افتءاح الوعود الءى لا ىمكن ءءقىقها إلا بمعءزة

جبارة، بل المستفيد من المرأى هم أصحاب المطابع ومحلات الحدادة والخطاطون والرسامون وبائعو مكبرات الصوت.

وما أن تنتهي مدة الاقتراع والتصويت حتى يبادر أصحاب دكاكين الحدادة أنفسهم بإزالة تلك البوسترات، والتي صُنعت بأيديهم في مدة قياسية ليستفيدوا من مادة الحديد مرة ثانية تيمُّناً بقول الله عزوجل (رزقكم في السماء وما توعدون).

ويبقى الناخب المسكين في دوامة من كلفه يترقب أصحاب الوعود الذين فازوا بمقاعد نيابية أو محلية، وهم ينعمون بما ظفروا به ليستجيبوا لمطالبهم البسيطة التي لا تتعدى الخدمات الأساسية للعيش بكرامة وللتخفيف عن كاهلهم.

لقد طرأت تعديلاتٌ كثيرةٌ على قانونِ انتخاباتِ
مجالسِ المحافظاتِ رقمَ (١٢) لسنة ٢٠١٨
المعدل، ليصارَ إلى قانونِ رقمَ (٤) لسنة ٢٠٢٣
الذي تضمنَ العديدَ من التغييراتِ، أبرزها عددُ
المقاعدِ الانتخابية.

توزعت (٢٧٥) على خمسة عشرَ محافظةً عدا
محافظاتِ إقليمِ كردستانِ على أساسِ النفوسِ
السكانية لكلِ محافظة، حيث نصت المادةُ (٩/
ثانيًا/ أ) على (يتكون مجلسُ المحافظةِ من (١٢)
اثنى عشرَ مقعدًا، يضافُ إليه مقعدٌ واحدٌ لكل
مائتي ألفِ نسمةٍ لما زادَ على مليونِ نسمةٍ وحسبِ
إحصائيةِ وزارةِ التخطيطِ لعام ٢٠١٩.

كما تم توزيع مقاعد الكوتا البالغة (٤٨) مقعداً على المحافظات حسب الانتشار والتركيز الجغرافي للأقليات، إذ خصص للمسيحيين والصابئة المندائيين والکرد الفيليين مقعداً واحداً لكل مكون في محافظة بغداد، بينما خصص للمسيحيين والأيزيديين والشبك مقعداً واحداً لكل مكون في محافظة نينوى، وأخيراً خصص مقعداً واحداً لكل من المكون المسيحي في البصرة والکرد الفيليين في واسط والصابئة المندائيين في ميسان والمكون المسيحي في كركوك.. (١)

تشكل الانتخابات المحلية في العراق، التي أجريت في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢٣، خطوة مهمة

(١) مركز النهريين للدراسات الاستراتيجية/ حجم التنافس الانتخابي لعام ٢٠٢٣/ د. عمار صالح البهادلي، ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٢٣.

باتجاه التحضير للانتخابات البرلمان المقبلة. لذا، فإن القوى السياسية تحاول جاهدةً بكل إمكانياتها إيجاد البنى الأساسية في تلك الانتخابات، لأنها سوف تكون واجهةً للانتخابات البرلمانية المقبلة. ولذلك، ستعتمد تلك القوى على براعة أدائها ومدى صدق نواياها في تقديم المنفعة لناخبيها، رغم الحشد العائلي والعشائري الذي يعول عليه البعض.

ثالثاً: الصدريون والخطأ الفادح

مرةً أخرى، يرتكب الصدريون خطأً فادحاً، ويخسرون احتمالية الإسهام في الانتخابات المحلية التي جرت يوم ١٨ كانون الأول ٢٠٢٣، والتي تجسد الطريق السليم والصحيح لإجراءات

التحوّل في المجتمع، وتعتبرُ التداوُلُ السلميَّ
للسلطة. إنّ صناديق الاقتراع هي السبيلُ الأوحَدُ
للتقويم، وإخراجِ المفسدين من جميعِ مفاصلِ
الدوائرِ والمؤسساتِ، واختيارِ من هو الأمينُ
والنزيبُ، الذي يتحملُ على عاتقه المسؤوليةَ لأربعةِ
أعوامٍ مرتقبةٍ.

الحمدُ لله، قد أعلنت نتائجُ الانتخاباتِ، وفازَ من
انتصرَ، وحظيَ برضا واستحسانِ جماهيره، وفوقَ
ذلك استحقاقُ المجهودِ والإخلاصِ في مواعيده،
وتقديمُ المنفعةِ لجماهيره. نباركُ للشعبِ العراقيِّ
فوزَ العمليةِ الانتخابيةِ، وما شهدتهُ من أجواءٍ
أمنةٍ، وحرصٍ شعبيٍّ على الإسهامِ، وجلدٍ مسؤوليةِ
التغييرِ نحو حياةٍ كريمةٍ ومستقبلٍ مزدهرٍ.

وللأسف الشديد، ما ذهب إليه الصديون هو
إضعاف للكتلة الأكبر، وإضعاف للمذهب، وكسر
لإرادة الأكثرية. فماذا جنى الصديون من مقاطعة
الانتخابات؟ ومن قبلها، اشتركتهم بقوة في
مسيرات تشرين عام ٢٠١٩ - ٢٠٢٠، وإسقاطهم
حكومة رئيس مجلس الوزراء (عادل عبد المهدي)
دون إسقاط رئاسة المجلس المنتخب، أو رئاسة
البلد، ثم تبعها انسحابهم من السلطة ومن
مجلس النواب، وهم يمتلكون سبعين كرسيًا في
مجلس الشعب، وهم الأكثرية.

إن الانتخابات حق وواجب، فمن شاء مزاولته هذا
الحق، ومن لم يشأ له ذلك، إلا أن اللزوم الذي
يوجب على الكل أن يحمل على عاتقه مسؤولية

التحوّل لما فيه خير العراق وأهله، وأن يصلح وينور
رؤية الآخرين لما فيه من حياة كريمة وأمنة
ومستقرة.

وقد يستغربُ القلّةُ من العراقيين المتفائلين
انتكاسة التيار السياسي (المواطن) المنضوي تحت
مسمى (قيم) في الانتخابات المحلية التي جرت يوم
الاثنين المصادف الثامن عشر من (ديسمبر)
٢٠٢٣، بعدما داعبت مخيلتهم المُجيشة
بالشعارات، والممتلئة بالخطابات العديدة من
الأحلام والأوهام.

من منطلق أنّ الشارع العراقي قد ذاق ذرعا بتدابير
القوى السياسية الكلاسيكية (الشوفينية
والطائفية والقبليّة)، التي أدخلت البلاد في

دواماتٍ من الصراعات الداخلية والخارجية،
نتيجةً لتعميم الوضع الحرج واستشراء الفساد في
جميع مرافق بنية البلد التأسيسية، وفي إطار كل
قطاعٍ من قطاعات المجتمع.

إنَّ طبيعة تكوين العراق التي أشار إليها (الملك
فيصل الأول ١٨٨٣-١٩٣٣) حينما توجَّ ملكًا على
العراق، في وصفه لمكونات مملكته، قائلًا: (لا
يوجدُ في العراق شعبٌ عراقيُّ بعد، بل توجدُ
ثلاثٌ بشريةٌ خياليةٌ، خاليةٌ من أيِّ فكرةٍ
وطنيةٍ، متشعبةٌ بتقاليدٍ وأباطيلٍ دينيةٍ، لا
تجمعُ بينهم جامعةٌ).

رابعاً: مستقبل الأحزاب الإسلامية

لقد باتت الأحزاب السياسية - الدينية الإسلامية العاملة في عموم الوطن العربي محلّ سخرية هذه الأيام، مع تداول آلاف الفيديوهات لمشايخ وعلماء وقادة تلك الأحزاب في أروقة مواقع التواصل الاجتماعيّ.

حينها سارعت هذه الأحزاب إلى خلع جلبابها ولبس الملابس المدنية، وهذا ما فعلته القوى الشيعية والسنية في العراق سوياً. لقد غيّروا الاسم وأزالوا كل ما يتعلق بالإسلام من لافتات براقية.. وشعروا أنّ زمنهم قد انتهى، واضطّر الكثير منهم إلى ذلك، فبدأوا بالبحث عن وجوه شبابية جديدة وتشكيل كتل سياسية جديدة شعارها البناء والتنمية، لا

القتالُ والفسادُ والانتهازيَّةُ، لتزيينِ الوجوهِ التي
كانت لا تستسيغُ الجماهيرُ.

وهم اليوم يسعون جاهدين من أجل بناء أفكارٍ
علمانيةٍ كانت حتى أمسٍ عدوَّهم اللدودَ، وهذا
يُمثِّلُ مرحلةً اجتماعيةً جديدةً، بعد أن بدتْ
دعواتهم لعصرٍ إسلاميٍّ جديدٍ تتلاشى. وربما تكونُ
المرحلةُ السياسيَّةُ الجديدةُ التي تنتظرُ هذه
المجتمعاتِ مليئةً بالمفاجآتِ التي لا يستطيعُ
المفكرونَ التنبؤَ بها.

هذه حقائق كبرى والجميع يعرفها:

- كل حزب لديه جناح مسلح.

- كل حزب لديه مصادر تمويل كبيرة لا

يستطيع احد منعه من الحصول عليها.

- كل حزب لديه صحافته ولديه محطات تلفزيونية.

- كل حزب لديه ما يطلق عليه مراكز ابحاث تنطق باسمه وتبرر سياساته وتروج لأجنداته المختلفة.

- معظم تلك الاحزاب لديها علاقات دولية خارج النطاق الحكومي الرسمي..

- كل هذه الاحزاب تعلن عن اهداف تتقاطع احياناً مع الاهداف الرسمية للدولة.

٤- الغلو نوعان :

غُلُوُّ اعْتِقَادِيٌّ : كغُلُوِّ النَّصَارَى فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَوْ غُلُوِّ الْخَوَارِجِ فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا. وَمِنَ الْغُلُوِّ - أَيْضًا - فِي الْإِعْتِقَادِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّاطِئِيُّ، وَهُوَ الْغُلُوُّ فِي بَعْضِ الْفُرُوعِ بِتَنْزِيلِهَا مِنْزَلَةَ الْأَصُولِ. إِذْ إِنَّ الْمَعَارِضَةَ الْحَاصِلَةَ بِذَلِكَ لِلشَّرْعِ مِمَّا ثَلَّةٌ لِلْمَعَارِضَةَ الْحَاصِلَةَ لِلشَّرْعِ بِأَمْرِ كَلْبِيِّ.

أما القسمُ الثَّانِي: فَهُوَ الْغُلُوُّ الْعَمَلِيُّ، وَهُوَ الْمَتَعَلِّقُ بِالْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ، مِنْ قَوْلِ اللِّسَانِ، أَوْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ، مِمَّا لَا يَكُونُ فِرْعًا عَنْ عَقِيدَةٍ فَاسِدَةٍ. وَمِنْ أَصَحِّ الْأَمْثَلَةِ عَلَى ذَلِكَ: رَمَى الْجَمَارِ

بالحصى الكبيرة - مثلاً - فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه
وسلم عدّه غُلُوًّا، لا يترتبُ عليه اعتقادٌ، ومثله
المبالغةُ في العبادةِ، كما يحدثُ عند بعضِ الفرقِ
الصوفيةِ التي تبالغُ في العبادةِ، وتزيدُ فيها عما
شرعَ اللهُ عزوجل، كوصالِ الصومِ أبداً، وقيامِ
الليلِ كُلِّه - مثلاً -، وما أشبهَ ذلك.

ولا شكَّ أنَّ الغُلُوَّ الاعتقاديَّ هو الأخطرُ، لأنه
النقطةُ التي تشعبتُ عندها الفرقُ المختلفةُ في
الإسلامِ، وبزغتُ عندها الأهواءُ، واختلفتُ عندها
العقولُ والقلوبُ، ثم سلتُ السيوفُ، وسالتُ
الدماءُ.

واليومَ في العراقِ الكلُّ ينادي: (تاجُ تاجِ فوقِ
الرأسِ... سيدُ عليِّ السيستانيِّ). لقد أصبحَ السيدُ

السيستاني شماعاً للأحزاب السياسية الإسلامية
الشيعية في العراق الجديد، يعلّقون عليها
مشاكلهم القديمة والجديدة.

الإطار التنسيقي يريد إعادة الشرعية (المالكي) إلى
دفة الحكم في العراق، والسيد الصدر احتلّ
البرلمان العراقي وجلس فيه بعد هروب ممثلي
الشعب غير المنتخبين بالأكثرية، واحتلّ مجلس
القضاء الأعلى وانسحب منه.

كما قال رجل الدين الإيراني آية الله السيد رضا
بهاء الدين (١٣٢٧-١٤١٨ هـ): "إذا سلمت على
أحد الأئمة المعصومين، فإنّ الإمام يردّ عليك
السلام، أما إذا قلت 'السلام عليك يا فاطمة

الزهراءُ فإنَّ جميعَ المعصومينَ يردُّونَ عليك
السلامَ."

٥- المسجد الذي لا يقبل سقفاً :

يقالُ إنَّ هناكَ مسجدًا في إمارةِ البحرينِ لا يقبلُ
سقفًا حتى ظهورِ الإمامِ المهديِّ، وهو (مسجدُ
الصبور) الذي بناه الشيخُ محسنُ الصبور.
ومعجزةُ هذا المسجدِ أنه لا يقبلُ سقفًا.

وقد حاولَ الكثيرونَ تسقيفهَ بمختلفِ أنواعِ
السقوفِ من سعفِ النخلِ إلى الإسمنتِ
الكونكريتيِّ، إلا أنه يهدمُ في اليومِ التالي. وقصةُ
هذا المسجدِ فمناوعٌ من الغرابةِ، إذ إنَّ الشيخَ
البعليَّ رأى شخصًا عليه آثارُ الهيبةِ والجلالةِ

يُصلي في خرابه، فقال له: تفضل إلى المسجد
وصل هناك. فردّ عليه: ((كلا، إنّ هذا مسجد في
الأصل، فأمر أهل القرية ببنائه)). فقال له: من
أنت يا شيخ؟ قال: أنا صاحب الأمر. فتمسك به
الرجل وقبّل يده، فقال له: دع عنك هذا، وخطّ
له حدودًا.

ردّ عليه الشيخ البجلي: مولاي، إنّ أهل القرية قد
لا يصدقوني ويتمونني بطلب الصدقة لنفسي إن
طلبتُ مالاً لبناء المسجد، فما العلامة التي أدفعُ
بها التهمة عن نفسي؟ قال: إنّ هذا مسجد لا يقبلُ
التسقيف ما دمت غائبًا.

حاول الناس تسقيفه بلا جدوى، وكان السقفُ
ينقلع في اليوم التالي. فأرادت حكومة البحرين

تكذيبَ الأمرِ، فسלטوا الشرطةَ، وسقفوا
المسجدَ، ووضعوا عليه حراسًا كي لا يهدمه أحدٌ،
وإذا بالنومِ يضربُ عليهم جميعًا، وسقط السقفُ
كالمظلةِ وانقلبَ على الأرضِ. ثم يئسوا منه،
فتركوه وهو موجودٌ حتى اليومَ ينتظرُ الظهورَ
المقدسَ.

أما أنا، فلم أعدُ أبحثُ عن مسجدٍ أصلي فيه،
فكلُّ المساجدِ مسجلةٌ بأسماءِ مشيديها، جميعها
تنتظرُ الظهورَ المباركَ. حتى الزمنُ الذي يُباعُ فيه
الماءُ على المارة، باتَ أفضلَ من الزمنِ الذي يُوزعُ
فيه مجانًا.

اليومَ أصبحَ التدينُ أفيونَ الشعوبِ العربيةِ
والإسلاميةِ. وكما قالَ الكاتبُ العراقيُّ الكبيرُ عبدُ

الرزاق الجبران: (تكادُ ترسخُ معي قاعدةٌ؛ كلُّ من يلفُ رأسَه بعمامةٍ ستلفُ حتمًا الأيامُ قلبَه. تمامًا كما كان يقولُ قديمًا السياسيونَ الناديمونَ؛ لقد مسنا التاج) ... فالتاجُ والعمامةُ يتشابهان بالتغيير).

٦- الطبيب والمدرس :

الدكتور (ضياء كمال الدين) هو كبيرُ استشاريِّ أمراضِ القلبِ في لندن، بريطانيا. تمَّ استدعاؤه للعراقِ لتكريمه بعد غيابٍ دامَ أكثرَ من ١٥ عامًا. وحينما همَّ الدكتورُ بالدخولِ إلى قاعةِ التكريم، استوقفه منظرُ رجلٍ كبيرٍ في السنِّ يبيعُ الجرائدَ مفترشًا جرائده على الرصيفِ.

بقى الطبيبُ مع بائعِ الجرائدِ برهةً، ثم دخلَ
القاعةَ. جرجَرَ الدكتورُ نفسه ودخلَ القاعةَ
وجلسَ، غيرَ أنَ ذهنَه بقيَ مع بائعِ الجرائدِ.
وعندما نودي على اسمِ الطبيبِ من أجلِ تقليده
وسامَ الإبداعِ، قامَ من مكانه لكنه لم يتوجهَ إلى
المنصةِ، بل خرجَ من القاعةِ، فراحَ الكلُّ ينظرونَ
إلى الطبيبِ باستغرابٍ.

أما الدكتورُ، فتوجهَ إلى بائعِ الجرائدِ وأخذَ يدهُ،
فسحبَ البائعُ يدهُ، فردَّ عليه بائعُ الجرائدِ:
"اتركني يا بني، ما راحَ أفرشَ الجرائدَ مرةً أخرى."
ردَّ عليه الطبيبُ بصوتٍ مخنوقٍ: "أنتَ أصلاً ما
راحَ تفرشَ مرةً أخرى، أرجوكَ تعالَ بس معي
شوي."

أخذَ البائعُ يقاومُ، والدكتورُ يأخذُ بيده، فتخلى
البائعُ عن المقاومةِ بعدما رأى دموعَ الطبيبِ.
فدخلَ البائعُ القاعةَ، فقال: "ما بك يا بني؟" لم
يتكلمَ الدكتورُ وواصلَ السيرَ به إلى المنصةِ.

بقيَ الحضورُ في حالةِ استغرابٍ، غيرَ أن الدكتورَ
انفجرَ بالبكاءِ وأخذَ يعانقُ بائعَ الجرائدِ ويقبلُ
رأسَه وهو يقول: "أنتَ ما عرفتني يا أستاذَ خليل؟"

ردَّ البائعُ: "لا والله ما عرفتك يا بني، والعتبُ على
النظرِ." فردَّ الدكتورُ: "أنا تلميذك ضياء كمال
الدين في الإعدادية المركزية، لقد كنتُ أنا الأولُ
دائمًا، وأنتَ من كنتَ تشجعني وتتابعني سنة
١٩٦٦." حينها احتضنَ البائعُ تلميذه، وأخذَ

الطبيبُ وسامه وقلّده لبائع الجرائد الذي كان
يومًا ما أستاذ اللغة العربية.

بعدها، قال الدكتور كلمته أمام الحضور: "هؤلاء
هم من يستحقون التكريم، والله ما تخلفنا وجهلنا
إلا بعد أن قمنا بإذلالهم وإضاعة حقوقهم وعدم
احترامهم وتقديرهم بما يليق بمقامهم وبرسالتهم
السامية". (٢)

٧- يهود العراق :

يهود العراق هم أبناء الجالية اليهودية الذين
عاشوا في وادي الرافدين منذ الأسر البابلي.
وهاجر أغلبهم من العراق سنة ١٩٤٨، وصودرت
أموالهم وأموالهم فيما بعد، وأسقطت عنهم

(٢) خالد العاني/ موقع كتابات ٢٦ أغسطس ٢٠٢٢ <https://kitabab.com>.

الجنسية العراقية. بينما يرى البعض الآخر أن إعلان قيام دولة إسرائيل والمخططات الصهيونية الرامية إلى تعمير الكيان الجديد بأكثر قدر ممكن من السكان، كان له الدور الحاسم في مخطط تهجيرهم، كما وقع مع العديد من يهود دول العالم العربي والإسلامي. ومن هذه المخططات، قيام جواسيس يهود بتفجير دور العبادة اليهودية والرموز الحيوية لليهودية في العراق قصد إجبارهم على الرحيل نحو إسرائيل.

كان اليهود يشكلون ٢,٦٪ من مجموع سكان العراق في عام ١٩٤٧، وانخفضت نسبتهم إلى حوالي ٠,١٪ من سكان العراق عام ١٩٥١ م.

أنخرط يهودُ العراقَ في المشهدِ الثقافي إضافةً إلى
المشهدِ الفني والاقتصادي، وربما أكثرُ من كان
متيمًا بالعراق هو الأديبُ (سميرنقاش) الذي ترك
العراقَ طفلًا، لكن العراقَ لم يتركهُ أبدًا.

سميرنقاش : أديبٌ يهوديٌّ عراقيٌّ نشرَ العديدَ من
الرواياتِ بالعربيةِ في إسرائيل، كلها معبرةٌ عن
حبه للعراق، ومنها ما ترجمَ إلى الألمانية.

سليم البصون: صحفيٌّ قديرٌ، ومن ضمنِ
نشاطاته أنه عملَ في "جريدةِ الشعب" محررًا أو
مندوبًا برلمانيًا لها، كما عملَ سكرتيرًا للتحريفي
"جريدةِ السياسة"، ثم "صوت السياسة". أصبح
سليم البصون المشرفَ على تحريرِ "جريدةِ
السياسة".

في سنة ١٩٤٨، تولى سليم على حسابه إصدار
"جريدة الاسقلال" والعديد من المناصب
الرفيعة.

مراد العماري: هو أحد أشهر الشخصيات
الصحفية العراقية وشاعر مرموق من جيل
الأدباء والصحفيين العراقيين اليهود الذين
ساهموا في تطوير الأدب والصحافة في العراق.
عمل سكرتيراً تحريراً لصحيفة الشعب، وأشرف
على تحرير مجلة الرابطة التي كان يرأسها الأستاذ
عبد الفتاح إبراهيم، وعمل في صحيفة الأهالي
لصاحبها كامل الجادرجي. وفي وكالة الصحافة
الفرنسية عام ١٩٤٩، شغل مناصب صحفية في
صحيفة لواء الجهاد التي أصدرها المحامي فائق

توفيق في ربيع عام ١٩٥٣. وبعدها عمل في جريدة العراق تايمز (الأوقات العراقية).

كان طمسُ المواطنةِ جارياً بشكلٍ سرّيٍّ وعلنيٍّ، كإسقاطِ الجنسيةِ العراقيةِ الأصليةِ، ولغرضٍ سياسيٍّ. طال ذلك أعضاءً في أحزابٍ سياسيةٍ، والأكثر مورشاً ضدَّ يهودِ العراقِ (١٩٥١)، يوم تقرر السماحُ لليهودِ بالمغادرةِ بشرطِ التخلي عن المواطنة. حصل ذلك في العهدِ الملكيِّ، الذي فتح هذا البابَ وظلَّ مفتوحاً، حتى كانت أفضعها عملياتُ التهجيرِ في ثمانينياتِ القرنِ العشرين، التي طالت الألوفاً المؤلفةً ممن عُرفوا بالتبعيةِ الإيرانيةِ وغيرهم، حيث الرميُّ خارجَ الحدودِ، مع إسقاطِ القيودِ.

٨- قطارة الإمام علي (رض):

هي عبارة عن ينبوع ماءٍ تقع في الصحراء الغربية لمحافظة كربلاء (١٠٨ كم جنوب غرب بغداد)، وتبعدُ عن مركز المحافظة بحوالي ٢٨ كم بالقرب من بحيرة الرزازة. يقول المؤرخون عنها إن الإمام علياً عليه السلام حينما توجه إلى حرب صفين لحق بجيشه العطش، وقد وجد في وسط الصحراء صخرةً فشقَّ بيده الصخرة فخرج منها ماءً عذبٌ ولا يزال يجري منها حتى الآن.

مؤخراً حصل انهيارٌ للتلة القريبة من المزار بسبب التشبع بالرطوبة للساتر الترابي الملاصق له، مما أدى إلى انهيار كومة ترابية على سقف المزار وعلى

عدد من الزائرين، قتل منهم ثمانية أشخاص
وأصيب منهم ستة.

(القطارة) التي لم يسمع معظم العراقيين
بأمرها، على أنها عين ماء من أيام الإمام علي (ع)،
اتضح أنها مزار وهمي يتم ضخ الماء فيه من قبل
الشركة المستثمرة للمكان عبر أنابيب مخبأة في
التلال المحيطة، وقد تكون هي سبب الانهيار.

من جانب آخر، ذكر مدير الوقف الشيعي في
محافظة كربلاء، فارس الطيار، "هذا المزار لا يعود
للووقف الشيعي وغير مسجل لديه، ولا الأرض التي
أقيم عليها والمنشآت التي فيه، فهو مبني دون
موافقة الوقف، لأنه لم يثبت تاريخياً حتى الآن"،
لافتاً إلى أن ما "حصل تقع مسؤوليته على

الشخص الذي قام ببنائه واستغلاله لهذه الأرض".

ومن المعروف للعامة أن قدسية المقدس تستمد من قدرته على خدمة الإنسان والمجتمع بشكل لا يتناقض مع روح الدين وقيمه السامية، ذلك أن الدين ظلّ لعقودٍ طويلةٍ مجالاً مقدساً لا يمكن الخوض فيه، بل وحكراً على الفقهاء والأئمة والعلماء ممن يرون في أنفسهم الأهلية لفهم الدين وتفسيره، وتوظيفه أحياناً وفق ما يخدم أغراض المؤسسة الفقهية ومصالح السلطة الحاكمة، الشيء الذي حال دون الفهم الحقيقي للدين وإدراك معانيه العميقة.

ولئن كان الدين سابقاً على قيام المؤسسة الفقهية
ونزول الكتب المقدسة، مصداقاً لقوله تعالى: "يَا
أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ
التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (٣)

واليوم أنا متفائلٌ بارتفاع مستوى الوعي الديني
والحياتي في المجتمعات العربية والإسلامية
واتساع مساحته، لوجود مواقع التواصل
الاجتماعي، والقنوات الفضائية، والاحتكاك
بالمجتمعات الغربية، مما ولد مؤشرات إيجابية
تدلُّ على أن المجتمع بدأ يستوعب الاختلاف في
وجهات النظر ويتفهمها.

(٢) د. جوهرة القدس عكية.. باحثة مغربية / المقدس الديني بين احتكار النص وهم أملاك السلطة الإلهية / موقع
مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث في ٢ ديسمبر ٢٠٢١. <https://www.mominoun.com/articles>

٩- ضعف السلطة السياسية :

لقد تحوّل المجتمع العراقيّ من العيش في ظلّ جمهورية الخوف الأولى (١٩٦٨-٢٠٠٣) التي كتب عنها كنعان مكية كتابه الشهير "جمهورية الخوف" عام ١٩٨٩، إلى جمهورية الخوف الثانية (٢٠٠٣-...) وخلال ما يقرب من أربعة قرون من الحكم التركي والاحتلال البريطانيّ اللاحق، عاش العراقيون تحت نير العبودية والخوف.

قاد الزعماء الدينيون والعشائريون في النجف ثورة العشرين ضدّ بريطانيا، ثم اندلعت انتفاضة شعبية بعد حرب الكويت في شهر شعبان عام ١٩٩١. أما باقي التغيرات في أنظمة الحكم من عام ١٩٥٨ إلى عام ٢٠٠٣، فكانت انقلابات داخلية أو

خارجية. ولا يمكن أن نسـمها ثـوراتٍ، إذ إنَّ
الجيشَ قامَ بها دونَ مشاركةِ الجماهيرِ المضطهدةِ
(١٩٥٨-١٩٦٣-١٩٦٨).

يمكنُ وصفُ تغييرِ النظامِ في عامِ ٢٠٠٣ بأنه
"انقلابٌ خارجيٌّ" لأنه نفَّذته الولاياتُ المتحدةُ
وحلفاؤها في وقتٍ كان فيه الشعبُ العراقيُّ ينتظرُ
منقذًا.

فضعفُ السلطةِ السياسيةِ أو جبروتها يؤدي
أحيانًا إلى ازديادِ وهيمنةِ السلطةِ الدينية! لأنَّ
الأحزابَ الفاسدةَ تولدُ بؤسًا اقتصاديًّا
 واجتماعيًّا، يدفعُ الناسَ البسطاءَ إلى التعلقِ
 ببعضِ رجالِ الدينِ لكي يُوصلوهم إلى جناتِ

الخلد التي حُرِّموا منها في الحياة الدنيا بعد
إيhamهم بأنهم الطائفة الناجية.

القطارة وضريح أبو سريح لا يختلفان عن ضريح
الكاروبه، وضريح الشريفة، والتيل والخضروات،
وصاروخ، ومربط فرس العباس، وبقية الأضرحة
الفارغة التي تُقدَّس وتُشرك مع الله.

فكلُّ حاكمٍ عراقيٍّ يأخذ وثيقةً دينيةً حتى يحكم،
وهذه الوثيقة يمنحها له علماء دينٍ من خلال
ديباجة تُسمى الفتوى، تعطي الحاكم السلطة
المطلقة في الحكم، وبالتالي لا يستطيع الشعب
إزالته لأنه يحمل صفةً دينيةً مقدسةً مستمدةً
من الربِّ باعتباره القائد الضرورة وبطل التحرير
الوطني.

ولا تزال معدلات البطالة مرتفعة في العراق، لا سيما بين صفوف النساء والشباب، حيث تشير النتائج إلى أن التعيينات كثيفة الاستخدام للذكور، وضعت الحدود أمام فرص العمل المتاحة أمام النساء. وتتسق النتائج التي توصلنا إليها مع المؤشرات الإجمالية، التي تكشف أن النساء في العراق يواجهن تحديات أكبر في الحصول على فرص العمل مقارنةً بالنساء في المناطق النامية الأخرى.

وهناك تفسيران رئيسيان لهذا الأمر على النحو التالي:

١. إن بعض الشركات والدوائر الحكومية تفضل الرجال على النساء في التوظيف الحكومي،

وخاصةً في وزاراتٍ ودوائرِ الدفاعِ والداخليةِ
والنفطِ.

٢. إنَّ التقسيمَ بينَ الجنسينِ في كلِّ من المهنِ
والصناعاتِ يخلقُ حواجزاً أمامَ النساءِ، تحدُّ من
قدرتهنَّ على الانتقالِ إلى الأعمالِ التي تشهدُ
توسعاً في نطاقها.

المشهدُ في العراقِ اليومَ هو مشهدٌ للتبعيةِ
الأميركيةِ والاستعمارِ، إذ تقوِّمُ أمريكا بتسييرِ
الأمورِ وتحكمُ السياسةَ والاقتصادَ في العراقِ،
وعلى الرغمِ من انسحابِ معظمِ القواتِ الأميركيةِ
في عامِ ٢٠١١.

بعدَ الهزيمةِ التي مُنيتَ بها أمامَ المقاومةِ
الشعبيةِ، إلا أنَّ الهيمنةَ الأميركيةَ لا تزال قائمةً،

والزعاماتُ الحاكمةُ ترفضُ تمامًا مفاوضةَ
الخروجِ من التبعيةِ الأميركيةِ وإلغاءِ اتفاقيةِ
الإطارِ الاستراتيجيِّ التي وقَّعتها السلطةُ العراقية.

إنَّ المعادلةَ السياسيةَ المعروضةَ في العراقِ تفردتُ
من قبلَ الإدارةِ الأميركيةِ وتتمثلُ في الهيمنةِ
الشيعيةِ والكرديةِ والسنيةِ، بالإضافةِ إلى بعضِ
القوى العشائريةِ التي تستفيدُ من الفسادِ
والاستعمار. لذلك، فإنَّ الحكامَ في العراقِ
يتمتعون بالسلطةِ والثروةِ والحماية، ولا يهتمُّهم
أبدًا مصلحةُ الشعبِ العراقيِّ.

باختصارٍ، العراقُ يعاني من حكمٍ طائفيٍّ وفسادٍ
واسـتغلالٍ لشعبه، الحكامُ يسيطرون على
السلطةِ دون أن يهتموا بالشعبِ أو بمطالبه.

الحقيقة المرة هي أنّ النخبة المثقفة والمتحزبين
اليساريين والليبراليين إما ينسحبون تمامًا من
السياسة أو يساندون الاحتلال ويبررون أفعاله.
لكلّ فعلٍ ردُّ فعل، وهذا هو مشهدُ العراقِ اليوم.

١٠-العراق قاتل الغزاة:

العراقُ احتلَّ مصرَ زمنَ الأشوريين عامَ ٦٧١ قبل
الميلاد بقيادة الملكِ أسرحدون، وأخضعها لحكمه.
بعدها، احتلَّ الفرسُ العراقَ قديمًا باسمِ
العيلاميين، وهدموا أسوارَ بابلِ الحصينة. كما
احتلَّ المغولُ العراقَ وأنهوا الخلافةَ العباسيةَ عامَ
١٢٥٨ م، واحتلتْ أمريكا العراقَ عامَ ٢٠٠٣ م.

وأى دولةٍ مهما كانت عريقةً تمرُّ بمراحلٍ ضعفٍ وقوةٍ وعصورٍ ذهبيةٍ. كلما كانت الدولة قديمةً وعريقةً، تعرضت للسقوط والقيام والاحتلال والتحرير، وهذا تاريخُ كلِّ الحضارات القديمة.

مثلما مرتُّ بها الدولُ العباسيةُ في العراق، أو الخلافةُ العباسيةُ (١٣٢-٦٥٦ هـ) من قوةٍ وضعفٍ، دفعَ الآخرينَ إلى قتلِ الخليفةِ أو سجنه مدى الحياة. وهؤلاء الخلفاء الذين تمَّ قتلهم بعد المتوكلِ على الله (٢٣٢-٢٤٧ هـ) هم:

“المنتصر بالله، المستعين بالله، المعتز بالله، المهتدي بالله، المعتمد على الله، المقتدر بالله، القاهر بالله (سمّل)، المتقي لله (سجن ٢٥ سنة

حتى مات)، المسترشد بالله، الراشد بالله،
المستعصم بالله.”

وإذا أضفنا لهم الأمين والهادي، فإن أكثر من ثلث
الخلفاء العباسيين قد تمّ قتلهم وسمل عيونهم
وتعذيبهم وسجنهم وإهانتهم.

فخلفاء بني العباس (٣٦) حاكمًا، وأطول من حكم
من العباسيين القادر بالله (٣٨١-٤٢٢ هجرية)،
وابنه القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧ هجرية).

واليوم، العراق يكافح من أجل العودة إلى قوته
السابقة بجهود شعبه الشجاع وقاداته الوطنيين،
من أجل القضاء على:

• غسيل الأموال.

• المخدرات.

• قصف المنطقة الخضراء وسط بغداد، وقصف

مدن أربيل والسليمانية.

• دعم الميليشيات المنفلتة.

• السيطرة بشكلي غير مباشر على المراقدين

المقدسة.

• ملف المياه.

• ملف الحدود.

ويقال إنَّ أحد أسباب ارتفاع أسعار العقارات في

بغداد هو استثمار الأموال المنهوبة من الدولة في

سوق العقار بعد إعلان لبنان إفلاسه، والحصار

المفروض على إيران وإجراءات تخصُّ متابعة

الأموال المنهوبة، فتمَّ استثمار تلك الأموال في

شراء عقارات في مناطق بغداد المختلفة،

وخصوصًا التجارية منها، مما أدى إلى رفع
أسعارها إلى أرقامٍ خياليةٍ فاقتُ أسعارَ أرقى
عواصم العالم.

١١- من يحب العراق يحب التاريخ :

العراقُ كما هو معروفٌ عنه، هو مهدُ العلومِ
والمعارفِ والحضاراتِ، بل إنَّ العراقَ بلا جدالٍ هو
قِبلةُ العالمِ الثقافيةِ، وتأتيه طلبةُ العلمِ والمعرفةِ
من شتى أنحاءِ العالمِ، لتنهلَ من المعارفِ التي
تركها السلفُ.

إنَّ بعضَ الحضاراتِ التاريخيةِ لا تعني أنَّها
حضاراتٌ في العلومِ والفنونِ والآدابِ والمعارفِ
ونَهضةٍ علميةٍ، فالحضارةُ الرومانيةُ مثلاً هي

حضارةٌ حربيةٌ وليست مدنيةً، أساسُها الحروبُ
والاحتلالُ والتوسعُ. وهذا ما يُقال أيضاً عن
الحضارةِ الفارسيةِ التي سبقت الإسلامَ، فلا
توجدُ حضارةٌ فارسيةٌ حقيقيةٌ في أيِّ من العلومِ
والمعارفِ باستثناء الجانبِ الحربيِّ والتوسعِ
والاستيطانِ وبعضِ العمرانِ وتنظيمِ الدواوينِ.

في حين كان المعمارُ الكبيرُ في العراقِ، حيث
الجنائنُ المعلقةُ ومعالمُ نينوى ومنازلُ الحدباءِ
وبابلُ وأور، ووصلَ العمرانُ أعظمه في زمنِ
الخلافةِ العباسيةِ من خلالِ تخطيطِ مدنِ بغدادَ
وسامراءَ وقصورِ الخلفاءِ المميّزةِ، التي جسدها
الشعراءُ في أشعارهم.

على أرضِ هذا الوطنِ سُنتُ أولَ شريعةٍ في العالمِ
بـ ٢٨٢ مادةً قانونيةً، لا يزالُ العالمُ يقفُ أمامَها
مندهِشًا لما تحويه من تشريعاتٍ فريدةٍ في وقتها.

أسماء المدن العراقية في العراق القديم والجديد

لگش : التي تقع في جنوب مدينة قلعة سكر في
الناصرية.

أور: تقع في جنوب غرب مدينة الناصرية .

أريدو: تقع في جنوب غرب مدينة الناصرية.

لارسا : تقع شمال غرب مدينة الناصرية.

أوما: تقع في جنوب غرب مدينة قلعة سكر في
الناصرية.

شوروباك : تقع ٢٢٥ كم جنوب شرق الناصرية.

ادب : تقع في شمال غرب مدينة أوما في الناصرية .

نيبور: تقع في شرق مدينة الديوانية.

إيسن : تقع في جنوب شرق مدينة الديوانية.

اكشاك : تقع في المدائن جنوب شرق العاصمة
بغداد.

كيش : تقع في محافظة بابل .

سيبار: تقع على حوالي ٦٠ كيلومتر شمال بابل.

أوروك : تبعد حوالي ٣٠ كيلومتر عن شرق مدينة
السماوة. (٤)

أشنونا : تقع في الأراضي الخصبة ما بين نهر
دجلة وديالى وصولاً الى جبال زاغروس شرقاً.

ماري : تل الحيري الأنبار بالقرب من ألبوكمال
على الحدود العراقية والسورية.

(٤) كتاب بلاد ما بين النهرين / ليو اوينهايم / صفحة ٤٦٣ إلى ٥١٢

أكد : وسط العراق.

بابل : وسط العراق .

آشور : شمال العراق (مدينة الموصل).

الحضر : شمال العراق .

جرمو : شرق كركوك.

تل حلف : تقع عند منابع نهر الخابور.

تبة غورا : عند نهر دجلة في مدينة نينوى.

نوزو : جنوب غرب كركوك.

دوركوريغالزو: عكركوف حاليا.

سيبار : جنوب غرب بغداد.

نمرود كالخو: الموصل.

خرسباد : نينوى.

أربائيلو: شمال العراق

البصرة : جنوب العراق.

سرمن رأى : سامراء وسط العراق.

الكوفة : النجف الفرات الأوسط .

بغداد : حاضرة الدولة العباسية .

بلادي التي وزعت خبزها على الغرباء أفقرت
أولادها.

يتباهون بتوزيع الحلو على المارة ويتركون
نساءهم تبحث عن علب البيبسي كولا الفارغة

في قمامة الفاسدين.

لوعاد الحسين ثانية لقاتل الفاسدين وقوم تبع
وأصحاب الأيكة والمارقين.

لا تظنَّ أبدًا أنك ستدخل الجنة عبر إقامة
المواكبِ بدلًا من أداءِ الصلواتِ الخمسِ، أو أنك

ستنال لقب "خادم الحسين" من خلال شاي أبو علي أو التطبير والزنجبيل أو اللطم على الصدور.

يقول شكسبير على لسان بطل مسرحيته "مكبث": "ليس العبرة في أن تكون ملكًا، إنما العبرة في أن تكون آمنًا."

لقد أصبح الوجود الديني في عصرنا الحالي يشهد تحولًا مثيرًا للجدل، حيث يُستغل الدين بشكل تجاريٍّ ولأغراض استعبادية، ولا يقتصر هذا التحول على دين معين، بل يتعدى ليشمل جميع الأديان. فمنذ أقدم العصور، كان هناك أفراد يستغلون الدين لتحقيق مصالحهم الشخصية، حيث استغل الحكام والقادة الدينيون الحضارات القديمة هذه المعتقدات لتلبية

رغباتهم الفردية، فاستعبدوا الناس عبر الدين،
وسلبوا حقوقهم وأتعبهم، واستولوا على
مواردهم المادية والبشرية.

ومع مرور الوقت، أصبح الدين يمثل سلطة
مستبدّة تهيمن على حياة الناس. تلك المعابد التي
كانت تسيطر على الناس في الماضي يجب ألا تغفل
عنها؛ فقد كانت تمتلك نفوذًا كاملاً على مصائرهم
وتتحكّم في شؤونهم.

في هذا السياق، يُطرح السؤال المهمّ حول وجود
مرجعيات دينية جماعية تمتلك عقولاً متفاعلةً.
هل لدينا منظمات أو هيئات دينية تعتمد التفكير
النقديّ وتسعى لتطوير الدين بما يتناسب مع

التطورات الحديثة؟ هل هناك مجال للنقاش
والاختلاف في المسائل الدينية؟.

هذه هي التساؤلات التي يجب علينا وضعها
في الحسبان والعمل على إيجاد إجابات لها.

١٢ - الابتلاء الكبير:

كانت النسوة العراقيات في (العصر العثماني
٦٩٨-١٣٤٢ هـ) يتباركن بمدفع طوب أبو خزيمة في
مدينة بغداد. وطوب أبو خزيمة كان ينتصب في
ساحة الميدان في منطقة باب المعظم وسط
بغداد، وقد ورد ذكره في مصادر تاريخية عديدة
على أنه وصل إلى بغداد مع العثمانيين عام ١٦٣٨
م بقيادة السلطان مراد الرابع، ويقال إن له

الفضل الكبير في دحرجيوش الصفوين
واستعادة بغداد من قبل العثمانيين.

ثم أصبح الناس يزورونه للتبرك به، إذ كانوا
يصدقون كل ما يقال عنه من قصص وأساطير
وخرافات، ولا سيما بعض النسوة، حتى وصلت
الأساطير حول كرامات طوب أبو خزيمة إلى حد
صار فيه النساء يتبركن به وينذرن له النذور،
ويربطن به الخيوط على نحو ما يصنعن في
المرقد المقدسة!

كما جرت العادة عند البعض أن يؤتى بالمولود
الجديد في يومه السابع فيطاف به حول المدفع
ويدخل رأسه في فوهته ثلاث مرات. وظلت هذه
العادات جارية حتى عهد متأخر، ولحين نقله إلى

المتحف الحربي في الباب الوسطاني في منطقة
الشيخ عمر السهروردي، ثم إلى المتحف الوطني.

ولكن أعظم بلاءٍ أصاب العراق بعد عام ٢٠٠٣
بعد السياسيين الفاسدين والتبعيين، هم
أصحاب المنابر التراثية والشعب المغفل الذي
يقلدُهم فيما يقولون بفكرة النقل قبل العقل،
وتقدس حكايات التاريخ الموغلة بالقدم، وكأنها
الدين المنزل من السماء.

وهذا نموذجٌ لبعض الخرافات التي يروج لها
البعض من الناس من ضعف الدراية والوعي:
(حدثت اليوم معجزة بركات راية أبي الفضل
العباس (عليه السلام)، إذ أن شبيهة أبي الفضل
العباس في هيئة فاطمة الزهراء للتمثيل السيد

(قاصد الموسوي) كانت زوجته قد فقدت بصرها منذ فترة ليست بالقصيرة، وبعد مراجعات للأطباء لم تنفع سوى مسألة واحدة حدثت يوم أمس، إذ شارك السيد يوم أمس في تمثيل هيئة البراكية، وقد طلب حاجته من راية أبي الفضل العباس (ع)، وإذا بالمعجزة حدثت وأخبروه بأن زوجة السيد قد شفيت من مرضها وهي في صحة جيدة!).

في الجانب الآخر، حذر رئيس الوزراء البريطاني السابق (ريشي سوناك)، من أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يُسهّل تصنيع الأسلحة الكيميائية والبيولوجية. وقال - في خطاب يهدف إلى تقديم المملكة المتحدة كدولة رائدة عالمياً في

مجال الذكاء الاصطناعي - إنه في أسوأ السيناريوهات يمكن أن يفقد المجتمع كل سيطرته على الذكاء الاصطناعي، وعلى الرغم من اعترافه بأن هذه التكنولوجيا تخلق فرص عمل بالفعل وأن تطويرها من شأنه أن يحفز النمو الاقتصادي والإنتاجية، فإنه يرى أن التخفيف من خطر انقراض البشر بسبب الذكاء الاصطناعي يجب أن يكون "أولوية عالمية" (٥) ... هكذا يتطور العالم يومياً، ونحن نعيش في ظلام دامس / فهل من مدكر؟.

١٣- الفاسدون والتبعيون:

من أسباب تخلفنا وتدهورنا هم الفاسدون الذين سرقوا العراق، والتبعيون المرتبطون بدول الجوار، كما قال رجل الدين العراقي السيد مقتدى الصدر مؤخرًا. وهذا يذكرني بتحقيق الهوية الذي كان يُجرىه النظام السابق لموظفي الدولة وللضباط والمراتب كافة في الجيش العراقي، ضمن استمارة تتكون من خمس صفحات تحتوي على معلومات كاملة عن الشخص المعني بما فيها إخوان زوجته وعمها وخالتها.

وحيثما قدمت الاستمارة عام ١٩٨٧م إلى أحد ضباط أممية مخابرة الفيلق الرابع العميد (...)

بحكم عملي الإداري، امتعض كثيرًا وأخذ
الاستمارة ورماتها على الأرض، وقال: من أين
أعرفُ خالَ وعمَّ زوجتي؟

والسؤال الذي يطرحُ نفسه: لماذا لم نجر تحقيقَ
هويةٍ للمسؤولين العراقيين الذين احتلوا
المناصبَ القيادية العليا في الدولة بعد عام ٢٠٠٣
قبل وقوع الكارثة؟ العراق اليوم يمرُّ بحالةٍ
تدميريةٍ تقودُ للإحباط، وتدفعنا نحو التفكيرِ
الظنيِّ السيِّءِ السلبيِّ، وتجعلنا ننظرُ إلى القضايا
من زواياها السلبية المتراكمة، وهذا بسببِ
سيطرة الأحزاب السياسية الإسلامية على
مقدرات الوطن، وثقيفها بموروثات الأفكارِ
الطائفية المسيطرة على العقول.

أولاً: لعبة الكراسي عندنا وعندهم

في اليابان، يأتون بتسعة كراسي لعشرة أطفال، ويقولون لهم: إن عددكم أكبر من عدد الكراسي الموجودة، إذا أحدكم بقي دون كرسي يخسر الجميع! يحاول جميع الأطفال احتضان بعضهم البعض لكي يتمكنوا من الجلوس على تسعة كراسي.. ومن ثم يقللون عدد الكراسي تباعاً، مع بقاء قاعدة أنهم يجب أن يتأكدوا من أن لا يبقى أحد منهم دون كرسي وإلا خسروا جميعاً.. فيتعلم الطفل ثقافة "لا نجاح لي دون مساعدة غيري على النجاح"، هنا يتعلم الياباني كيف يتعاون مع الآخرين لكي يكسب الجميع.

أما في العراق... يأتون بتسعة كراسي لعشرة أطفال، ويقولون للأطفال: إن الرابع هو من يجلس على الكرسي قبل الآخرين، ومن يبقى بدون كرسي يكون خارج اللعبة، ثم يقللون عدد الكراسي كل مرة، فيخرج طفل كل مرة حتى يبقى طفل واحد، ويتم إعلانه أنه الفائز، ويبدأ التصفيق، فيتعلم الطفل ثقافة "نفسى نفسى"، ولكي أنجح يجب أن أبتعد عن الآخر.

مع الأسف، كنا في المدارس الابتدائية نمارس أو نشاهد هذه اللعبة. نحن نعلم الطفل كيف يُزيح الآخرين، وليس كيف يتعاون معهم للحصول على حاجته! لقد أذنتي كثيراً هذه العقلية التي تفكر في

إزاحة الآخر، وليس كيف يمكن التعاون معه

لتطوير البلاد وعقليات أبنائها ومؤسساتها. (٦)

ثانياً : عندما تُوكَلُ المسؤوليةُ لمن يخافُ اللهَ

طَلَبَ الخليفةُ (عَمَرُ بْنُ الخُطَّابِ ١٣-٢٣ هـ) رضي

اللهُ عنهُ من أهلِ حُمَصٍ أن يَكْتُبوا لهُ أسماءَ

الفُقراءِ والمساكينِ في حُمَصٍ لِيُعْطِيَهُمْ نصِيْبَهُمْ من

بيتِ مالِ المسلمِينِ. وعندما وَرَدَتِ الأسماءُ

للخليفةِ، فُوجِيَ بوجودِ اسمِ حاكمِ حُمَصٍ (سعيدُ

بنُ عامرٍ) (٧) موجودًا بين أسماءِ الفقراءِ..

عندها تعجَّبَ الخليفةُ من أن يكونَ واليًّا على

حُمَصٍ ومن فقرائها، فسألَ أهلَ حُمَصٍ عن سببِ

(٦) مؤيد السليم

(٧) سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي القرشي الكناني (ت ٢٠ هـ / ٦٤٠ م) : صحابي جليل من كبار الصحابة وفضلائهم، أسلم قبل فتح خيبر ثم شهدا مع النبي محمد ﷺ وشهد ما بعدها من الغزوات، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب أميراً على حلب وما يليها من بلاد الشام , وتوفي وهو عليها في سنة ٢٠ هـ في خلافة عمر بن الخطاب.

فقره. فأجابوه أنهم يُنفقون جميع راتبه على الفقراء والمساكين، ويقول: "ماذا أفعل وقد أصبحت مسؤولاً عنهم أمام الله تعالى؟" وعندما سألهم الخليفة: "هل تعيبون شيئاً عليه؟" أجابوا: "نعيبُ عليه ثلاثاً: فهو لا يخرج إلينا إلا وقت الضحى، ولا نراه ليلاً أبداً، ويحتجب علينا يوماً في الأسبوع!"

وعندما سأل الخليفة سعيداً عن هذه العيوب، أجابه: "هذا حقُّ يا أمير المؤمنين. أما الأسبابُ فهي:

• أما أني لا أخرج إلا وقت الضحى؟ لأنني لا أخرج إلا بعد أن أفرغ من حاجة أهلي وخدمتهم، فأنا لا خادمٌ لي وامرأتي مريضة.

• وأما احتجابي عنهم ليلاً؛ لأنني جعلتُ النهارَ

لقضاءِ حوائجهم، والليلَ جعلتهُ لعبادةِ ربي.

• وأما احتجابي يوماً في الأسبوع؛ لأنني أغسلُ فيه

ثوبي، وأنتظرُهُ ليَجفَّ، لأنني لا أملكُ ثوباً غيرهُ.

فبكى أميرُ المؤمنينَ عمرَ رضيَ اللهُ عنه.

١٤- من وحي أفكارى:

قضينا سنيناً طوالاً في صراعٍ مع ظروفٍ غامضةٍ

من العوزِ والحاجةِ، ولم نجبْ على أسئلةٍ من

نحنُ، ولم نشتكِ لأحدٍ. إنَّ الكلماتِ والعباراتِ

المشحونةِ في خطابِ الكراهيةِ أخطرُ من رصاصاتِ

البنادقِ المستخدمةِ حالياً في قتلِ الإنسانِ. وإن

كانَ انتشارُ السلاحِ خطراً يهددُ مستقبلَ العراقِ

وأهله فإنَّ المسماةَ السياسيةَ أخطرُ وأعظمُ
الأخطارِ في البلادِ، لكنَّ دولةَ الميليشياتِ المنفلتةَ
حتمًا فاشلةٌ، وخطابُ الائتلافِ سيقودنا جميعًا
إلى المحرقةِ دونَ استثناءٍ.

ملخصُ ما حصل... دولةٌ بوليسيةٌ منهكةٌ
ومعارضةٌ ذئبيةٌ تنتظرُ وقوعَ الفريسةِ لتمزيقها،
حارسُ الفريسةِ يشتركُ معهم... ينهبونَ تحتَ
قوانينِ انتقاليةٍ ودستورٍ على مقاساتهم...
عائلهم المترفةٌ في الخارجِ.

يغرفونَ من هذه الفريسةِ ويرشونَ جمهورًا
يحميهم بقوةِ السلاحِ أمامَ فتاتٍ تُرمى إليهم أولًا...
ليست فتاتٍ فبلادٌ مشرعةٌ للنهبِ... أغنياءُ جددُ

وأغنياء سلبوا بنوك الدولة ويعملون بالخفاء (نور
زهير وهيثم الجبوري نموذجًا).

أوغادٌ لا تخجلُ ولا تستحي مسكتُ مقدراتِ البلادِ
تحتَ لا عدالةٍ بالمطلقِ، فهم مهرجاتُ البلادِ
وباروناتُ الديمقراطيةِ والمنحةِ الأمريكيةِ... كلُّ
هذا الدمارِ لا ينقذُ بلدَ الحضاراتِ منه إلا ثورةً من
الشمالِ إلى الجنوبِ... تبيدُ هذه الرؤوسَ التي
استقوتُ على البلادِ بالثأرِ والخارجِ واستسهالِ
الدماءِ وأن تقفَ معَ الناسِ قواتٌ مسلحةٌ شريفةٌ
ليسَ لها إلا العراقَ هدفًا، وقضاءٌ عادلٌ يقفُ
وقفتهُ إلى جانبِ البلادِ وإلا فنحنُ في خطرٍ مرعبٍ
ولا مستقبلَ لبلادنا ولأجيالنا القادمة.

لقد وصلتُ إلى الماركسية بوصفها فلسفةً ملائمةً
وكانتُ لي مخرجًا من الحلقة المفرغة للعدمية
المطلقة، وليس من خلال الأدبيات السوفيتية أو
الأحزاب الشيوعية التقليدية، ولذلك فإنَّ
الأحداث التي رافقت التجارب والتطبيقات
الاشتراكية أو التي أدت إلى إلغاء المنظومة
الاشتراكية والاتحاد السوفيتي لم تُغير في
اتجاهاتي الفكرية، كما حدث لعدد كبير من
المفكرين والمثقفين الماركسيين؛ ذلك أني لم أصل
إلى الماركسية عبر الاشتراكية القائمة بالفعل
(الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية
والأحزاب الشيوعية) لكنني اكتشفتها اكتشافًا،
ولم أعتنقها تلبيةً لحاجات ومصالح وعلاقات غير

عقلية، ولأنّ اكتشافها جاء إنقاذاً لي وحلاً لمأزقي
فكريّ - روعيّ.

١٥- من ذكريات الماضي القريب:

وهكذا بدأت حياتنا بحربٍ في الفوج الأول / لواء
٢٧ المشاة الآلي / الفرقة الآلية الأولى / الفيلق
الرابع، وسوف تنتهي بحربٍ مدمّرةٍ بين الفصائل
المسلّحة المعارضة للنظام السابق آنذاك... ونحن
لا نزالُ بين القصفِ والقصفِ المتبادل!

التطبيرُ بالنعالِ على الإمام الحسين (ع)؟! و انتقادُ
المرجعية الدينية في مدينة النجف لسُكوتهم عن
الظواهر الانحرافية والخرافات في الشعائر
الحسينية، مثل التطبير والتطين والمشى على
النار والضرب بالسكاكين وإسالة الدماء، وإظهار

صورة الإمام الحسين أو صورة الإمام العباس
وهما يبكيان دموعًا ودمًا، أو إظهار قطعة من
اللحم مكتوب عليها اسم الإمام لا تحرقها النار
عند شويها، أو إناء هريسة مكتوب عليه اسم
الحسين.

فهذه الشعائر الانحرافية قد أساءت للإسلام
الشيعة ونفرت الناس عن أهل البيت والإمام
الحسين! كما قال السيد كمال الحيدري، رجل
الدين الشيعة المقيم في مدينة قم الإيرانية. ومن
أراد أن يتعرف على الموضوعات والخرافات التي
دُست في كتب التراث الشيعة، فعليه أن يدرس
ويبحث في كتب ومصادرتاريخ العهد البويهي
والصفوي، فإنه سيلمس فيها الكثير من الموارد

التي أُضيفت ودُسَّت وسُوِّغَ لها وقُنِّت من قِبَلِ
بعض حُكَّامٍ وأُمراءٍ وسلاطينِ الدولةِ البويهيةِ
والمغوليةِ والصفويةِ.

ولا يخفى أنه كان لوعاظٍ وفقهاءٍ تلك الدولِ دورٌ
كبيرٌ في سنِّ بعضِ الأحكامِ وترسيخِ بعضِ الأفكارِ
والعقائدِ المتطرفةِ في كتبِ التراثِ الشيعيِّ. إذ نُقلَ
عن العلامةِ السيدِ موسى الزنجانيِّ في كتابِ (من
سيرةِ العلماءِ) في الصفحةِ (٣٧) النصُّ
التالي: [ويقولُ محمدُ خان في التعليقِ عليه ما
ترجمته: هذه إشارةٌ إلى أسطورةٍ تتعلقُ بهذا
القاضي مجدِّ الدينِ بنِ إسماعيلِ الفالي، نقلها
ابنُ بطوطةَ في رحلتهِ - ج ١، ص ١٢٨ - ١٢٩ -
بالتفصيلِ، وذكرها السبكيُّ في طبقاتِ الشافعيةِ

ج ١، ص ٨٠- إجمالاً. وخلصتها: أن السلطان أولجايتو محمد خدابنده...]. (٨) بعد أن اختار مذهب التشيع في سنة ٧٠٩ هـ.ق، أرسل إلى جميع الولايات بإسقاط أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطبة، وأن يقتصروا على اسم الإمام عليّ والحسن والحسين -عليهم السلام-، وأن يضعوا على سكة النقود أسماء الرسول والأئمة الاثني عشر -عليهم السلام-، ويزيدوا "حيّ على خير العمل" في الأذان وغير ذلك من خصوصيات مذهب التشيع. وقد نُفذ أمره هذا في جميع الولايات التابعة لإيران، عدا شيراز وبغداد وقزوين، حيث لم يقبل أهالي هذه الولايات الثلاث

(٨) محمد خدابنده أولجايتو : ثامن ملوك الإلخانية. حكم بين عامي ١٣٠٤ و ١٣١٦ م. هو ابن حفيد هولاكو، وابن أرغون، وشقيق وخليفة محمود.

تنفيذ الأمر. فأمر- أولجايتو- بإحضار قضاة هذه
الولايات الثلاث إلى -قرباغ- حيث مصيف
السلطان.

وكان أول من أحضره وهذا القاضي مجد الدين
من شيراز، فأمر السلطان برميّه في بركة السّباع.
وكانوا يرمون المجرمين المستوجبين للقتل في ذلك
المكان الواسع المهيأ لذلك بدون قيد، ثم يُطلقون
السّباع والكلاب الضاربة التي رُبّيت لافتراسهم،
فتهجم السّباع على الرجل فيحاول الفرار من كلّ
طريق إلى أن تأخذه السّباع فتفرّق أعضائه وتأكّل
لحمه، والسلطان يستمتع مع الآخرين بذلك
المنظر المفجّع.

لم تكن هذه الزيادة الوحيدة التي أُضيفت للتراثِ
الشيعيِّ، بل قد سبقتها ولحققتها زياداتٌ وإضافاتٌ
وطقوسٌ وشعائرٌ وتقاليدٌ بدعيةٌ وخرافيةٌ دخيلةٌ،
لا تمتُّ إلى الإسلامِ ولا إلى التشييعِ بصلةٍ، لا من
قريبٍ ولا من بعيدٍ... والمسلسلُ مستمرٌّ حتى يومنا
هذا.

١٦- الصدر يتنازل مرة أخرى:

في ٢٩ آب ٢٠٢٢، وجّه رجلُ الدينِ الشيعيِّ السيّدُ
مقتدى الصدر أتباعه بالانسحابِ من المنطقةِ
الخضراءِ بعد سقوطِ ٥٠ قتيلٍ و ٣٨٠ جريحٍ من
أنصاره والقواتِ الأمنيةِ. وانتقدَ التيارُ الصدريُّ

لاستخدامه السلاح، واعتبرَ القاتلَ والمقتولَ من

الطرفين في النار.

انتهت حربُ الخضرَاءِ!

وتصافحَ السيّدُ مقتدى الصدرُ مع المالكِ

والخزعليّ.

وبقيت أمُّ حسينٍ تنتظرُ ولدها الشهيدَ.

وزينبُ تنتظرُ زوجها الحبيبَ.

وأولئك الأطفالُ ينتظرون والدهم المنسحبَ من

الاحتجاجاتِ... دون تحقيقِ مطالبهم.

ويظلُّ أبناءُ العراقِ يدفعون الثمنَ غالياً.

تعطّلت محلاتُ صياغةِ وبيعِ الذهبِ، وركودُ

أصابَ محالَّ صيرفةِ الدولارِ، مع عزوفِ نسبةٍ

كبيرة عن التداول بالدولار في بغداد على وجه الخصوص.

وطوا ايركبيرة اصطفت امام محطات التعبئة، رغم عدم وجود نقص في الوقود، لكن خشية من قطع الطرق المفاجئ.

وجهت الداخلية بفتح الطرق وتسهيل اجراءات شاحنات نقل الاغذية لبغداد والمحافظات، لمواجهة الارتفاع الطفيف في اسعار المواد الغذائية، كالخضروات، والطحين، والرز، والزيت. عطلة رسمية في اغلب المحافظات، مع حركة مرور طبيعية فيها.

١٧- أسطورة المخلص مقتدى الصدر:

الـبعضُ من صغار العقولِ يعتقدُ أن السيّد
(مقتدى الصدر) هو مُخلِّصُ الشيعةِ من التبعينِ
والفاسدينِ، لذلك اندفعوا جميعاً في تظاهراتٍ
عارمةٍ، ومن جميعِ محافظاتِ العراقِ، نحو
القصور الرئاسيةِ في المنطقةِ الخضراءِ وسطَ
العاصمةِ بغدادَ، وقدموا الشهداءَ والجرحى.

وبعدَ ٢٤ ساعةً من القتالِ المستمرِّ، عادَ مرةً
أخرى لذمّهم والانتقاصِ من بطولاتهم، ودعاهم
إلى الانسحابِ الفوريِّ.

والحقيقةُ الثابتةُ أنّ المُخلِّصَ لم يأتِ ولن يُخلِّصَ
أحدًا، ويبقى الناسُ في انتظارهِ صابرينَ على
المعاناةِ، لا يفعلون شيئاً لتخليصِ أنفسهم.

وهذه الفكرة المتوارثة من الأجداد ظهرت عند
الشيعة في نهاية القرن الثالث الهجري، مع طول
معاناتهم القديمة وبؤس أحوالهم حتى اليوم.
فمتى يخرج الشعب من عباءة القائد الطقوسي
والمخلص الوهمي، الذي رافق تاريخنا وحياتنا
أكثر من ألف ومائتي عام؟.

“إن مفهوم السفينائي يُعبّر عن آخر حكم منحرف
للمنطقة قبل ظهور الإمام المهدي، ويمكننا أن
نصف هذا الحكم بما ثبت له من الصفات:
كدخول سوريا والعراق تحت حكم واحد أو
متشابه، وحقده على أهل الحق، وإرساله الجيش
ضد المهدي أو ضد جماعة من أهل الحق
المخلصين، يكون المهدي موجدًا فيهم بعنوان

أخَر غير حقيقتِه، وحدثِ الخسفِ على هذا
الجيشِ.

والمهديُّ : هو الذي يُزيلُ حكمَ السفِيانيِّ، لأنَّه إذا
دخلَ العراقَ، فإنَّه يُواجهُ حكومتَه لا محالةَ. فإذا
كانَ الحاكمُ هو المعبرَ عنه بالسفِيانيِّ، فإنَّ الذي
يُواجهُه في العراقِ هو السفِيانيُّ بطبيعةِ الحالِ،
ولكنه سوفَ يقضي عليه على كلِّ حالٍ، وبذلكَ
سوفَ يكونُ آخرَ الحكامِ المنحرفينَ لهذِهِ
المنطقةِ” (٩)

وَأنا شخصيًّا أنتظرُ المُخلصَ الذي يُبشِّرُ به
الدكتورُ أبو علي الشيبانيُّ، نقلًا عن معلمه القابعِ
في غرفةٍ مظلمةٍ بإحدى بيوتاتِ العاصمةِ اللبنانيةِ

(٩). السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الصَّدْرُ / مَوْسُوعَةُ الإِمَامِ المَهْدِيِّ / تَارِيخُ مَا بَعْدَ الظُّهُورِ: ص (١٧٤).

بيروت، والذي قال عنه مؤخراً أنه ذهب ومعه
أربعين مقاتلاً الى جنوب لبنان للقتال مع حزب الله
اللبناني ليقلب أعلاها أسفلها.

١٨- الوعظ الديني... الى أين؟

خُطباء المنابر، بما يملكونه من أحاديثٍ وقصصٍ
خرافيةٍ مُعادةٍ، يُعدُّون سبباً أساسياً في تخلفِ
المجتمعِ العراقيِّ، لأنهم يعتقدون بعدالةٍ ما
يُقدِّسون وعصمته عن الزل. ويرون أن سببَ
بلاءِ البلادِ والمؤسساتِ هم الفقراءُ والبسطاءُ،
وبينهم خريجو الكليات والمعاهد، الذين جفَّت
جلودهم ونظفَّت جيوبهم من شحَّةِ المالِ، وليس
السلطانَ أو الرئيسَ "بالمعنى الواسعِ للمصطلحِ".

لذلك نراهم يُغالون في وعظِ العامّةِ ونُصحِهم،
لكي تتحسنَ أخلاقُهم، وبالتالي تتحسنَ أمورُهم
الماليةُ.

وزاد الطينَ بِلّةً ظهرُ فقهاءِ البوّهيةِ كالصدوقِ
والمُفيدِ والطوسيِّ، والسلاجوقيةِ كالمُاورديِّ
والجوينيِّ والغزاليِّ، وكلّهم من غيرِ العربِ، فدسُّوا
مالهم يكن منها. وجاءَ من بعدهم الحليُّ وابنُ
تيميةَ، اللذان ساهما بتفسيراتهم المتزمتةِ
والمُغاليةِ في التشظّي والتفرقةِ، حتى أصبحَ
الإسلامُ يُعادي الحقَّ والعقيدةَ والآخرينَ من أجلِ
السلطةِ، لا من أجلِ المسلمين. وهكذا أصبحَ
إسلامُ محمدٍ الأمينِ (ص)، خُرافةً في مؤسساتِ
الدينِ المختلفةِ.

الذي أودَّ الإشارة إليه هنا، هو أنَّ الواعظَ لا
ينحصرُ وجودُه أو مكانُه في الأمورِ الدينيةِ فقط،
بل بالإمكانِ رؤيتهُ في كثيرٍ من الأمورِ التي يهتمُّ بها
الناسُ. فقد أصبحَ يأتيكَ اليومَ على شاكلةِ
"المُستشارِ" أو "الخبيرِ المُفَوَّهِ" الذي لا يُشقُّ له
غبارٌ، والذي يُمكنكُ أن تراهُ في مختلفِ المجالاتِ
الوظيفيةِ والإداريةِ وفي مؤسساتِ الدولةِ.

١- في مجالِ التربيةِ، نجدُهم يأمرونَ الناسَ
بالتزامِ الوقارِ والسكينةِ وخمودِ الأنفاسِ،
وحفظِ دروسٍ معينةٍ، غيرَ دارينَ بأنَّ هذا
الوقارَ المُصطنعَ يقودُ إلى نتائجٍ وخيمةٍ.

٢- في مجالاتِ الطبِّ، يأتونكُ بالطبِّ البديلِ،
ويُغرقونكُ بأشياءَ لا يُقرُّها العلمُ الحديثُ،

زاعمين أنها تشفي المريض أو تُجدِّدُ شبابَه،
وأنَّ الأجدادَ استخدموها.

٣- في مجال السياسة، يدعونك إلى رفض كلِّ
الآراء التي يطرحها الآخرون، بحُجَّةٍ أنهم أعداءُ
مُغرضون ولا تهمُّهم مصلحةُ البلدِ.

٤- في مظهر الزيّ الإسلامي، جعلتُ بعضُ
الجماعاتِ منه قيمةً دينيةً، أي على الرجل أن
يرتدي القميصَ ويُطَلِّقَ اللحيةَ، وعلى المرأة أن
تضعَ النقابَ أو البرقعَ وتلبسَ القفَّازَ
والجواربَ، لكي تميَّزَ عن باقي النساءِ
المُسلِماتِ.

٥- كذلك، قضية الإمام "المهدي المنتظر" لدى
كثيرٍ من المفكِّرينَ وحتى عند المرجعيَّاتِ

الدينية، وما طرأ حولها من خلافات بين المسلمين. فهذا المنتظر عند أهل السنة والجماعة يختلف عن رؤية الشيعة له (الإمام الغائب)، فكل طائفة تصف هوية الأخرى (الغريم) وصفاً سلبياً.

كما يعتقد الشيعة في عصر الغيبة الكبرى بأن المرجعية تكون للفقهاء ولا يجوز لغيرهم تولي ذلك ، فمنذ ابتداء الغيبة الكبرى سنة ٣٢٩ هـ والتي ابتدأت بوفاة السفير الرابع (علي بن محمد السمرى) رجعت الشيعة إلى الفقهاء العدول لمعرفة تكاليفهم الدينية والشريعة ، فالفقيه القادر على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة أحكام الله بالنسبة لعامة الناس.

يقول العلامة (محمد رضا المظفر) في عقائد الإمامية: "عقيدتنا في المجتهد: وعقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط، أنه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للأمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والرادُّ عليه رادُّ على الإمام والرادُّ على الإمام رادُّ على الله تعالى، وهو على حدِّ الشرك بالله كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت عليه السلام".

والحديث الذي يشير إليه المظفر هو الحديث المروي عن (داود بن الحصين، عن عمر بن حنظلة) قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو

ميراثٍ فتحاكموا إلى السلطان وإلى القضاةٍ أيحلُّ ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حقٍ أو باطلٍ فإنما تحاكم إلى الطاغوتِ، وما يحكمُ له فإنما يأخذُ سحتنا وإن كان حقاً ثابتهُ، لأنه أخذهُ بحكمِ الطاغوتِ وما أمرُ الله أن يكفرَ به، قال اللهُ تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقد أمروا أن يكفروا به) قلتُ: فكيف يصنعان؟ قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فاني قد جعلتهُ عليكم حاكماً، فإذا حكمَ بحكمنا فلم يقبلُ منه فإنما استخفَ بحكمِ اللهِ وعليه ردُّ، والرادُّ علينا رادُّ على اللهِ، وهو على حدِّ الشركِ

بالله " (وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٩٩).

وبالإسنادِ عن أبي محمدٍ عليه السلامُ قال : قال
عليُّ بنُ محمدٍ عليهما السلامُ : " لولا مَنْ يبقى بعدَ
غيبةِ قائمنا عليه السلامُ من العلماءِ الداعينَ
إليه ، والدالينَ عليه والذابينَ عن دينه بحججِ الله
، والمنقذينَ لضعفاءِ عبادِ الله من شباكِ إبليسَ
ومردته ومن فخاخِ النواصبِ لما بقيَ أحدٌ إلا ارتدَ
عن دينِ الله ولكنهمُ الذينَ يمسونَ أزمّةَ قلوبِ
ضعفاءِ الشيعةِ ، كما يمسونَ صاحبَ السفينةِ
سكانها أولئك همُ الأفضلونَ عندَ الله عزوجل ")
بحارُ الأنوارِ ج ٢ ، ص ٦ .

وقد بينَ الإمامُ المهديُّ (عليه السلامُ) السبيلَ
الذي يجبُ أن يسلكهُ المؤمنونَ في عصرِ غيبتهِ في
التوقيعِ الصادرِ عنه حيثُ جاءَ فيه : " أما ما

سألت عنه أرشدك الله وثبتك... إلى أن يقول :
وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواية
حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله ")

الاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٨٣).

١٩- زيارة الأربعين الحسينية ودروس الاب

الغني الاب الفقير:

تمهيد:

يقيم الشيعة سنوياً وفي جميع أنحاء العالم،
مراسم ذكرى يوم الأربعين بعد استشهاد الإمام
الحسين بن عليّ (ع)، الذي قُتل في اليوم العاشر
من شهر محرم سنة ٦١ للهجرة، الموافق لـ ١٢
تشرين الأول/أكتوبر ٦٨٠ م، وقيمون مراسم

عزاءٍ حاشدةً ومختلفةً لإحياءِ الذكرى التي قُتِلَ فيها أيضاً أصحابُ الحسين وأهل بيته، تلك المراسمُ التي تبدأ اعتباراً من أول يومٍ في محرّمٍ حتى آخريومٍ في شهرِ صفرٍ من كلِّ عامٍ.

لكنَّ مسيرةَ "الأربعين الحسينية" التي تُعْتَبَرُ إحدى هذه المراسمِ، وتتزامنُ مع يومٍ ٢٠ من شهرِ صفرٍ، اشتهرتُ في الآونةِ الأخيرةِ أكثرَ من السابقِ، بسببِ تزايدِ الأعدادِ وكثرةِ ولائمِ الطعامِ.

وقال إعلامُ العتبةِ الحسينيةِ في مدينةِ كربلاءِ في بيانٍ تلقتُ صحيفةً {الفرات نيوز} نسخةً منه: "إنَّ أعدادَ زائريِ الأربعينِ لعامِ ١٤٤٥هـ بلغَ ٢٢ مليوناً و١٩ ألفاً و١٤٦ زائراً".

فيما أعلنت إيران عن مشاركة أربعة ملايين زائرٍ
إيرانيٍّ في الزيارة بالعراق.

وهذا العدد، فإنَّ العامَ/٢٠٢٣ قد سجَّلَ رقماً
قياسياً لم تشهدهُ الزياراتُ السابقةً في الأعوامِ
الماضية. وبحسبِ الإحصائياتِ، أنفقتْ إيرانُ
خلالَ العامِ المذكورِ أكثرَ من ٥٦٠ مليونَ دولارٍ
أمريكِيٍّ في شتَّى المجالاتِ لإقامةِ مراسيمِ الأربعينِ
الحسينيةِ.

أضافةً إلى الزوّارِ الشيعةِ الآخرينَ القادمينَ من
الهندِ و أفغانستانَ وباكستانَ والدولِ الخليجيّةِ،
ومن جميعِ أنحاءِ العالمِ، إذ يفضِّلُ أغلبُهُم أن
يأتوا مشياً على الأقدامِ من مدينةِ النجفِ

الأشرف وصولاً إلى مدينة كربلاء حيثُ يقعُ قبرُ
سيد الشهداء الإمام الحسين (ع).

ونتيجةً للحشود المليونيّة، كشفتُ مديريةُ المرورِ
العامةً بالعراق عن حصيلة حوادث السير
المسجلة لديها، خلال فترة الزيارة الأربعينيّة.

أولاً: الخدمات والحوادثُ

لا تخلو هذه المسيرة التي يمشيها الملايين براً وجواً
من الحوادث والنوبات الصرحيّة الناتجة عن
الاكتظاظ الخانق، خصوصاً في موسم الصيف
والطقس الحارّ، وكذلك عدم وجود أرضيّة
مناسبة لاستقبال هذا الكمّ الهائل من الزوّار،
فكثيرٌ منهم يواجهون متاعب صحيّة مختلفة، دون
وجود مراكز طبيّة أو طوارئ كافية لمعالجتهم، أو

حتى رفع مستوى التأهب على طول الطريق،
فبعض القادمين أو المشاة يفقدون حياتهم جرّاء
نقصان تلك الخدمات.

وأشار الناطق باسم المديرية، العميد زياد
القيسي، إلى تسجيل ٢٠٠ ضحية و ٩٠ حادث سير
تشمل الدهس والانقلاب والاصطدام، خلال أيام
الزيارة، فيما أشار إلى أنّ القيادة بسرعة شديدة
وعدم الانتباه

والسياقة تحت تأثير النعاس والمخدر والمسكر،
واستخدام الهاتف النقال "كانت من أبرز أسباب
وقوع تلك الحوادث.

ويواجه هؤلاء الزوار في طريقهم، مضايف عراقية
تحت مسمى "المواكب الحسينية"، التي تقدّم لهم

كلّ أنواع الطعام والفواكه والملابس، وبقية الخدمات، منها: التدليك والاستحمام وغسيل الملابس وغيرها، باسم "الخدمة الحسينية" أو "خدمة زوّار الحسين".

ثانياً: الكلفُ الخيالية والخدمةُ المجانية

قالت العتبة العباسية في إحصائية مقتضبة تابعها موقع "أترا عراق"، إنّ "أعداد زائري الأربعين لعام ٢٠٢٣ الموافق ١٤٤٥ هـ بلغ أكثر من ٢٢ مليون زائرٍ". والرقم نفسه في عام ٢٠٢٤. وتجاوز عدد زائري الأربعينية في عام ٢٠٢٢ حاجز ٢١ مليون زائر، بينهم ٥ ملايين زائرٍ من الدول الأخرى، وفق إحصائية العتبة العباسية.

ولا تقتصرُ الزيارةُ الأربيعينية للأضرحة الدينية في مدينة كربلاء على المواطنين والمقيمين، بل يستقبلُ العديداً من مواطني إيران والخليج العربي وبقية دول الشرق الأوسط وآسيا.

وفي وقتٍ سابق، أعلنت سلطة الطيران المدني العراقي، وصول أكثر من ربع مليون زائرٍ عبرَ المطارات العراقية خلال أيام الزيارة الأربيعينية عبرَ ١٨٥٠ رحلةً جويةً من خلال مطارات النجف وبغداد والبصرة. بالمقابل، بلغت أعداد الوافدين عبرَ المنافذ الحدودية ٣ ملايين و ٧٥٠ ألف زائرٍ مع قرابة ٩ آلاف عجلةٍ وفق آخر إحصائية لوزارة الداخلية العراقية.

٢٢ مليون زائر:

٢٢ مليون زائرٍ × ١٠٠ دولار كلفة الزائر الواحد
اليومية مصاريف مباشرة وغير مباشرة = ٢,٢٠٠
مليار دولار في اليوم الواحد × ١٠ أيام إقامة على
أقل تقدير = ٢٠,٢٠٠ مليار دولار مجموع
المصاريف المجانية العامة للسنة الواحدة × ٢٠
سنة = ٤٠٠,٢٠٠ مليار دولار إجمالي الصرف.

وهذا يبدو واضحاً من خلال مبيعات البنك
المركزي العراقي خلال فترة تلك الزيارة والتي
وصلت إلى بيع أكثر من مليار دولار أمريكي أسبوعياً.

وذكر مراسل وكالة شفق نيوز، أنّ البنك المركزي
باع يوم ٥ أيلول/٢٠٢٣ خلال مزاده لبيع وشراء
الدولار الأمريكي ٢٥٥ مليوناً و٦٨٤ ألفاً و١٨٤

دولارًا، بارتفاعٍ عن اليوم السابق التي بلغت المبيعات فيه ١٩٧ مليون دولارٍ غطاها البنك بسعرٍ صرفٍ أساسيٍّ بلغ ١٣٠٥ دينارٍ لكلِّ دولارٍ للاعتمادات المسْتندية والتسويات الدولية للبطاقات الإلكترونية وبسعر ١٣١٠ دينارٍ لكلِّ دولارٍ للحوالات الخارجية وبذات السعر لكلِّ دولارٍ بشكْلِ نقدي. وأضافَ مراسلهم أنَّ معظمَ المبيعاتِ من الدولارِ ذهبت لتعزيرِ الأرصدةِ في الخارجِ على شكْلِ (حوالات، اعتمادات) إذ بلغت ٢٠١ مليونًا و٨٤٨ ألفًا و١٨٤ دولارًا، فيما بلغت المبيعاتُ النقدية ٥٤ مليونًا و٢٠٠ ألف دولار. في عام ٢٠٢٢ وحده فحسب، بلغت صادراتُ إيرانِ إلى العراقِ أكثرَ من ١٠ ملياراتِ دولارٍ، وهو ما يُعتبرُ

مستوى جديدًا وغير مسبق ورقمًا قياسيًا في صادرات إيران لهذا البلد، التي تشمل صادرات منتجات عديدة كاللحوم والخضروات والفواكه والألبان والمواد الغذائية الأخرى، والملابس، حيث تصل هذه التبادلات التجارية في شهري محرم وصفر من كل عام إلى ذروتها.

ثالثاً: لماذا الأربعين الحسينية؟

ولماذا الشيعة يقدسون الأربعين الحسينية لهذه الدرجة؟ ويهتمون بالمسيرة والندوات ومراسيم الحداد والعزاء؟ الجواب نجده في الروايات الشيعة التي تقول إن أسرة الإمام الحسين (ع) زارت قبره في مثل هذا اليوم، وهم في طريق عودتهم

من الشام، إذ كانت النساء منهم سبايا، والآخرون
مكبلون لدى جيش يزيد بن معاوية.

وهناك رواية أخرى تفيد بأن (جابر بن عبد الله
الأنصاري) صحابي النبي محمد (ص)، وصل
كربلاء وزار قبر الحسين في هذا اليوم، ويُعتبر جابر
بن عبد الله الأنصاري الأول من بين الصحابة
الذين بايعوا النبي في بيعة العقبة الثانية، كما
يُعتبر من الحفاظ ومكثري الحديث، ومن رواياته
المعروفة "حديث اللوح" الذي ذكر فيه الرسول
أسماء أئمة الشيعة.

قد يكون هذان الدليلان الرئيسان في تقديس هذا
اليوم لدى الشيعة، إلى جانب أنه اليوم الأربعون
لذكرى استشهاد الإمام الحسين، إذ يُعرف عند

الشيعة وبعض العامة بأن مرور ٤ يومًا على وفاة
أي شخصٍ يكون بمثابة خاتمةٍ لأيام العزاء
والحزن.

الطقوس المتوارثة: تُعتبر الطقوس الدينية
المتوارثة إحدى وسائل التعبير الاجتماعي والروحي
للمجتمعات العربية والإسلامية منذ بزوغ عصر
الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي في مكة
غرب شبه الجزيرة العربية حتى يومنا هذا، باعتبار
تلك الطقوس توحيد الانتماء الاجتماعي وتبني
روابط قوية بين أفراد المجتمع، وإشاعة قيم الخير
والمحبة والتواصل بين أفراد تلك المجتمعات،
واستيعاب العبر التي لازالت معدومة نتيجة الغلو
الخطابي والشعارات التي تركز على توزيع الأكل

والمشروبات، والتي نراها من خلال وسائل
التواصل الاجتماعي المختلفة مثل تقديم أواني
طعامٍ طول كلٍ منها ٦ - ٧ متر من لحم العجل
والإبل للإيرانيين الداخلين عبر منفذ الشيب
الحدودي من محافظة ميسان (٣٦٥ كم) جنوب
شرق بغداد.. ولا نعرف من أقام تلك المأدبة
الكبرى التي كلفت أصحابها عشرات الملايين من
الدنانير العراقية. هذه واحدة من ملايين الولايم
المقامة في العراق للزوار الأجانب والعراقيين.

على الرغم من أن أغلب مواطني المحافظة من
قليبي الدخل أو من الخريجين ممن يبحثون عن
وظيفة حكومية، والكثير من متظاهريها تعرضوا
للقتل والاعتقالات الغامضة أو للإصابات العنيفة

من قبل قوات ما يُسمى مكافحة الشغب، في مجتمعٍ يشيعُ فيه البطالة والتسول والفساد العارمُ والخرابُ المتعمدُ من قبل بعضِ قاداته من ضعافِ الوطنية.

رابعاً: هل هناك علاقة بين المقدّسات وتخلّفنا؟.

الجواب: نَعَمْ. تشكّل المقدّساتُ جزءاً من تاريخنا العربيّ-الإسلاميّ، لكنّ الانشغال الدائمَ بها على مدار السّنة يؤدّي إلى إهمالِ العِلْمِ والحضارة الحديثة، مما يُغرقنا في حالةٍ من الجمود الفكريّ والخمول، ويدفعنا نحو الاندثارِ كشعبٍ كان يوماً صاحبَ أقدامِ الحضاراتِ ومهبطِ الأنبياء. حقائقٌ حولَ مَهْضَةِ الإمامِ الحسينِ عليه السّلامُ وبعضُ الإضافاتِ التي شوّهتْ صورتها :

١- رواية الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي، ٣٣٦ هـ - ٤١٣ هـ / ٩٤٧ م - ١٠٢٢ م) في كتاب الإرشاد (ج ٢، ص ١٢١-١٢٢): أمر يزيد بن معاوية أن تُنزل النساء ومعهن علي بن الحسين في دار مجاورة لداره، وأقاموا أيامًا. ثم دعا يزيد النعمان بن بشير، والي الكوفة السابق، وقال له: تجّهز لتخرجهم إلى المدينة. "فسار بهم في الليل كهيئة الحرس حتى دخلوا المدينة المنورة.

٢- تأكيد الشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد الطوسي، ٣٨٥ هـ - ٤٦٠ هـ) في كتاب مصباح المتعجب / أعمال صفر: "في العشرين من صفر كان رجوع السبأيا من الشام إلى المدينة المنورة."

٣- دَفَنُ الإِمَامِ الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وأصحابه: دفنهم بنو أسدٍ يومَ العاشرِ من مُحَرَّمٍ،
ولا صِحَّةٌ للرواياتِ التي تقولُ ببقاءِ الأجسادِ ثلاثةَ
أيامٍ في العراءِ، ولا صِحَّةٌ للروايةِ التي تزعمُ عَوْدَةَ
الإمامِ عليِّ بنِ الحسينِ عليه السَّلَامُ بمعجزةٍ
لدفنِ الأجسادِ..

٤- زيارةُ الأربعيين: لا أساسَ لها من الصِّحَّةِ، والمشْيُ
فيها من مدينةِ الفاو في جنوبِ العراقِ إلى كربلاءَ
هو من العاداتِ والتقاليدِ العراقية، ولا وجودَ له
في زمنِ آلِ البيتِ عليهم السَّلَام. وقد قال السَّيِّدُ
محمَّدُ حسينُ فضلُ اللهِ (١٩٣٥-٢٠١٠): "زيارةُ
الأربعيين فكرةٌ يهوديَّةٌ، ولا ثوابَ فيها، كما أنَّه لا

يوجد شيء اسمه سبعة أيام أو سنة في العزاء. كلُّ

هذا ليس من الإسلام، وإن كان غير مُحَرَّم.

٥- رَكْضَةُ طُورِيَج: هي عادةٌ مستحدثةٌ أوجدها أحدُ

رجالِ الدِّينِ، وانتشرتُ حتَّى أصبحتُ تُمارَسُ في

جميعِ المحافظاتِ الشِّيعِيَّةِ، حيثُ يركضُ الرِّجالُ

والنِّساءُ معًا نحوَ أحدِ المساجدِ أو الحُسَيْنِيَّاتِ.

٦- الزَّنْجِيلُ، التَّطْبِيرُ، التَّطْيِينُ، والمَشْيُ على

الجمرِ: هي اختراعاتٌ بوميَّةٌ وصفويَّةٌ، كما أنَّ شقَّ

الجيوبِ، وخَمْشَ الخدودِ، والنِّيَّاحَةَ، والجَزَعَ هي

أفعالٌ منهيَّةٌ عنها في الشَّريعة. وقد منعتُ إيرانُ

هذه الطُّقوسَ بأمرٍ من مرشدِها الأعلى السَّيِّدِ عليِّ

الخامنِيِّ.

٧- رُقَيْةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ: هي شَخْصِيَّةٌ وَهْمِيَّةٌ، وَقَبْرُهَا

فِي الشَّامِ قَبْرُ وَهْمِيٍّ.

٨- التَّعْطِيلُ يَوْمَ الْعَاشِرِ مِنْ مُحَرَّمٍ: هُوَ سُنَّةٌ بُوهِيَّةٌ

مَارَسَهَا الْحُكَّامُ حِينَمَا سَيَّطَرُوا عَلَى بَغْدَادَ فِي نَهَايَةِ

الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ (٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ م -

١٠٥٥ م).

٩- (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى

الْقُلُوبِ) لَا دَخَلَ لَهَا بِمَوْضِعِ الطُّقُوسِ الشَّيْعِيَّةِ

المَوْضُوعَةَ اجْتِهَادًا.

١٠- قَبْرُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ عَلِيٍّ (ع) فِي دِمَشْقَ قَبْرٌ

وَهْمِيٌّ، لِأَنَّهَا غَادَرَتْ الشَّامَ مَعَ مَنْ تَبَقَّى مِنْ

عِيَالِهِمْ، وَعَاشَتْ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ. تُسْتَخْدَمُ تِلْكَ

القبور والأضرحة لغرض السّياحة الدّينيّة وجلب
المال الوفير.

١١- رواياتُ الحثِّ على الزّيارة، وأنّها تعادلُ ألفَ
حجّةٍ وألفَ عمرةٍ، وتغفرُ الذُّنوبَ ما تقدّمَ منها وما
تأخّر، كلّها رواياتٌ مكذوبةٌ على أهلِ البيتِ (عليهم
السّلام)، وضعّها رجالٌ دينٍ متطرّفون، وتناقلتها
الأجيالُ جيلاً بعدَ جيلٍ عن طريقِ أنصافِ رجالِ
الدينِ المبشّرينَ بقُربِ نهايةِ العالمِ.

١٢- خروجُ النساءِ في بعضِ المواقبِ والمجالسِ
ناشِراتِ الشّعْرِ هو تطبيقيٌّ لمقولةٍ (بَرَزَنَ مَنْ
الخُدُورِ ناشِراتِ الشُّعُورِ) الموجودةِ في زيارةِ
النّاحيةِ المقدّسة. ولا أسْتبعدُ أنْ تكونَ زيارةُ
النّاحيةِ قد كُتبتْ في زمنِ البُوّهيينَ، حينَما

أخرجوا مواكب للنساء وهن ناشراتُ الشُّعورِ
للتعبيرِ عن الحزنِ في يومِ عاشوراء. كانت هذه
العادةُ تُمارَسُ في مدينتي خلالَ خمسينياتِ
وستينياتِ القرنِ العشرين.

واليومَ، حلَّت محلُّها (الملاية)، التي تجمعُ النساءِ
في البيوتِ من أجلِ البكاءِ والعيولِ، وترديدِ
القصائدِ الحماسيةِ التي تَذمُّ الأمويينَ من أولِّهم
إلى آخِرِهِم، والأوَّلَ والثانيَ والثالثَ. بعدها، تقبِضُ
الملايةُ أجرها، ويكونُ الأجرُ على قدرِ المشقةِ، وقد
يُدفعُ بالدولارِ الأمريكيِّ إذا كان صوتُها شجياً
وجِسْمُها ممشوقَ القوامِ.

يقولُ المؤرِّخُ العراقيُّ الكبيرُ عليُّ النَّشمي: "يوجدُ قبرٌ
في منطقةِ الدَّورةِ ببغدادَ لحاخامٍ يهوديٍّ اسمه

إسحاق. جاء شخصٌ مُنافِقٌ، ووضعَ قطعةَ قماشٍ

خضراءَ على القبرِ، وكتبَ عليه: (الإمام إسحاق

ابن الإمام الكاظم)، فصارَ مزارًا شيعيًا!.

خامساً: على مَنْ تَلْطُمُونَ، أيُّهَا الْمَغْفَلُونَ؟.

مَنْ يُبَرِّرُنَا قِيَامَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَوْسُّعَهَا فِي

العَمَدَيْنِ الْأُمَوِيِّ وَالْعَبَّاسِيِّ فَقَدْ أَخْطَأَ التَّقْدِيرَ،

وَأَغْفَلَ الْعِدَاوَةَ وَالْحِقْدَ الدَّفِينِ، وَلَمْ يَكْتُبْ لَنَا مَا

حَصَلَ فِي تَارِيخِ الْأُمَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ ظَلَمِ

الظَّالِمِينَ. لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فَيْضَانًا جَارِفًا يُشْبِهُ

فَيْضَانَ نَوْحٍ، وَإِنْ اخْتَلَفَ مَعَهُ بِالسَّيْفِ بَدَلًا مِنْ

الطُّوفَانِ الْمُغْرِقِ لِلْجَمِيعِ. لَكِنْ سَرَعَانَ مَا جَفَّ

وَانْحَسَرَ إِلَى الشَّاطِئِ، كَحَرَكَةِ الْمَغُولِ الَّتِي احْتَلَّتْ

أكثر من نصف العالم، ثم غدت اليوم دولة بلا تاريخ.

لكن المغول اليوم وعوا الإشكالية، فراحوا يعتذرون للتاريخ، ويُعيدون بناء الوطن من جديد. فأين نحن من مجازمكة والمدينة الأموية، وأبو العباس السفاح، والمنصور، وهارون الرشيد، وشلة الحكام الفاسدين؟ لماذا لا نعتذر للتاريخ.

وأخيرًا، فإن المراجعة الذاتية واجبة على كل مسلم ومسلمة، وفي جميع المستويات: مستوى الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، والأمة. والمراجعة والنقد الذاتي لا يقتصران على المسؤولين الفردية في نواحي العبادات والأخلاق والمعاملات فقط، بل يشملان المراجعة الفكرية،

والثقافيّة، والسياسيّة، والاقتصاديّة، ومراجعة
المواقف، وهي عمليّة مستمرّة باستمرار الحياة.

سادساً: الانتقال السلمي للشعائر الحسينية

الجديدة:

لقد حان الوقت للانتقال إلى شعائر حُسينيّة
جديدة، تتمثّل في ثقافةٍ مشتركةٍ مع الآخرين،
جوهرها الورعُ والتّقوى، أي الخوفُ من الله
والرغبةُ في العملِ الحَسَنِ، وتجنُّبُ الشعائرِ
القبیحةِ المتوارثةِ من عَفَنِ التاريخ، وتركُ
المُسْتوردِ منها من دولٍ وشعوبٍ كانت سادةً ثم
بادت، وما صنعه لنا المحتلُّ البريطانيُّ بعدَ سقوطِ
الدولةِ العثمانيّة. واليومَ، مع الأسفِ الشديدِ،
حوزائنا العلميّةُ ومراجعنا الدينيّةُ لا اهتمامَ لهم

بالقرآن وعلومه، وهذا واضح من تراثهم! فكل
اهتمامهم مقتصر على الأصول والفقهِ والطهارة
والنجاسة والحِيضِ والنفاس! لو نظرنا إلى تراثِ
السيدِ الخوئي، نجدُ له خمسينَ مجلِّدًا في الطهارة
والصلاة والحجِّ والنكاحِ والقضاء، وأربعة
وعشرينَ مجلِّدًا في رجالِ الحديث، أمَّا في القرآنِ
وتفسيره وعلومه، وفي التوحيدِ والنُّبُوَّةِ والإمامةِ
والمعادِ والعقليَّاتِ والمنطقِ والعلومِ الإنسانيَّةِ
والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ، فالقليلُ! أمَّا السيدُ
علي السيستاني، فلا يوجدُ له مؤلِّفاتٌ من هذا
النوع. وإنَّ سببَ ازديادِ الخرافاتِ في الواقعِ
الشيوعيِّ والانحرافاتِ في الشعائرِ الحسينيَّةِ هو
المرجعِيَّةُ الدينيَّةُ في مدينةِ النجفِ، بسببِ

سكوتها واعتزالها الوضع الاجتماعي للناس، وعدم
تنويرهم وتوعيتهم. فمرجعية النجف، مع شديد
الأسف، تظنُّ أنّ واجبها هو فقط كتابة رسالة
عملية بالطهارة والنجاسة!

نقد الظواهر الانحرافية في الشعائر الحسينية
وبيان ضوابط الشعائر الحقة منها | موقع السيد
كمال الحيدري

سابعاً: كرنفال المشي

بعض رجال الدين الشيعة ومن ورائهم يُعلنون
للناس أنّ ما يقومون به في كرنفال المشي خلال
زيارة الأربعين هو مَثَارُ عَجَابٍ ومتابعة واهتمام من
العالم بأسره، لكي يكسبوا المزيد من المشاركين.
ويقولون إنّ موسوعة غينيس تُتابع الأعداد

المليونية وتضعها في أعلى نسب التجمعات في العالم، وربما يعلم أولاً يعلم هؤلاء أن كرنفال الحج لدى الهندوس يتجمع فيه أعداد من البشر تفوق تعداد المسلمين في كل الوطن العربي، ولا يهتم لتجمعهم أحد، ولا حتى موسوعة غينيس.

إن الأسباب التي تدعو هؤلاء إلى التهويل وتعظيم الأمور أصبحت مكشوفة الأهداف، وهي في الحقيقة لا تتعدى محيط خارطة العراق فقط، ولا تحظى حتى باهتمام الدول المجاورة، وغايتها التسويق الإعلامي بأن هؤلاء يمثلون غالبية الشعب العراقي. يتفاخرون بالكلم، ويهملون النوع، الذي يؤكّد عليه حتى الدين الإسلامي، والقرآن

ذاتُه يَندُمُ الأَكثَرِيَّةَ في مواضعَ عديدهِ، لكنَّ
للسياسةِ الطائفيةِ رأياً آخرَ.

ونتيجةً تلكَ الممارساتِ المُقدَّسةِ، ظهرَ ما يُسمَّى
بالإسلامِ السعوديِّ، والإسلامِ الإيرانيِّ، والإسلامِ
الإخوانيِّ المصريِّ، والإسلامِ الأفغانيِّ، الذي تمكَّنَ
من خلقِ قوَّةٍ إسلاميةٍ ذاتِ رياحٍ عاتيةٍ في العديديِّ
من البلادِ العربيَّةِ، وبخاصَّةٍ في الجزائرِ. كما
أصبحنا نقرأُ عن إسلامِ ابنِ تيميَّةَ، وإسلامِ
الألبانيِّ، وإسلامِ الشيعةِ، وإسلامِ السُّنَّةِ، على
الرغمِ من أنَّ كلاهما يعتبرانِ الإمامَ البخاريَّ
مرجعيةً.

وهنا نتساءل: أين الاختلاف بينهم؟ فهل هناك
بُخاريٌّ سُنيٌّ وبُخاريٌّ شيعيٌّ؟ طبعًا، هناك بُخاريٌّ
واحدٌ، فلماذا الاختلاف؟

والانقسامية إذا؟، هذه الإشكالية أُعطيت لها
أبعادٌ فكريةٌ عبر القنوات الفضائية (مثل قناة
صفا)، التي تستعملُ الخطابَ الهجوميَّ غيرَ
المعتدلِ على عمومِ الشيعة.

باختصار، إشكاليةُ مسألةِ التواضعِ تملأُ مواقعَ
التواصلِ الاجتماعي، ويضجُّ الناسُ في الواقعِ
أيضاً لمجردِ رؤيةِ مسؤولٍ أو رجلٍ دينٍ يقومُ بأيِّ
عملٍ اعتياديٍّ، كأن يمشيَ بين الناسِ، أو يُقدِّمَ لهم
الطعامَ بيده، أو يُبادرَ إلى مصافحةِ أحدِ البُسطاءِ
من جمهوره. وكأنَّ المسؤولَ أو رجلَ الدينِ خلقَ

ليكون مُتَكَبِّراً، ولا بُدَّ أن يبقى كذلك، وإن تنازل
عن الكبرياء المفترض، تُحسب له حسنة التواضع!
هذا التقليد الاجتماعي يُعبّر عن تخلف فادح في
القيم الأخلاقية الموروثة في المجتمع، ولا وجود له
في المجتمعات المتحضرة اليوم. فالملوك والقادة
هناك يسرون في الطرقات، ولا يُثيرُ وجودهم أحداً
إلا بعض أصحاب الفضول.

ثامناً: الخاتمة

باختصار، لماذا تغلبت الأعمال المُستحبة
على العبادات الواجبة شرعاً؟.

يعود السبب في هذه المشكلة إلى الفقه بالدرجة
الأولى. فقد أثقلت المسائل الفقهية التشريعات
بأحكام وفتاوى أصبح من المتعذر على الإنسان

البسيط الإمام بكلّ حيثياتها، ونتج عن ذلك
صعوبة تطبيقها بسبب إضافة الكثير من
المعرقلات والخطوط الحمراء أمام المكلف، التي
تؤدي به إلى جهنم وبئس المصير، وهي النهاية التي
يخشها كل مسلم. وأمام هذه الحيرة، فمن
طبيعة الإنسان أن يختار أسهل السبل للخلاص
من ثقل الذنوب والفوز برضا الله ودخول جنّته
بشكل شبه مجاني.

وهنا وقف الفقهاء وخطباء المنابر موقف المعين
والهادي لما يُسمونهم بالعوام، وهم السواد
الأعظم في المجتمع. وقد مالوا لهم وصفات سحرية
لبوغ الجنة الموعودة؛ فمثلاً، بدلاً من مشقة
السفر للحجّ وما يلازمها من أمور شرعية

ولوجستية مرهقة، جاء الحلُّ في زيارة قبر الإمام الحسين، التي تُعادل ألفَ ألفِ حجةٍ في أوسطِ نسبةٍ حددتها الرواياتُ الموضوعة. وهذا البديلُ يشمل باقي الأعمالِ العباديةِ الأخرى.

هذا التساهلُ، وهذه الهبةُ الفقيهيةُ الرخيصةُ، أوجدا تضحُّماً جماهيرياً لممارسةِ هذه التجمُّعات، التي لا تُتقن حتى الوضوء، وأصبحت تُسمَّى شعائرَ مُقدَّسة. وبسببِ عدمِ وجودِ ضوابطٍ مُحدَّدةٍ تُنظِّمُ فعالياتِ هذه الحشود، أصبح الوضعُ خارجَ السيطرة.

وبات الفقيهُ يخشى العوام، لأن القرارَ على الأرضِ أصبح بأيديهم، وصار بإمكانهم إسقاطَ هيبةِ الفقيهِ وشعبيته إذا حاول أن يُعقلنَ ويُقننَ

ويُضبطُ ممارساتِ الجموعِ المنفلتة. لذلك خلى
لهؤلاءِ الجوّ، وعزّ الرادعُ الشرعيُّ والأخلاقيُّ لهم،
وأصبحت خُرُوقاتهم تتضخّم، فيُقابلها صمّتُ
الأغلبية، ودفاعُ البعضِ عنهم باستماتةٍ بحجةِ
الحفاظِ على ديمومةِ الدمعة. وصلنا إلى هذا
الحال، ولا ندري ماذا سيكونُ حالنا وحالهم في
المستقبل؟

٢٠- من أسباب الاقتتال الشيعي - الشيعي.. رؤية

شخصية :

ظهرت نظريةُ الإمامةِ الإلهيةِ في القرنِ الثاني
الهجري (١٠٠-١٩٩هـ) بناءً على النصِّ الإلهي،
وليس بالشورى التي مارسها الخلفاءُ الراشدون.

استمرَّ الخطُّ الإماميُّ صغيراً حتى كُبر، ثم وصل إلى طريقٍ مسدودٍ في منتصفِ القرنِ الثالث الهجري (٢٠١-٣٠٠هـ) بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (٢٣٢-٢٦٠هـ). وانقسم الشيعة حينها إلى أربع عشرة فرقة. من بين هذه الفرق، تكوّنت الفرقةُ الإثنا عشريةُ في القرنِ الرابع الهجري (٣٠١-٤٠٠هـ)، في زمنِ البويهيين (٣٢٢-٤٥٤هـ)، وفي أحضانِ الدولةِ العباسية التي استمرَّت في الحُكمِ خمسة قرونٍ متتاليةٍ (١٣٢-٦٥٦هـ)، وذلك لمواجهةِ الدولةِ الفاطمية (٢٩٦-٥٦٧هـ) التي سيطرت على شمالِ أفريقيا.

برزت المدرسةُ الإثنا عشريةُ في عهدِ كبار العلماء، مثل الصدوق (محمد بن علي بن بابويه ٣٠٦-

٣٨١هـ)، والشيخ المفيد (محمد بن محمد النعمان
٣٣٦-٤١٣هـ)، والشيخ الطوسي (أبو جعفر محمد
الطوسي ٣٨٥-٤٦٠هـ) في القرن الخامس الهجري
(٤٠١-٥٠٠هـ).

وكانت هذه المدرسة تقولُ بحرمة العملِ
السياسيِّ، وحرمة إقامة صلاة الجمعة والخمس،
مؤكدَةً أنَّ العمل معطلٌ إلى أن يأمر به الإمامُ
المهديُّ عند ظهوره. وقد رُفِعَ شعار:

«كلُّ رايةٍ قبلَ رايةِ الإمامِ المهديِّ فهي رايةُ
طاغوتٍ وضلالةٍ». لذلك، قامت الطائفةُ الشيعيةُ
الإماميةُ أو الجعفريةُ على ثلاثة أُسس:

• الإمامةُ الإلهية.

• الإمامُ الغائب.

• النيابة العامة (الفقيه): إذ يُعدُّ الفقيهُ نائباً
عن الإمام المهدي، وهو الحاكمُ المطلقُ ووليُّ
أمر المسلمين.

خلال حُكم طهماسب بن إسماعيل الصفوي
(١٥١٤-١٥٧٦م)، أُعطيت توجيهاتٌ بالالتزام
بكلام الشيخ علي بن العالي الكركي (٨٦٨-٩٤٠هـ).
وبذلك، أصبحت المرجعيةُ الدينيةُ مقدسةً في
العهد الصفوي، واستمرَّ هذا التقديسُ في العهدِ
القاجاري، وصولاً إلى النظامِ الجمهوريِّ الحالي في
إيران. ونتيجةً لهذا الموروثِ العقائدي، نجدُ أنَّ
للشيعةِ الإماميةِ دستورين :

١. دستورُ الدولة: يُنتهك متى ما أرادوا.

٢. الدستور المرجعي: وهو دستور أعلى وأكثر تأثيراً، رغم كونه غير مكتوب، وقد نشأ نتيجة التقليد للمرجع الديني، الذي يُعدُّ نائباً عن الإمام المهدي، والحاكم الشرعي وولي أمر المسلمين في أي مكان، سواءً في العراق، أو إيران، أو أي بلد عربي أو إسلامي. قال الشهيد الأول محمد باقر الصدر (١٩٣٥-١٩٨٠م)

«إن القيادة لا تصلح إلا في ثلاثة أمور: إمامي مرسل، أو إمام معصوم، أو مجتهد أعلم، وفي غير ذلك فهي قيادة ضلال، واتباعها ضلال».

وقال الشهيد الثاني* محمد محمد صادق الصدر "كل من تصدى لقيادة المجتمع وهو ليس بمجتهد، أكبه الله على منخريه في قعر جهنم كائناً

من كان، حتى لو كان من أفضل فضلاء الحوزة".
مقتبس من المحاضرة {٥} من بحث: (مآقبل المهدي
إلى ما بعد اللحد) بحوث: تحليل موضوعي في
العقائد والتاريخ الإسلامي للمرجع المحقق.

لذلك كان الاقتتال الأخير في العراق بين فصائل
السيد مقتدى الصدر المتمثلة بسرايا السلام
وجيش المهدي، وبين فصائل الإطار التنسيقي
بقيادة السيد نوري المالكي وهادي العامري وقيس
الخرزعلي وعمار الحكيم، المتمثلة ب: (عصائب أهل
الحق، كتائب سيد الشهداء، حركة حزب الله
النجباء، كتائب حزب الله، فيلق الوعد الصادق،
منظمة بدر/الجناح العسكري، لواء عمار بن
ياسر، لواء أسد الله الغالب، لواء اليوم الموعود،

سرايا الزهراء، لواء ذو الفقار، لواء كفيل زينب،
سرايا أنصار العقيدة، لواء المنتظر، بدر المجمع
الخاصة، لواء أبو الفضل العباس، حركة الجهاد
والبناء، سرايا الدفاع الشعبي، كتائب درع
الشيعة، حزب الله الثائرون، كتائب التيار
الرسالي، سرايا عاشوراء، كتائب مالك الأشتر،
حركة الإبداع، حركة العراق الإسلامية/كتائب
الإمام علي، جيش المختار، ربيع الله، جيش
المقاومة الإسلامية).

خير مثلٍ على ارتباط تلك الفصائل بمرجعيتها
السياسية - الدينية، والتي توالي رجال دين في
العراق وإيران أكثر من مواليتهم للدستور العراقي
الوطني الذي شُرعَ عام ٢٠٠٥، وجمعهم تحت قبة

البرلمان والحكومة. لقد تصدّر السيد (مقتدى الصدر) المشهد السياسي قبل فترةٍ بـ ٧٤ مقعداً في البرلمان، ولم يعني ذلك حسمَ الجدلِ حول تفسير المادة الـ ٦٧ في الدستور العراقي والتي تتعلق بتشكيل الحكومة، وقد فشل الصدر و"الإطار التنسيقي" في تشكيل حكومةٍ رغم مرور عشرة أشهرٍ على الانتخابات. أما النقطة التي دفعت بالأمور إلى مزيدٍ من التصعيد فكانت ترشيح (محمد شيع السوداني) "رئيساً للحكومة".

أعتقد أنّ جذر المشكلة الحقيقية هوفي الخلافات والصراعات بين القادة السياسيين والمراجع التي تقفُ بين هذا الطرفِ أو ذاك داخل المنظومة الحاكمة منذ عام ٢٠٠٥، أي بين المشروع الأول

وهو مشروعٌ وطنيٌّ استقلاليٌّ يَهْدُفُ إلى إعادةِ كتابةِ
الدستور على أُسُسِ المَواطنةِ والمساواةِ، ومشروع
خارجيٍّ يَسعى لتكريسِ الوضعِ القائمِ وإدامةِ حُكمِ
الفسادِ بالتوافقِ على المناصبِ والمُشاركةِ في
النَّهْبِ بَيْنَ مُمَثِّلي الطوائفِ والعِرقِياتِ والعوائلِ
السَّياسيةِ "الإقطاعِ السَّياسيِّ" حتى انهيارِ العراقِ
بالكاملِ وتقسيمه أو تدميره بالاقْتتالِ الداخليِّ،
وأيةُ خَلْطَةٍ بَيْنَ هَذَيْنِ المَشروعينِ ستكونُ خَلْطَةً
سامةً وخطِرةً!

وهناك نوردُ حكايةَ دراميةً ذَكَرَها أ.د. قاسم حسين
صالح، جاءَ فيها :

[ماذا لو خَرَجَ الإِمَامُ الحُسَيْنُ مُتوجِّهًا إلى

الخضراءِ مُطالبًا بالإصلاحِ؟]

سَيَكُونُ الْمَشْهُدُ تَرَاجِيدًا فِي كَوْمِيدِيَا سَوْدَاءَ،

كَالْآتِي:

سَيَقِفُ السِّيَاسِيُّونَ السُّنَّةُ وَالْكَرْدُ مِنْ سُكَّانِ

الْخَضِرَاءِ مَوْقِفَ الْمَتَفَرِّجِ، يُرَاقِبُونَ، وَحِينَ

يَدْعُوهُمْ شُرَكَائُهُمُ السِّيَاسِيُّونَ الشَّيْعَةُ إِلَى أَنْ

يَتَّخِذُوا مَوْقِفًا، سَيَرُدُّونَ عَلَيْهِمُ: (الْحُسَيْنُ إِمَامُكُمْ

وَأَنْتُمْ وَإِيَّاهُ تَنْجَازُونَ). وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ قُوَّةُ الْحُجَّةِ!

وَقَرِيبًا مِنْ أَسْوَارِ الْخَضِرَاءِ.. سَتَرَى الْجَمَاهِيرَ وَرَاءَ

الْحُسَيْنِ.. لَهَا أَوْلٌ وَلَيْسَ لَهَا آخِرٌ. وَحِينَ يَرَى حُكَّامُ

الشَّيْعَةِ خَطْوَةَ الْمَوْقِفِ يُشَكِّلُونَ وَفْدًا يَتَفَاوَضُ

مَعَ الْحُسَيْنِ، وَحِينَ يَرُدُّ عَلَيْهِمُ بِالْإِصْرَارِ عَلَى

الْإِصْلَاحِ فَإِنَّهُمْ سَيُخَيِّرُونَهُ بَيْنَ أَنْ يَعُودَ مِنْ حَيْثُ

أَتَى أَوِ الْقِتَالِ.

فيلتفتُ إلى العراقيين ويقولُ قولًا مُماثلًا لقوله
(إنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَّزَيْنِ اثْنَتَيْنِ.. السَّلَّةِ أَوْ
الذِّلَّةِ وَهِي هَاتِ مِّنَّا الذِّلَّةُ) فماذا تقولون؟
فيُجيبونَه بِقَوْلِ مُمَاطِلٍ لِقَوْلِهِمْ (فوت بها وعا
الزلم خليها!).. وحينَ (يفوت بها) سيواجهُ
عَشْرَاتِ آلَافِ المُسَلَّحِينَ مِنَ الفصائلِ والميليشياتِ
المُسلَّحةِ، وآلَافًا أُخْرَى مِنَ حَمَايَاتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ،
وَدَبَّابَاتِ وَرَاجِمَاتِ وَصَوَارِيخَ مَا رَأَاهُ فِي حَيَاتِهِ،
تُحذِّرُهُ أَنْ تَقْدُمَ خَطْوَةً فَسَيُطْلَقُونَ النَّارَ.. وَيُخَطُّو
الخطوةَ فَتَشْتَعُلُ جَهَنَّمُ، فيلتفتُ وَرَاءَهُ فَلا يَرَى
مِن تِلْكَ المَلايِينِ غَيْرَ مِئَاتٍ مِنَ شَبَابٍ رَافِعِينَ
لافتاتٍ (نريد وطنًا).

يتوقفُ الحُسَيْنُ فيتذكُرُ يَوْمَ خَذَلَهُ العِرَاقِيُونَ
عند بيعتِهِم له، وَقَتَلَ رَسُولَهُ وَسَفِيرَهُ إِلَيْهِمْ، مُسْلِمَ
بن عَقِيلٍ.. فيستعيدُ خُطْبَتَهُ عَلَيْهِم (تَبَّ لَكُمْ أَيُّهَا
الجماعةُ وترحاً، أحيانَ استصْرَخْتُمونا والهينَ
فأصْرَخْنَاكم مَـ وَجفِين سَأَلْتُم عَلَيْنَا سَـيْفًا..
وَحَشَّشْتُم عَلَيْنَا نَارًا أوقدناها على عَدُونَا
وعَدُوِّكُمْ).

يديرُ ظَهْرَهُ نَحْوَ الشَّبَابِ الذِينَ مَا زالوا رافعِينَ
رايةَ (نريدُ وطنًا) فيخاطِبُهُم (تعالوا يا أنصاري.. لا
أريدُ لكم أَنْ تُقْتَلُوا كَمَا قُتِلَ مَنْ ناصرني.. تعالوا يا
أحبتي). يحتضنُ صاحبَ الرايةِ ويعطي ظَهْرَهُ
للخضراءِ عائدًا بهم إلى مدينةِ كربلاء!.. وتصدحُ
هلاهلُ زُوجاتِ (الحُسَيْنينَ) المنتصِرِينَ، فيما

السُّنَّةُ وَالْكَرْدُ يَنْظُرُونَ إِلَى بَعْضِهِمْ فَرِحِينَ غَيْرَ
مُصَدِّقِينَ. [١٠]

٢١- ما لا يدركه الفقيه :

كُنَّا نَسْمَعُ أَنَّ الشَّيْعَةَ مُضْطَّهَدُونَ وَمُحَارَبُونَ عَلَى
مَرِّ التَّارِيخِ، وَتَرَبَّيْنَا عَلَى هَذِهِ الثَّقَافَةِ، وَأَصْبَحَتْ
أَخْلَاقُنَا وَسُلُوكُنَا مَبْنِيَّةً عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، فَأَصْبَحَ
الذُّلُّ لَنَا عَادَةً، وَخُنُوعُنَا لِلظَّالِمِ عِبَادَةً! حَتَّى وَصَلَ
بِنَا الْحَالُ إِلَى أَنْ عِشْنَا عِشْرِينَ عَامًا تَحْتَ الْحُكْمِ
الشَّيْعِيِّ، نَسِيرُ فِي الزِّيَارَاتِ مَشْيًا مُرَدِّدِينَ شِعَارَ
(هِيَاةَ مِنَّا الذَّلَّةَ).

(١٠) صحيفة المثقف الصادرة في أستراليا/ سدني العدد ٥٨٥٧ في ١٩ أيلول ٢٠٢٢.

وبعد انتهاء مراسم الزيارة نرجع إلى أهلنا في
"اللوريات" (على بدن السيارة الكبيرة) كالمواشي،
ونعتبر هذا إنجازاً عظيماً! ونحتسب في هذه
المشقة أجراً عظيماً، وكما يُقال: الأجر على قدر
المشقة. والحقيقة الغائبة أن الشيعة عبر التاريخ
كانوا متحكّمين وأصحاب سلطة، من زمن
العباسيين إلى اليوم، والحكم البويهي والصّفي
خير مثال على ذلك.

في أيام النظام السابق (١٩٦٨-٢٠٠٣)، كنا نقيم
مجالس العزاء في بيوتنا ومناطقنا، وكان من
يمنعنا هم السادة الشيعة البعثية، وكان من
يقبض على الزوّار ويؤزجهم في السجون هو السيد
الفلاني والشيخ الفلاني والجار الفلاني! طبعاً، لا

أعني الجميع، لكن أريد أن أقول إننا نتباكي على
ظلم النظام ونحن في الواقع أدواته التي يظلم
بها، سواء كان هذا النظام شيعياً أو غير شيعي.

في جميع دول العالم، تسعى الحكومات إلى
الاستفادة من مقومات دولها لرفع شأن مواطنيها
وتقديم أفضل الخدمات لهم ولزائريها. والعراق
يملك ميزة هامة في وجود المزارات والأضرحة
الدينية، واستخدامها كورقة إيجابية في السياحة
الدينية، بل وتعدى ذلك إلى توظيفها كورقة
سياسية أحياناً.

ومن أجل المصلحة العامة، فإن ما يجري حالياً
من فتح الحدود أمام الزوّار الإيرانيين، في ظل
الظروف السياسية غير المستقرة والتدخل

الإقليمي، أثّر سلباً على استيعاب المنافذ
الحدودية وخدمات النقل، ما استدعى التّدخل
لتخفيف الزّحام الحاصل

ما نريد قوله هنا: من حقّ أيّ زائر أن يزور أيّ
مكان يرغب بزيارته، ولكن وفق سياقات إدارية
وتنظيمية مسبقة من تحديد أعداد الزائرين
والطرق المستخدمة، ومراعاة عمليات النقل
والإمكانيات المتوفرة لذلك، والطاقة الاستيعابية
لنقل وللمكان المزار. وهل تستطيع الحكومة أو
الفعاليات الشعبية والدينية المختصة أن تقوم
بواجبها كما ينبغي، خصوصاً أن العراقيين اليوم
يعانون من وضع سياسي واقتصادي واجتماعي

متأزّم، وكذلك يشكّون نقصًا حادًا في المياه
والغذاء.

وأحد أسباب نقص المياه هي دول الجوار نفسها
بعد قطع مصادر المياه الداخلة للعراق، أو تقليل
كميّاتها. المواطن العراقي قدّم ما عليه بل وأكثر
مما يستطيع وفق إمكانيّاته أو تفوقها، إضافة إلى
الفعاليّات الاجتماعيّة والعتبات المقدّسة. ولكنّ
الأعداد الكبيرة، وسوء التنظيم، والظرف
السياسي والاقتصاديّ انعكست سلبًا مما حاول
البعض تجميل الوضع وإضافة لمسة كرم عربيّ
إليه، متجذّر في نفوس عرب العراق الأصليين.

ومن المعروف أن الحكومة الإيرانيّة تحصل على
الدينار العراقيّ من عدة مصادر منها الصادرات

المنظورة ومنها السياحة، لأن إيران هي إحدى وجهات العراقيين السياحيّة، بالإضافة إلى عمليات التهريب التي لا تستطيع الحكومات السيطرة عليها. كلُّ هذه هي مصادر لتوفير الدينار في إيران، وإن توفّرها في الأمد القصير هو مصدرٌ لدعم الاقتصاد العراقي، ولكن في المدى الطويل يمكن أن تكون عاملاً ضعيفاً وعاملاً يُثيرُ مشاكلَ اقتصاديةً منها التضخمُ وفقدانُ السيطرة على قيمته.

ومن المعروف أن العراق يمتلك ٣٤ طائرة نقلٍ للركاب. في الزيارة الأربعينيّة توقفت ٢٢ طائرةً من طائرات الخطوط الجوية العراقية ليصبح نقلُ ملايين الزائرين عبر طائرات الخطوط الجوية

الإيرانية حصرًا. وعندما انكشفت فضيحة
تعطيل ٢٢ طائرة، سُحبت يدُ مديرِ عامِّ الخطوطِ
الجوية لتغطية الخلل الواضح في أداءِ الخطوطِ
الجوية من الناحية المهنية والناحية الوطنية.

أرقامٌ مرعبةٌ في شهرِ آب/٢٠٢٠!!

المبيعاتُ الإجماليةُ للبنكِ المركزيِّ العراقيِّ =
٥,٥٣٠ ملياراتِ دولارٍ. موزعةً على:

حوالاتٍ واعتماداتٍ مستنديةٍ = ٤,٦٩٦ ملياراتِ
دولارٍ.

مبيعاتٍ نقديةٍ = ٨٣٤ مليونَ دولارٍ.

العائداتُ النفطيةُ = ٩,٧٨٤ ملياراتِ دولارٍ.

مبيعاتُ البنكِ المركزيِّ تستنزفُ ٥٧ بالمائةً من
العائداتِ النفطية.

هذا نموذج على بقاء العراق أسيراً للفساد
واللادولة.

لا إصلاح اقتصاديٍّ ما لم يسبقه إصلاح سياسيٍّ.

(١١)

ولغرض تغطية تكاليف تلك الزيارة المليونية
المجانية، البنك المركزي العراقي باع مليار دولارٍ
خلال أسبوعٍ واحدٍ مطلع شهر أيلول/ ٢٠٢٢ فقط.

الأعدادُ المليونيةُ في الزيارة الأربعينية من الممكن
أن تكون زياراتٍ ومشياً على امتداد السنة ولا
تتكثفُ هذه الأعدادُ المهولةُ في الأربعينية التي قد
لا يستطيع العراقُ لوجستياً الحفاظَ على الجميع
وخدمتهم. وطالما أنَّ التقويمَ الهجريَّ الخطأ علمياً

(١) الأستاذ نبيل المرسومي- أستاذ جامعي وكاتب

وواقعيًا يجعلُ من استشهادِ الإمامِ الحسينِ
ورفاقهِ كلَّ سنةٍ بفصلٍ، فهذا يعني عدمَ دقةِ
التاريخِ أساسًا. ولذا فمن الممكنِ إقامةُ الشعائرِ
على مدارِ العامِ للراغبِ بالمشي والزيارة، ويُضافُ
لها أن تكونَ مواكبٌ تتناوبُ الوجودَ على الطريقِ
إذا كان لا بدَّ من ذلك.

كما أنَّ ما لا يعرفهُ البعضُ أنَّ دولةَ إيرانَ كأيِّ
دولةٍ تجتهدُ من أجلِ مصلحتها الاقتصاديةِ وليس
مصلحةَ العراقِ والزائرِ الكريمِ. أما الأمرُ الأهمُّ
فإنَّ الدفاعَ عن دولةِ إيرانَ من قبلِ بعضِ
العراقيينَ أصبحَ يفوقُ الدفاعَ عن الوطنِ، وكأنَّ
العراقَ في صددِ التحولِ إلى مقاطعةٍ تحتَ حكمِ
إيرانَ. والدليلُ أنَّ آلافَ الإيرانيينَ هذا العامَ

دخلوا العراقَ أكثرَ من أيِّ عامٍ مضى! مع منح
تسهيلاتٍ لدخولهم وتأمينهم جيداً من الحكومةِ
العراقيةِ، إلى جانبِ منحهم التسهيلاتِ في
الدخولِ إلى العراقِ في مجالِ السياحةِ دونَ
الاستفادةِ من ذلكِ سياحياً واقتصادياً، والبعضُ
من مواليمهم يُبررُ أنَّ زيارتهم للعراقِ دينيةٌ ولا يجبُ
استثمارُ الدينِ في مجالِ السياحةِ.

٢٢- الصحابة والقنبلة الموقوتة :

ما أثيرَ من جدلٍ حولَ ما قاله الرادودُ أو ما يُسمى
المداخُ (باسمِ الكربلائي) واضحٌ جداً أن هناك
جهاتٍ مغرضةٌ دستُ هذا الأمرَ ليحدثَ ما
يفتعلوه من ردِّ فعلٍ، لكي تعودَ التفجيراتُ

والمفخخات، والتي لم نكن نحنُ في غنى عنها
فحسبُ، بل إن البلدَ قد تحوّلَ إلى مخزنِ بارودٍ
وقطيعٍ ينتظرُ الذبحَ الموسميَّ.

الكثيرُ من المغفلينَ مشغولونَ بموضوعٍ: هل
الصحابةُ عصاةٌ أم لا؟ التي جاءتُ في قصيدةِ
القارئِ التراثيِّ باسمِ الكربلائيِّ.

اليومَ دعونا نتكلّمَ عن موضوعٍ (مصادمِ
الهيدرووناتِ الكبيرِ)، وهو أعظمُ اختراعٍ بشريِّ
لحدِّ هذه اللحظةِ، يشغلُ عليه أكثرُ من عشرةِ
آلافِ عالمٍ وعالمةٍ، ومئاتُ الجامعاتِ والدولِ.
تمكنوا بهذا الجهازِ أن يكتشفوا كيف اللهُ يخلقُ!!
وما هي الكُن فيكونُ، وفعلاً سُمّيتِ الجزيئاتُ دونَ

الذرية التي اكتشفتها بجزيئات الرب
(godsparticles).

هل سمعتم بهذا الكلام من رجل سياسة أو رجل
دين؟ طبعاً لا، لأن أكثر المواضيع أهمية بالنسبة
لكم هي: هل الصحابة عصاة أم لا؟ وهل باسم
الكربلاءي غلطان أم لا؟ وكم وصل عدد زائري
الأربعينية؟ وكم موكب ساهم فيها؟

المعتاد لتشرب العيون العطشى مزيداً من دماء
العراقيين الذين تحولوا إلى عربات تدفع بهم
ماكنة الإنتاج الطائفي إلى الفناء.

كل العالم.. البلاد الفقيرة والغنية تحرص شعوبها
عليها وحكوماتها وتنشغل بالحياة والسعي
للسعادة، إلا في هذه البلاد التي أشغلها

بالصراعاتِ السخيفةِ والتاريخِ الدمويِّ المخجلِ
والنهبِ المبرمجِ للثرواتِ والقتلِ الصامتِ للبشرِ
الذينَ تطحنهم الآلامُ على وطنِ يرونه تفتكُ به يدُ
لا باركَ اللهُ بها وقطعتُ من أصلِها.

هذه الأعدادُ الهائلةُ لو أنها بادرتُ لجلبِ كلِّ واحدٍ
معه شتلةً صغيرةً ويزرعها في الطرقِ التي يمرونَ
بها لأخضرتِ البلادُ التي تقعُ الآنَ في قلبِ الاحتباسِ
الحراريِّ.

الإيمانُ ضرورةٌ قصوى للنفسِ البشريةِ الحائرة،
أما الدينُ التجاريُّ فهو هوسٌ ومرضٌ نفسيٌّ نتعودُ
باللهِ منه.

حدثُ سيرٍ واحدٍ مؤسفٍ يؤدي بحياة ١٤ زائرًا
إيرانياً بعد احتراق السيارة على الطريق السريع
لناحية الشوملي في محافظة بابل.

زيارة الأربعين وبغضّ النظر عن تفاصيلها
التاريخية، متأصلةٌ أم مستحدثةٌ، متى بدأت
وكيفَ ولماذا؟ هي اليوم تشكّل ظاهرةً مليونيةً، ولا
يوجد ما يضاهيها من حيث العدد والمران
العاطفي في أي بقعة من العالم. بالتالي ستتحول
مع مرور الزمن إلى سلاح ذي حدين ما لم يلتفت
المعنيون لوضعها في إطارها التي ينبغي أن تكون
عليه.

لقد تكفل الأهالي على طول طريق المشي إلى كربلاء
بتوفير المأكّل والمشرب والمنام للزوار بنسبة تكاد

تغطي الجميع في غضون السنوات السابقة. لكنّ
الأهالي غيرُ معنيين بوسائل النقل أو الوضع الأمني
أو الجانبِ الثقيفيِّ الوعظي، وكذلك الحاجاتِ
الخدميةِ العامةِ كتوفير الكهرباء وتنظيف الأماكنِ
العامة، أو انسيابيةِ مشي الزوار وفكِّ الاختناقاتِ،
واستيعابِ المنافذِ الحدوديةِ لدخولِ الزوارِ
وسياقاتها الإدارية.

لعلَّ الغالبيةَ العظمى يركزون على جانبٍ واحدٍ
من الزيارةِ المليونيةِ وهو الجانبُ الإعلاميُّ وكأنه
استعراضٌ تقوُّمٌ به طائفةٌ معينةٌ في بعدهِ
السياسي، وهذا التوجهُ يهمله من الزيارة أن يتمَّ
تحشيدُ أكبر عددٍ ممكنٍ من الزوار ومن مختلفِ
أرجاءِ العالم.

قلناها مرارًا وتكرارًا: يجب أن تكون هناك هيئة أو لجنة متابعة للشعائر الحسينية وتنظيمها وتنظيرها، بما فيها قصائد الشعر والأهزوجة للرواديد أو ما يُسمى المداحين، وجعلها تسير في المسار الصحيح، بما يلائم الشعائر الحسينية الصحيحة ولا تُترك الأمور كل على هواه، علمًا أن هذه السلوكيات فقدت طعم الشعائر.

وبغض النظر عن أي توجه، لأنّ الزوايا لهذا الحدث متعددة بتعدد الشرائح الدينية والسياسية والاجتماعية، لا بدّ من التحضير الجيد لهذا الحدث على كافة المستويات، وبشكل خاص للزوار من خارج العراق والتخطيط لاستيعاب الأعداد التي يمكن استيعابها في فترة الزيارة وهي

فترةً طويلةً نسبيًا، تحتاجُ إلى جهودٍ مكثفةٍ، جهودٍ
خدميةٍ وأمنيةٍ استثنائيةٍ وتنظيم الظاهرة
بالشكل الذي يقللُ السلبياتِ المتوقعة مع هكذا
تجمعٍ مليوني. أما أن يتمَّ تركُ أمورِ الظاهرةِ
المليونيةِ تسيرُ على عواهنها وعلى (البركة) سيؤدي
بالنتيجةِ إلى إخفاقاتٍ عديدةٍ تنعكسُ سلبيًا على
مختلفِ الأصعدة، ولعلَّ بوادِر ذلك الانعكاسِ
بدأت واضحةً في هذا الموسمِ مع انحسارِ وباءِ
كورونا وتكاثرِ أعدادِ الزائرينَ من داخلِ العراقِ
وخارجه.

(محافضةً ميسان تعلنُ عن وصولِ باصاتٍ من
الجانبِ الإيرانيِّ لنقلِ الزوارِ الإيرانيينَ من منفذِ
الشيبِ إلى مدينةِ كربلاء) .. **تلك الطامةُ الكبرى!**

وقال رئيسُ "اللجنة المركزية للزيارة الأربعينية" في إيران؛ "مجدُ ميرأحمدي"، إن عددَ الزوار الذين سيتوجهون من "إيران" لأداء "الزيارة الأربعينية" وزيارة العتبات المقدسة في "العراق" سيصلُ إلى: (١٠) ملايين شخصٍ خلال السنوات العشرة القادمة.

وأضاف "ميرأحمدي": "إن مئة ألف زائرٍ باكستانيٍّ عبروا الأراضي الإيرانية لأداء "الزيارة الأربعينية" خلال العام / ٢٠٢٣، وقد أعربوا عن رضاهم من الخدمات التي قُدمت لهم في المراكز داخل "إيران" حين مرورهم، كما أنَّ معظم هؤلاء الزوار دخلوا الأراضي الإيرانية بدون حافلات نقل الركاب؛ ولذلك بذلت القوات الجوية للجيش

الإيرانيّ و(الحرس الثوريّ)، قُصارى جهدها
لنقلهم جواً لمسافة (٢٠٠٠) كيلومتراً إلى منطقة
"شلمجة" الحدودية مع "العراق"، بحسب وكالة
(فارس).

وتابع أنّ عدد المسلمين حول "إيران" و"العراق"
يبلغ أكثر من: (٧٠٠) مليون شخص، أكثر من:
(٢٠٠) مليون منهم من المسلمين الشيعة والسنة
الراغبين لأداء "الزيارة الأربعينية"، مبيّناً: "عدد
الزوار الذين سيدخلون العراق عبر إيران، سيصل
إلى: (١٠) ملايين زائر حتى السنوات العشرة
القادمة".

٢٣- رسالة الى الجيل الجديد وأخرى الى الجيل

القديم:

كُنَّا فِي الْخَمْسِينَاتِ وَالسِّتِينَاتِ مِنَ الْقَرْنِ
الْعَشْرِينَ حُفَاةَ عُرَاةٍ أَحْيَانًا، أَوْ نَمْلِكُ ثَوْبًا وَاحِدًا
نَرْتَدِيهِ فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ حَتَّى يَبْلَى وَيَتَمَزَّقُ، وَكُنَّا
بِالْهُوِيَّةِ أَحْوَالٍ مَدْنِيَّةٍ حِينَما سُجِّلْنَا فِي الصَّفِّ
الْأَوَّلِ الْإِبْتِدَائِيِّ فِي مَدْرَسَةِ صِلَاحِ الدِّينِ فِي مَحَلَّةِ
الْمَاجِدِيَّةِ / مَحَافِظَةِ مَيْسَانَ (٣٦٥ كم جنوب شرق
بغداد). كُنَّا نَقْطَعُ مَسَافَةً لَيْسَتْ بِالْقَصِيرَةِ حَتَّى
نَصِلَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَمَا أَصْعَبَهَا فِي الْأَيَّامِ الْمَمْطَرَةِ.

الثوبُ (الدشداشة) مصنوعٌ من قماشِ البازة
الخشِنِ، وأحيانًا مرَقَّعٌ بلاستره، وأحيانًا بلا زرارة،
أو مزروُزٌ بدبوسٍ صغيرٍ، بلا جيوبٍ، وجيبُنَا هو أن

نثقبَ الياخةَ لنحتفظَ بالمصروفِ اليوميِّ
(اليوميّة) البالغةِ فلسينِ أو العانةِ (أربعةُ
فلوسٍ)، نشترى بها من الفرّاشِ (حانوتِ المدرسةِ)
بسكوتةٍ صفراءَ بداخلها حلقومه.

كُنّا ننتظرُ معونةَ الشتاءِ التي توزّعُها المدارسُ
علينا، وما أحيلاها عندما توزّعُ التغذيةُ الحليبَ
واللبّبي والكلاجَ وغيرها. حذاؤنا هو النعالُ
المصنوعُ من الريلِ والمحظوظُ منّا نعاله من
الإسفنجِ أبو الأصبعِ، بيوتنا مصنوعةٌ من القصبِ
والبرديِّ لسكنِ العائلةِ جميعًا، والنومُ على الأرضِ
بلحافٍ لجميعِ الأطفالِ من البردِ القارسِ، أما
الفانوسُ أو البطلُ فهو سلاحننا الوحيدُ في
الإضاءةِ.

وتدفئتنا من البرد هي كومه من فحم العاقول
الذي تبيعه نساء البدو المتجولات، وجهاز التبريد
هي المهففة المصنوعة من خوص النخيل، وفي
الليل نهرب من البعوض باستخدام الكلة
المصنوعة من قماش الممل.

ماء شربنا من الحُبِّ (إناء فخار) وقد تطوّر في
الستينيات من القرن الماضي وأصبح ثلاجة محلية
مصنوعة من الخشب، يوضع الثلج على مكان يُبرّد
الماء تحته، وتحفظ فيها بعض المواد الغذائية لمدة
قصيرة، لا توجد مبردات ولا مراوح ولا تليفيونات
ولا أجهزة تسجيل (مسجلات) المحظوظ من عنده
راديوتر انزسترو ولا يتجاوز عددها الثلاثة في
المنطقة.

لا حماماتٌ مبنيةٌ بالطابوق، إنما في الشمسِ في
(الكوصر/ بناءٍ من القصبِ والبرديِّ) والماءُ الحارُّ
من تسخينه في القدرِ، أما التواليتُ فهو عبارةٌ عن
(باريهٍ مصنوعةٍ من القصبِ وملفوفةٍ بشكلٍ
دائري).

أما الإفطارُ صباحًا فهو زجاجةٌ من حليبٍ نشترية
من امرأةٍ قرويةٍ اسمها (حسنة) بعشرةِ فلوسٍ
ويوزعُ لكلِّ واحدٍ استكانٍ فقط، ومعه خبزةٌ
مصنوعةٌ من طحينِ الرزِّ (سياحةٍ)، وكُنَّا نحلمُ
بالجبنةِ أو البيضةِ، إلا إذا ربَّتْ أمهاتُنَّا دجاجةً.
أما لحمُ الدجاجِ نأكله مرةً واحدةً في السنةِ حينما
تربي أمهاتُنَّا ديكًا.

أما الغداء فهو محظوظٌ من أن تطبخَ له أمه مرقاً
من العدسِ أو الباميةِ أو الباذنجانِ مع ربعِ لحمٍ أو
مرقّةٍ صفراءٍ وسعيدٌ من يحصلُ على قطعةٍ لحمٍ
صغيرةٍ، أما العشاءُ فهو من تمنِ الغريبةِ وهو أَرْدأُ
أنواعِ التمنِ مع الروبةِ فقط، وأحياناً مع الدبسِ
والدهنِ الحرِّ (الفركاعة).

ألعابنا بكرةٌ مصنوعةٌ من القماشِ الملفوفِ
والأهدافُ اثنانِ من الحجارةِ، وللأهدافِ بلا
مقياسٍ، نلعبها حفاةً وما أكثرَ الصدماتِ في الأرضِ
والآلامِ الشديدةِ والدماءِ في الليلِ، ألعابنا كثيرةٌ
مثلَ (شطيط طيط وعظيم الضاع) وغيرها.

وفي النهارِ لعبةُ الدعبِلِ والجعابِ والصكّلهِ،
والمحلقِ للبناتِ وغيرها. في العطلةِ نشغلُ عمّالَ

بناءً (عمالةً)، والآخرُونَ إما حمالونَ (حمالةً) أو
باعةً سكاترَ، أو مع آبائهم في المهين الأخرى. ولكن
بفضلِ اللهِ وتعَبِ الآباءِ وجهودنا، حصلنا على
عيشةٍ نشكرُ اللهَ عليها.

كُنَّا نرتجفُ رعباً أمامَ موظفٍ حصلَ بالكادِ على
شهادةِ الدراسةِ الابتدائيةِ، يرتدي اللباسَ
الزيتونيَّ، لا لشيءٍ إلا لأنه حفظَ مقولاتِ «القائدِ
الضروريِّ» وأقاصيصَ الزعيمِ المهيمِ بطلِ العراقِ
والأمةِ العربيةِ المجيدةِ.

رسالتنا للأجيالِ الجديدةِ أهلَ النسبِ والموطا
والموبايلاتِ والبوجي.. نخبرهم هكذا عاشَ
أجدادكم في طفولتهم البائسةِ، وشبابهم في

الحروب المستمرة (١٩٨٠-١٩٨٨) والحصار
الاقتصاديّ الدامي (١٩٩١-٢٠٠٣).

وأترك المجال لأبنائنا الأعزاء لكي يكتبوا ما جرى
بعد عام/٢٠٠٣ من أحداثٍ داميةٍ مع التنظيمات
الإرهابية بكافة صنوفها، وتظاهرات شباب العراق
المستمرة من أجل الحصول على فرص عمل،
ومكافحة فساد الدولة.

أما أنا، وبعد أن بلغت السبعين من العمر، أكتب
هذه النصيحة لمن هم في سني أوفي طريقهم إلى
الشيخوخة المتأخرة، ولا أستثني نفسي، ولأحبائي
الذين يقاربون عمري وأكبر مني سنًا وتجاربهم في
هذه الدنيا الزائلة: (١٢)

(١٢) جواد غلوم/ عندما تصل عتبة الشيخوخة / صحيفة المثقف الصادرة في أستراليا العدد ٥٨٥٩ في ٢٠ أيلول
٢٠٢٢.

١. تَقَاعَدُ وَلَا تُرْهِقْ نَفْسَكَ فِي أَعْمَالٍ تُؤْذِي بَدَنَكَ
وَتُرْهِقُ تَفْكِيرَكَ وَعَقْلَكَ، مِثْلَ بَيْعِ السِّكَايِرِ
وَالْخَضْرَاتِ وَالْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ... إلخ.

٢. أَعِدْ تَوْجِيهَ اِهْتِمَامِكَ وَمَسْـؤُولِيَّتِكَ اللَّذِينَ
وَجَّهْتَهُمَا خِلالَ السَّنَوَاتِ الْأُولَى مِنْ حَيَاتِكَ لِمَنْ
حَوْلَكَ، وَابْدَأْ فِي تَوْجِيهِمَا وَتَرْتِيهِمَا لِنَفْسِكَ
حَصْرًا، لِأَنَّكَ دَفَعْتَ مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِلْآخِرِينَ،
وَالْيَوْمَ ادْفَعْ لِنَفْسِكَ فَقَطْ.

٣. قُلْ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ: لَمْ يَبْقَ لِي مِنْ نَفْسِي إِلَّا سِنِينَ
أَقَلَّ كَثِيرًا مِمَّا مَضَى، وَإِنِّي لَنْ أَحْمِلَ هَمَّ
العالم. سَأَبْتَعِدُ عَنْ تَتَبُّعِ الْأَخْبَارِ الْمَقْلِقَةِ وَالْمُخِيفَةِ،
التي تبثُّها قناةُ الحَدَثِ وَالْجَزِيرَةِ وَالشَّرْقِيَّةِ، كَأَخْبَارِ
الحربِ الرُّوسِيَّةِ - الأوكرانيَّةِ، وَصَرَاعَاتِ السَّاحَةِ

العراقية على السلطة والنفوذ، وحرب اليمن
وفلسطين وليبيا وسوريا والسودان، ولم يعد
العالم من مسؤولياتي ولا اهتماماتي، فهو ورائي
الآن ولن ألتفت إليه.

٤. أطلب من أبنائك وعشيرتك الأقربون ألا
يُزعجوك بالأخبار السيئة ولا بمشاكلهم، وأن
يحلّوها بأنفسهم دون إقحامك فيها.

٥. تجنّب الدخول في جدالٍ مع أحدٍ، فكلُّ بعقله
راضٍ ومُقنع. فإذا قالوا لك إنَّ المُخلص سيظهر
غداً، قل لهم: أهلاً وسهلاً بالقادم من عمق التاريخ
العربي - الإسلامي.

٦. تَصَدَّقْ عَلَى مَنْ هُمْ أَقْلُ مِنْكَ يَسْرًا، أَوْ لِمَنْ أُرِدْتَ
يَوْمًا أَنْ تَقُولَ لَهُ: شُكْرًا، لَقَدْ جَاءَ الْوَقْتُ لِرَدِّ
جَمِيلِي.

٧. اترك وهم أنك كبير رُقُومِك وذو خُبْرَةٍ، وأنك
مسؤولٌ عن تصحيح أخطاء الآخرين، وإنك
المُرشدُ الأعلى. وتذكّر أنّ المتبقي لك في الحياة لا
يكفي لتقاسمه مع غيرك، فراحَةٌ بِالكِ الْيَوْمَ أَهْمٌ
كثيرًا من تصحيح أخطاء الآخرين.

٨. رَكِّزْ فقط على الجانبِ المُشْرِقِ في طبائعِ الناسِ،
وقلِّلْ من انتقاداتِهِمْ، وأكثِرْ من الثناءِ عليهم لوبدرِ
منهم ما يُروِّقُك، فهذا سوف يُعدِّلُ من مزاجِهِمْ
ويُحسِّنُ من المزاجِ المُحيطِ بك.

٩. احذُ من التَّصابي، ولكن اهتمَّ بمظهرك ولا تترك الأناقة الملبسيَّة، فأناقُتْكَ اليومَ بمظهرك وفي عقلِك وسُلوِكِك. ولكن في هذه السنِّ حَرِيٌّ بأن يكونَ جوهرُك أهمَّ من مظهرِك.

١٠. لا تدخل في مُنافسةٍ مع أحدٍ، تذكُرْ أنك مُتقاعِدٌ، والتَّقاعُدُ هو أن تتفرَّغَ لحياتِك أنت وحدك. لذلك اهتمَّ بصحتك وترتيبِ مُحيطِك وإعدادِ خُطَّتِك لسَفَرِ مَرِيحٍ وأجواءٍ جديدةٍ تعيشُها.

١١. لا تقطَعْ علاقاتِك بالآخرين، وانتخبْ أصدقائِك المثقِّفين الواعين، حتى لا تُنهيَ حياتك بالوحدةِ القاتلةِ والاعتكافِ المريرِ.

١٢. لا تمنح الأولوية للأشخاص الذين يرونك
خياراً ثانياً وثانويّاً، وكن أنت في صدارة أهليك
وأصدقائك ومعارفك مُبعثاً للتفاؤل ونشر المحبة
والالتئام والحنو.

١٣. اجعل غايتك أن تكون مُبتهجاً إلى حدٍ أقصى،
واجهد بكل ما يجعلك تشعر بالسعادة، فأنت
وحدك مسؤول لتجلب السعادة والفرح في الحياة
لنفسك، طالما العمرُ يمضي سريعاً، فالأولاد
والأحفاد جزءٌ مهمٌ ورئيسيٌّ من رونق حياتنا،
ولكنهم ليسوا كل حياتنا.

١٤. استبدل الحزن والحسرة على ما فات
بالنسيان واللامبالاة، وتصرف بإيجابية، وتحرز
من خيفة وهلع الشيخوخة والهرم، وتجوّل في حيز

حدائق الحياة الوردية مهما صغرّت، واعزف عن
أماكنها المعتممة والسوداء وإن كبرت وتفاقت.

١٥. لا تكثُر من استخدام الهاتفِ النقالِ أو مواقعِ
التواصلِ الاجتماعي؛ لأنها ليست الحياةَ
الحقيقية، وكلُّ ما عِشْتَه سابقًا هو الحياةُ التي
عَلَّمَتْكَ النجاحَ وال فشلَ، والخطأ والصواب.

١٦. لا تشغل نفسك بلبسِ السودِ والبكاءِ على
الماضي البعيد كما يفعلُ بعضُ المغفلين، لأنَّ
الماضي قد مضى، وعَلَيْنَا بالمستقبل، فليس هناك
خُودٌ لفكرةٍ معينةٍ سواءً كانت فكرةً دينيةً أو
اجتماعيةً، فكلُّ شيءٍ يخضعُ لقانونِ التطورِ
التاريخي.

١٧. لا تُجامل رجال الدين كثيرًا، لأنهم يعدونك
بالنار، والله يعدك بجنات تجري من تحتها الأنهار
خالدًا فيها.

١٨. لا تتشبت كثيرًا بالعبادات والتقاليد المجتمعية
المتطرفة، وكما قال المفكر والفيلسوف الفرنسي
جان جاك روسو: "يولد الإنسان حُرًّا ولكننا
مُحاطون بالقيود في كلِّ مكان". وقد يكون من
التقاليد ما يُعطّل الإنسان عن التفكير السليم،
بل يُضربُ بصحته ومزاجه وعلاقاته مع الآخرين.
وهذا لا يعني أنّ كلَّ التقاليد سيئة، بل هناك ما
يُدعى بالعرف وهو من الصفات الحميدة، مثل
الشجاعة والكرم.

١٩. لا تَخَفُ من الموت، لأنه حقٌّ على الجميع. فقد كان الحاكمُ الألمانيُّ (أدولف هتلر) يهابُ طبيبَ الأسنانِ ويخافُ الأماكنَ المرتفعةَ، وكان كلُّ من نابليون بونابرت وموسوليني يخافانِ القططَ، تلك المخلوقات الظريفة من وجهة نظري. وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدلُّ على أنَّ الخوفَ عاملٌ مشتركٌ بين بني البشر.

٢٠. فكر قليلاً: هل أنت مستعدٌّ لكي تُقابلَ اللهَ عز وجل أم لا؟ الأشياءُ التي فعلتها هل ستنفعك أم لا؟ إذا كانت الإجابة لا، انهضْ وقم بترك كلِّ شيءٍ، اركضْ مسرعاً إلى الله ليغفرَ لك كلَّ شيءٍ، ادعُ اللهَ كثيراً، لأنَّ الدنيا فانية، وأنت تركضُ فيها لغرض الحصول على المال والسعادة. تركضُ وتنسى أنها

فانية، لا ينفَعُك مالٌ، ولا سعادة، ولا حبيب، ولا
أيُّ شخصٍ من على هذا الكوكب.

٢١. عدم الإساءة إلى الأصدقاء والمعارف، وما بات
يُنعتُ به البعضُ من مسمّياتٍ صارموضة العصرِ
لدى ضعاف النفوسِ المريضة، وممن ينادون
بضرورة العمل على احترام الصداقة، إلا أنهم في
قرارة أنفسهم من أشدّ الناسِ إيلاًماً وخبثاً
لأصدقائهم، ما يعني الإساءة لهم وتسخيرهم
للقيام بأعمالٍ لا تليق بهم.

٢٢. توقّع المصائب يمكن أن يقودك لأخذ
الاحتياطات. فمثلاً، حين تتصور أن ابنك سيُقتل
في تظاهرات الشارع العراقي لأنه لم يحصل على
فرصة عمل، عليك أن تسلّحه بالمعرفة والوعي

المجتمعيّ بعدم التعرضٍ للقواتِ الأمنيةِ
وممتلكات الدولة والخاصة أو الآخرين.

٢٣. حينما اشترت بيتًا في مطلع شبابك أو سيارةً
أو هاتفًا حديثًا، كنت تعتقد أنه رائع، ولكن خلال
وقتٍ قصيرٍ ستأكل جاذبية الحاجة ويتضاءل
رونقها، ولم نعد نجد فيها أي إثارةٍ أو اهتمام. لكن
تصور خسارة شيءٍ ما هو طريقةٌ لتجديدِ تقديرنا
له.

٢٤. الخلايا العصبية في الدماغ لا تموت كما يقول
كلُّ من حولك، بل تختفي الروابطُ بينها ببساطةٍ
إذا لم ينخرط المرءُ في عملٍ عقلي.

٢٥. ينشأ الإلهاء والنسيانُ بسبب كثرة المعلومات،
لذلك ليس من الضروري أن تركّز حياتك كلها على
تفاهاتٍ غير ضرورية.

٢٦. من سنِّ ٦٠ فما فوق، لا يستخدمُ الشخصُ
عندَ اتخاذِ القراراتِ أحدَ فصيّ دماغه في نفسِ
الوقتِ، مثلَ الشبابِ، ولكن كليهما. لذلك لا
تخافوا من الشيخوخة، اسعَ جاهداً لتطويرِ
فكرِك، تعلمِ الألعابَ والفنونَ الجديدةَ، وصنعِ
الأشياءِ، ورسمِ الطبيعةِ.

٢٧. اهتمّ بالحياةِ، وطالعِ الصحفَ، والتقي
بالأصدقاءِ وتواصلْ معهم، خططْ للمستقبلِ،
سافرْ بأفضلِ ما يمكنكُ، لا تنسَ الذهابَ إلى
المحلاتِ التجاريةِ ومعارضِ الكتبِ والمكتباتِ، ولا

تصمتُ وحدك، فإنه مدمرٌ لأيِّ شخصٍ. عشْ مع

كلِّ الأشياءِ الجيدة، فلا تزالُ أبوابُ الحياةِ أمامك!

٢٨. قد تكونُ صادفتَ من الشخصياتِ التي تلفُّها

هالةٌ من البؤسِ والهوانِ، دائمَ الشكوى والحنقِ،

كثيرَ اللومِ، غيرَ راضٍ عن وضعهِ المعيشيِّ ولا حالتهِ

الاقتصاديةِ ولا حياتهِ الشخصيةِ. يعيشُ في دوامةٍ

من الأوهامِ، يتعايشُ مع دورِ الضحيةِ ويتلبسُ

دومًا بها، ساخطٌ على حالهِ وظروفهِ وحياتهِ،

ساخطٌ على كلِّ شيءٍ، ساخطٌ على المجتمعِ الذي

يراهُ بعينه ظالمًا متجبرًا. يقارنُ بينه وبين أخيه أو

صديقه أو جاره الناجحِ، وبينه وبين الزميلِ أو

الرفيقِ المتفوقِ، وينظرُ للجارِ الغنيِّ. احذرُ من

هؤلاءِ، فقد تأخذُك بهم الشفقةُ، وترغبُ في

مساعدهم ولو عاطفيًا، فتقعُ في شراكه،
وتشربُ من سُمِّ شكواه دون أن تشعر.

٢٩. يزدادُ خطرُ الإصابةِ بمرضِ الزهايمرِ مع
التقدمِ في السنِّ، فهو نادرًا ما يصيبُ الشخصَ
قبلَ سنِّ ٦٥ عامًا، ويصيبُ نحوَ ١٥ بالمئة من
الأشخاصِ الذين تزيدُ أعمارُهم على ٨٠ عامًا.
وتتأثرُ النساءُ في كثيرٍ من الأحيانِ أكثرَ من الرجالِ،
لأنهن يمثِلنَ حوالي ٦٠ بالمئة من المرضى الذين
يعانونَ من مرضِ الزهايمرِ. ويمكنُ تجنبه من
خلالِ الغذاءِ الصحيِّ وممارسةِ الرياضةِ،
والتخلصِ من الوزنِ الزائدِ، والمطالعةِ المستمرة.
فقد كنتُ أحبُّ والديَّ وأشقائي وزوجتي وأولادي
وأصدقائي فقط، بدأتُ الآن أحبُّ نفسي معهم!

فقد أدركتُ للتو أنني لستُ مثلَ "أطلس" في

أساطير اليونان، والعالمُ لا يقفُ على ظهري!

٣٠. توقفُ عن مساومةِ بائعِ الفواكهِ والخضارِ،

فبالنهايةِ، لن تزيدني بعضُ الدنانيرِ غنىً، لكنها قد

تساعدُ ذلكَ البائعَ المسكينَ على توفيرِ مستلزماتِ

المدرسةِ لأبنائه!

٣١. ادفعْ لسائقِ سيارةِ الأجرةِ من دونَ انتظارِ

الباقى، فقد تضرعُ المبالغُ الإضافيةُ ابتسامةً على

وجهه. على أيِّ حالٍ، إنه يكدُّ من أجلِ لقمةِ

العيشِ أكثرَ مما أفعلُ أنا اليوم!.

٣٢. لا تنتقدُ الناسَ حتى عندما تدركُ أنهم على

خطأ، فبالتالي لم يعدْ يهْمُك إصلاحُ الناسِ وجعلُ

الجميع مثاليين. إنَّ السلامَ معَ الكلِّ أفضلُ من
الكمالِ الوهيمِ!

٣٣. مارسْ فنَّ المجاملاتِ بسخاءٍ وحريةٍ بلا نفاقٍ،
إذ تعلمتُ بالخبرة أنَّ ذلك يُحسنُ المزاجَ ليسَ
فقط لمن يتلقى المجاملة، ولكن خصوصًا بالنسبةِ
لي أيضًا!

٣٤. تعلمتُ ألا أنزعجَ من تجعُّدٍ يحدثُ على
قميصي أو اتساخٍ فيه، فبالتالي إنَّ قوَّةَ
الشخصيةِ أهمُّ بكثيرٍ من المظاهرِ!

٣٥. ابتعدْ بهدوءٍ عن الناسِ الذين لا يقدرُّونك،
فبالتالي قد لا يعرفونَ قيمتكِ، وأعلمُ أنَّ اللهَ
يصرفُهم عنك لأنهم لا يستحقونَ أن يكونوا في

دائرة أهل الفضل، بل وإنهم طردوا من باب
الإحسان وتولّوا معرضين.

٣٦. كن بارداً كالثلج عندما تواجه أحدهم

يستفزك بعدوانية، حتى لا تدخل في جدلٍ عقيم؛

على أيِّ حالٍ، في النهاية، لن يبقى من كلِّ

الجدالاتِ شيءٌ. وأنتَ على فراشِ الموتِ سوف

تبقى قلقاً على أبنائك وأحفادك، لأنَّ هناك حرباً

نوويةً مفتوحةً لكلِّ الاحتمالات، وحرباً اقتصاديةً

ثم حرباً مقدسةً دينيةً تلعبُ الكنيسةُ الروسيةُ

دورَ الإعلانِ عن التعبئة، وتأجيجِ الصراعِ القديمِ

الذي استمرَّ ثلاثة قرونٍ. وهناك حربٌ في قطاعِ

غزة لا تتوقفُ بتوقفِ البارود، وهناك حروبٌ غير

معلنةٍ في منطقتنا العربية والشرقِ المتوسطِ؟

وحروبٌ بالوكالةٍ وحروبٌ أهليةٌ مع ازديادِ أعدادِ
الهجرة غير الشرعية. وتعاني مناطقٌ شاسعةٌ في
العالم من ظاهرة التصحر والجفاف، مما أدى إلى
رح حوالي ٨٠٠ مليون إنسانٍ للعيش تحت خطِّ
الفقر نتيجة الشحِّ المائي والغذائي وأثار التغيراتِ
المناخية والحروب. وللأسف الشديد أن الإنسان
في الدول المتقدمة يتجه إلى الإلحاد والزواج المثلي
بدلاً من أن يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن ينقذ
البشرية من الورطة التي تحدث الآن من تهديدِ
بحربٍ نوويةٍ مدمِّرةٍ، سوف تحرق الجميع دون
استثناءٍ. وهناك من يتوعدك بعذابِ القبر: وهو
العذابُ الذي يسلطه الله على المخالفين والعصاة
في قبورهم بعد وفاتهم إلى يوم القيامة، وهو ما

يسمى بعذاب البرزخ وهو بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وقد ذكر في الأحاديث، وقيل إنه ذكر في القرآن، وما نسمعه من رجال الدين عند إقامة المآتم على موتانا، وما نسمعه من القنوات الفضائية الدينية. (١٣)

٢٤ - مظلومية المرأة العراقية والمرأة الإيرانية :

حينما جاء حزب البعث إلى السلطة في العراق عام ١٩٦٨، رفع شعار التغيير والقضاء على الفساد والتخلف، ودعوا الشعب إلى التحرر من الماضي. ومما يدل على أن الشعوب تريد الحرية والانفتاح، اندفعوا بحماس في التحرر من كل

(١٣) مالك اليوم / ما عذاب القبر؟ / موقع موضوع / ٢٣ نوفمبر ٢٠٢١.

https://mawdoo3.com/%D9%A5%D8%AV_%D8%B9%D8%B0%D8%AV%D8%A8_%D8%AV%D9%A4%D9%A2%D8%A8%D8%B1

القيود، ودعوا المرأة إلى التحرر من القيود الاجتماعية والعشائرية والمساهمة الفعالة في تنفيذ التنمية الانفجارية. حينها ظهرت في العراق موضة الملابس القصيرة (التنورة والكوستم وما إلى ذلك) وكان يُطلقُ عليها (الميني جوب)، وقد غزت تلك الموضة العالمَ كلَّه وليس العراق فقط، كأحدثِ تقليعةٍ في عالم الأزياء النسائية.

لكنَّ تلك التقليعة الحديثة في عالم الأزياء لم ترق إلى عضو القيادة ونائب رئيس الوزراء آنذاك (صالح مهدي عماش ١٩٢٤-١٩٨٥)، فما كان منه، باعتباره وزيراً لداخلية النظام الحاكم، سوى أن يصدرَ أمراً بصيغ سيقانٍ كلِّ فتاةٍ تلبسُ (الميني جوب) بالتنسيق مع أمانة العاصمة.

تفاجأ أهالي بغداد صباحاً بعمال (أمانة العاصمة) وهم يحملون (السطل والفرشاة) لتنفيذ أمر السيد الوزير، وحدثت مشاكل ومواقف صعبة ومحرجة للكثير من النساء والعوائل بسبب ذلك الأمر والتصرف الشخصي، وبدأت الصحف بالكتابة عن الموضوع بسخرية تامة.. مما اضطر الحكومة إلى إلغاء الأمر فوراً بعد أن تعرضت إحدى الفتيات إلى عملية دهس من سيارة مسرعة أثناء هروبها من عمال أمانة العاصمة المغلوب على أمرهم.

كذلك في إيران، فمنذ انطلاق الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وأستلام الحكم من شاه إيران المخلوع (محمد رضا بهلوي ١٩١٩-١٩٨٠)، فرضت

السلطات الإيرانية الإسلامية الجديدة قيوداً
إجباريةً على المرأة الإيرانية حتى مقتل (مهسا
أميني ٢٠٠٠-٢٠٢٢) أو كما تعرف في مدينتها بـ
(جينا أميني).

ومن المعروف أنها توفيت في المستشفى في ١٦
سبتمبر ٢٠٢٢، بعد ثلاثة أيام عند احتجازها من
قبل شرطة الأخلاق في مدينة طهران العاصمة
بتهمة انتهاك قوانين غطاء الرأس الصارمة. وقد
أثارت وفاتها أكبر موجة احتجاجات في إيران منذ
الثورة عام ١٩٧٩، وأظهرت النساء في جميع أنحاء
العالم دعمهن من خلال قصّ شعورهن كفعل
تحدي.

وبما أنني من مدمني السفر إلى مدن إيران الجميلة
جميعها منذ سقوط نظام (صدام حسين المجيد)
عام ٢٠٠٣ ورفع قيود السفر تدريجياً بين إيران
والعراق... لاحظتُ أن هناك شرطةً علنيةً وشرطةً
سريةً تحاسبُ المرأةَ الإيرانية على ما يُسمى غطاء
الرأس (الحجاب) وتغطية الشعر الظاهر للعيان،
في حين لا يوجدُ حسابٌ على تجميل الوجه ووضع
المكياج ونفخ الشفاه والخدود... إلى آخر من
عمليات التجميل النسائية.

كذلك في الأماكن المقدسة الإيرانية كـ (مشهد،
قم، أصفهان)، تتواجدُ في تلك الأماكن نسوةٌ
مرشداتٌ دينٌ (زينبيات) ينصحن المرأةَ المارةَ قرب
تلك الأماكن بلبس الحجاب إذا كان نازلاً على

الرقبة كإنذارٍ مسبقٍ أو توجيهٍ إرشاديٍّ لمن لا تلتزمُ
بذلك. ولا أعرفُ من أفتى بهذه القنبلة الموقوتة،
والتي تقولُ {بأنَّ شعراً المرأة عورةٌ} ويجبُ
المحاسبةُ عليه، ولكني أرى أن من يقفُ وراء ذلك
رجالٌ دينٌ متشددين وليس رجالَ سياسةٍ وسلطةٍ
عامةٍ.

ففي أواخرِ سبعينياتِ القرنِ العشرين، انتشرت
ظاهرةُ الحجابِ الإسلاميِّ بصورةٍ غيرِ مسبوقةٍ،
منذِ بدايةِ ما يسميه البعضُ (الصحوة
الإسلامية).

فمن مجتمعاتٍ في ستينياتِ القرنِ العشرين لا
تعرفُ هذا الزيَّ، لدرجةٍ أنَّ طالباتِ مدارسِ الأزهرِ
في مصرٍ لم يكنَّ يرتدينَ الحجابَ، إلى ظاهرةٍ تكادُ

تسيطر على مجتمعات إسلامية بأكملها في عصرنا الحالي. حينها كانت نسبة التحرش بالنساء في الدول العربية والدول الإسلامية أقل بكثير مما نراه اليوم، بعد أن تحجبت معظم نساء المسلمين في معظم دول العالم، وأصبح حجاب الرأس ميزة تميز المرأة المسلمة حتى في أوروبا وأمريكا.

وصاحب انتشار هذه الظاهرة احتقار لغير المحجبات، ونعتهن بكلمات مهينة مثل "سافرة" و"متبرجة" و"غير ملتزمة".

ومهما كان سبب هذه الظاهرة، سواء كان رغبة في الزهد، أم خوفاً من عذاب الله وجحيم جهنم، أم ضغطاً مجتمعياً لا يتسع المجال هنا لشرحه، فإنها لا شك ظاهرة تحتاج إلى الدراسة والتحليل.

وأول سؤالٍ على الجميع أن يسأله: هل الحجابُ
فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ؟ أم أنه نوعٌ من
العاداتِ والتقاليدِ المتوارثةِ عبرَ التاريخِ؟ هذا
السؤالُ متروكٌ للجميعِ والراسخينِ في الدينِ.

واصلتِ السلطاتُ الإيرانيةُ فرضَ ارتداءِ
الحجابِ، حيثُ ربطتُ الآنَ حصّةَ الصيدليةِ من
الأدويةِ بشرطِ ارتداءِ الموظفينِ والعملاءِ للبرقعِ.

وجاءَ في موقعِ "إريم نيوز": وقبلَ أسابيعَ قليلةٍ،
أطلقتِ السلطاتُ الأمنيةُ حملةً واسعةً شملتُ
إغلاقَ العديدِ من المطاعمِ والمقاهي والمكتباتِ.
ويرجعُ ذلكُ إلى دخولِ الفتياتِ البلادَ دونَ ارتداءِ
الحجابِ الذي أدخلتهُ السلطاتُ عامَ ١٩٧٩.

وقال المدير العام لهيئة الغذاء والدواء الإيرانية،
حيدر محمددي: "إن الصيدليات التي لا تلتزم
بالتحذيرات بشأن وجوب ارتداء الحجاب
للموظفين والعملاء على حد سواء، ستواجه
الإجراءات التالية: وهذا يشمل خفض حصص
الأدوية."

في مارس/ ٢٠٢٤، أصدرت إدارة الغذاء والدواء
إرشادات حول قواعد اللباس لموظفي الصيدلة،
والتي تطلب من الموظفات، بما في ذلك المديرات
الفنيين وغيرهم من الموظفين، ارتداء الحجاب
الأسود. ويأتي هذا التوجيه بعد تحذير
الصيدليات في مختلف المدن الإيرانية أو إغلاقها

بسبب عدم امتثال الموظفين لالتزام ارتداء
الحجاب.

وتمركزت عناصرُ من الشرطة والدوريات
والشاحنات البيضاء في شوارع وساحات المدن،
وقامت باعتقال النساء والفتيات غير الملتزمات
بشرط الحجاب.

٢٥- مصادر التشريع :

تعددت مصادر التشريع لدى عموم المسلمين،
حتى تجاوزت القرآن والسنة، لتشمل سنن
الصحابة، ومن ثم سنن أئمة أهل البيت، بعد
ترقية الصحابة إلى مستوى العدالة المطلقة، التي
هي معادلٌ موضوعيٌّ للعصمة، ورفع أئمة أهل

البيت إلى درجة العصمة، وصولاً إلى وجوب
التقليد، ووجوب عودة الجاهل إلى العالم،
والعالم هنا رجل الدين.

فبقي المتلقي مرابطاً في القرون الأربعة الأولى،
يفكر بطريقة السلف وهو يعيش في القرن الواحد
والعشرين، حتى تداخل البشري بالإلهي، وصار
الفقه يُرادف الشريعة في وعي الناس، يخشاها
كما يخشى كتاب الله، بينما هي وجهات نظر
اجتهادية، تتحكم بها أفكار فقهية اجتهادية آتية:

١- ظهور فقه (التولي والتبري) في الفقه الجعفري،
ومفاده اعتبار موالاة أهل البيت والتبرؤ من
أعدائهم من فروع الدين، وشرطاً في قبول
الأعمال، رغم عدم وجود دليل قرآني صريح في

المقام. وهذا يعني أنّ التوليّي والتبريّي شرطٌ في
الخلاصِ والنجاةِ الأخرويةِ، وشرطٌ في بعضِ
الأحكامِ الشرعيةِ. فهناك إقصاءٌ صريحٌ
للمخالفِ، كحرمةِ أو كراهةِ تزويجه، ومخالطته،
وإعطائه من الأموالِ الشرعيةِ، بما فيها
الصدقاتُ.

٢- ظهورُ (أحكامِ الحيلِ الشرعيةِ)، فكانت سبباً
لإستباحةِ القيمِ الدينيةِ، وتسيوفِ أحكامِ
الشرعيةِ. ومثالها: بإمكانك شراءَ السائلِ الذي
يُحرّمُ بيعه وشراؤه، من خلالِ شراءِ القنينةِ. فأنت
تدفعُ الثمنَ مقابلَ القنينةِ الزجاجيةِ، وليس
مقابلَ السائلِ المحرّمِ. وقد حرّمَ بعضُ الفقهاءِ
الحيلَ الشرعيةِ، واعتبروها التفافاً على أحكامِ

الشريعة. وتتمثلُ خطورتُها في الرِّبا، حيثُ يمكنك
الالتفافُ عليه من خلالِ أحكامٍ أُخرى، وهكذا، تمَّ
تسويةُ قيمِ الدينِ بواسطةِ الفقهاءِ، بينما
الدوافعُ الأخلاقيةُ تحولُ دونَ ذلكِ جُزْماً.

٣- استباحةُ (ثرواتِ الدولة) بدعوى مجهولِ
المالكِ، أي نفيِ الشخصيةِ الاعتباريةِ للدولة،
فتغدو أموالُ الشعبِ مباحةً، يمكنُ سرقتها
والتصرفُ بها بعدَ دفعِ خمسِها للفقيرِ.

إنَّ الدينَ خَلْقٌ وإبداعٌ، وليسَ جموداً وتحنيطاً،
فهو سفرٌ دائمٌ إلى الأفاقِ البعيدةِ، لاكتشافِ معنى
الأحداثِ والأشياءِ، وإيجادِ أبجديةٍ جديدةٍ تنطقُ
وتشحنُ وتحركُ وتغيِّرُ. والدينُ يدعو إلى تخطي
عالمِ الكلماتِ إلى عالمِ المعاني.

(كسرِ ضِلَعِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ لَمْ يَثْبُتْ عَلَى ضَوْءِ
الْمَبْنَى الرَّجَالِيِّ لِلسَّيِّدِ الْخَوَّيِّ، وَالْمَبْنَى الْأَصُولِيِّ
لِلْأَخُونَدِ الْخِرَاسَانِيِّ. فَقَدْ وَرَدَتْ رِوَايَةٌ كَسْرِ ضِلَعِ
فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ فَقَطْ فِي كِتَابِ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسِ
الْهَلَالِيِّ الْكُوفِيِّ (٢ ق.هـ - ٧٦ هـ)، وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ
يَتَمَّ إِثْبَاتُ نَسَبِهِ لِسُلَيْمٍ عِنْدَ السَّيِّدِ الْخَوَّيِّ،
وَلِذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ كَسْرُ الضِّلَعِ عِنْدَهُ. أَمَّا الْأَخُونَدُ
الْخِرَاسَانِيُّ، فَقَالَ إِنَّ الرِّوَايَةَ وَالْخَبَرَ الْوَاحِدَ لَيْسَ
بِحُجَّةٍ فِي الْقَضَايَا التَّارِيخِيَّةِ وَالتَّكْوِينِيَّةِ
وَالْعَقَائِدِيَّةِ وَالمُتَعَلِّقَةِ بِالْآخِرَةِ وَالمُعَادِ. فَخَبَرَ الْوَاحِدَ
عِنْدَ الْأَخُونَدِ الْخِرَاسَانِيِّ حُجَّةٌ فَقَطْ فِي الْفَقْهِ.
وَرِوَايَةُ كَسْرِ ضِلَعِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ خَبَرٌ وَاحِدٌ،

ولذلك على مبنى الأخوند الخراساني لم يثبت كسرُ
ضلع فاطمة الزهراء). (١٤)

٢٦- ارتفاع سعر صرف الدولار.. والتغيير المطلوب:

المقدمة:

يتّصفُ المجتمعُ العراقيُّ اليومَ بعدمِ التغييرِ
الجذريِّ، بسببِ عدمِ التغييرِ السياسيِّ
والاقتصاديِّ، وكلُّ ما حدثَ فيه بعد عامٍ /٢٠٠٣/
هو تغييرٌ أيديولوجيٌّ دينيٌّ - طائفيٌّ - قوميٌّ، إذ تمَّ
تقسيمُ العراقِ إلى ثلاثةِ كانتوناتٍ: شيعيةٍ، سنيةٍ،
كرديةٍ، تحكّمها أحزابٌ ناشئةٌ أو عميقةٌ من أبناءِ
جلدتها.

(١٤) السيد كمال الحيدري / مركز ديني.

والتغيُّرُ صفةٌ ملازمةٌ للحياةِ الاجتماعيَّةِ، وأثارُه
واضحَةٌ في مختلفِ ميادينِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ،
والنُّظُمِ الاجتماعيَّةِ، والعلوْمِ، والعاداتِ،
والتقاليدِ، والقيمِ، وأنماطِ السلوكِ جميعُها
معرّضةٌ للتغيُّرِ بين فترةٍ زمنيَّةٍ وأخرى، نتيجة
التغيُّرِ الاقتصاديِّ.

فلا بدَّ من حكومةٍ تتحلَّى بالجرأةِ في العملِ حين
تحرَّرَ من القيودِ وتقومُ بما تخطَّطُ له، أيًّا كانتِ
المجازفةُ التي ستتخذُها أو نظرةَ المعارضينَ التي
ستتعمَّقُها. فالجرأةُ في العملِ قبلَ أن تكونَ سلوكاً
هي موقفٌ يجبُ أن تتَّخذَه، كما أنَّها وسيلةٌ
لمواجهةِ العقباتِ التي قد تقفُ في طريقها.

إنَّ ما يحدثُ في مجتمعِنَا من نُكوصٍ ليس نتيجةً
لفسادِ الأنظمةِ السياسيَّةِ ونُخبِها والأزماتِ التي
نعيشُها فقط، وإنَّما أيضاً نتيجةً للأزماتِ
الداخليَّةِ غيرِ المُعلَّنةِ التي يعاني منها البناءُ
الاجتماعيُّ، والمتمثِّلةُ بالفقرِ، والبطالةِ، والفسادِ
الأخلاقيِّ، والقيميِّ، والاجتماعيِّ. لكنَّ الأزمَةَ
السياسيَّةَ تتصدَّرُ المشهدَ الرئيسيَّ لتمثِّلَ السببَ
الأوليَّ لكلِّ المشاكلِ التي يعاني منها المجتمعُ، وهذا
غيرُ صحيحٍ.

وكما قالَ المفكِّرُ الألمانيُّ الكبيرُ كارلَ ماركسَ

(١٨٨٣-١٨١٨ م):

“الفقرُ لا يصنعُ ثورةً، وإنّما وعيُ الفقير هو الذي يصنعُ الثورةَ. الطاغيةُ مهمّته أن يجعلك فقيراً، وشيخُ الطاغيةِ مهمّته أن يجعلَ وعيكَ غائباً.”

أولاً: نقطة البداية:

• كيف يُباع الدولار في العراق؟.

من المعروف أنّ الدولار يأتي من بيع النفط العراقي من قبل شركة “سومو” التابعة لوزارة النفط لصالح وزارة المالية لتمويل الموازنة الجارية، وبأمر من وزارة المالية يقوم البنك المركزي العراقي بحفظ الدولار وبيعه من خلال نافذة بيع العملة، بعد أن يتلقّى إشعاراً من وزارة المالية بحاجتها الفعلية من الدينار العراقي، ويُسمَح للجهات

المجازة من قبله بالدخول إلى هذه النافذة
والشراء منه.

سابقاً كان البنك المركزي يبيع ٣٢٠ مليون دولارٍ
يوميّاً، ويسمحُ لأربعين مصرفاً أهليّاً بالدخول إلى
هذه النافذة من أصلٍ سبعين مصرفاً أهليّاً في
البلاد، نظراً لكون بعض المصارف لا تستوفي
شروطَ شراءِ العملة الأجنبية.

وكما هو معروفٌ، يقومُ البنك المركزي العراقيُّ
بالتعاون مع الحكومة في تحديد سعر صرفِ
الدولار الأمريكيّ اتجاه الدينار العراقيّ، وهو ١٢٠
ألف دينارٍ لكلِّ مئة دولارٍ، ويتمُّ بيعُ الدولار للبنوك
ومكاتب الصيرفة بـ ١٢٥ ألف دينارٍ لكلِّ مئة دولارٍ،
ثم تقومُ البنوك الخاصة ومكاتب الصيرفة ببيع

الدولار للمواطنين أو أي شخص يرغب بشراء
الدولار الأمريكي بـ ١٣٠ ألف دينار لكل مئة دولار
أمريكي. (١٥)

ثمَّ جاءَ القرارُ الأخيرُ بتغييرِ سعرِ الصرفِ ليكونَ
١٣٢٠ ديناراً لكلِّ دولارٍ، اعتباراً من ٨ شباط
٢٠٢٣، بعدَ قرارِ حكومةِ الكاظمي السابقة بتغييرِ
سعرِ الصرفِ من ١١٢٨ إلى ١٤٧٠ ديناراً.

وخلالَ الأشهرِ التسعةِ الماضيةِ من عامِ ٢٠٢٢،
كانَ البنكُ الفيدرالي الأمريكي (١٦) يُحدِرُ نظيره
العراقيَّ من قيامِ مصارفِ أهليَّةٍ بشراءِ الدولارِ من

(١٥) موقع كتابات / حول أزمة الدولار الأمريكي المفتعلة.. وجهة نظر للحل / نجم السديمي ٧ شباط ٢٠٢٣.

(١٦) (نظام الاحتياطي الفيدرالي) بالإنجليزية (Federal Reserve System) : (ويعرف أيضاً باسم الاحتياطي الفيدرالي، أو اختصاراً: الفيدرالي) جهاز حكومي فيدرالي، يعمل في الولايات المتحدة عمل البنوك المركزية في الدول الأخرى من العالم. أسس في ٢٣ ديسمبر ١٩١٣ بموجب قانون الاحتياط الفيدرالي بعد سلسلة من الأزمات المالية) وخصوصاً تلك التي وقعت عام ١٩٧٠ (حيث برزت الحاجة إلى إخضاع النظام المالي لرقابة مركزية بهدف الحد من الآثار السلبية للآزمات الاقتصادية. على مدى الأعوام المنة منذ تأسيسه، توسعت صلاحيات ومهام الاحتياطي الفيدرالي نتيجة لأحداث مثل الكساد العظيم، والأزمة المالية العالمية.

سوقِ العملةِ وتهريبِهِ إلى إيرانِ التي تخضعُ
لعقوباتٍ أمريكيّةٍ. غيرَ أنّ إدارةَ البنكِ المركزيِّ
السابقةَ تجاهلتْ هذهَ الرسائلَ واستمرّتْ في بيعِ
الدولارِ لتلكِ المصارفِ وفي نهايةِ عامِ ٢٠٢٢، أبلغَ
الفيدراليُّ الأمريكيُّ البنكَ المركزيَّ العراقيَّ بضرورةِ
منعِ أربعةِ مصارفٍ أهليّةٍ من دخولِ مزايدِ العملةِ
بتهمةِ تورّطِها في تهريبِ العملةِ إلى إيرانَ، وهي
مصارفُ (الشرقُ الأوسطُ، والأنصاريُّ، والقابضُ،
وآسيا)، التي يمتلكُ أغلبَ رؤوسِ أموالِها رجلُ
الأعمالِ العراقيُّ علي غلام.

بتاريخِ ٢٨ تشرينِ الثاني ٢٠٢٢، وجّهَ البنكُ
الفيدراليُّ الأمريكيُّ رسالةً إلى البنكِ المركزيِّ العراقيِّ
جاءَ فيها: "أنا لن نقفَ مكتوفي الأيدي أمامَ اتساعِ

جرائم غسيل الأموال في العراق، والتي تشترك في هذه الجرائم شخصياتٌ سياسيةٌ، ورجالُ أعمالٍ، أصحابُ مصارفٍ، إضافةً إلى الهيئاتِ الاقتصادية... إلى الحدِّ الذي أصبحت فيه من أسوأ ظواهر غسيل الأموال في الشرق الأوسطِ".

ورغمَ تنفيذِ البنكِ المركزيِّ لهذا الأمرِ، إلا أنَّ المصارفَ الأربعةَ استمرَّت تمارسُ عملها المصرفيَّ رغمَ منعها من الدخولِ في مزايدِ العملةِ. وعقبَ هذا الإجراءِ، فرضَ الفيدراليُّ الأمريكيُّ على البنكِ المركزيِّ ضوابطَ جديدةً لبيعِ العملةِ للتجارِ والمصارفِ. وقالَ مسؤولونٌ أمريكيُّونَ: "إنَّ النظامَ يهدفُ إلى الحدِّ من استخدامِ النظامِ المصرفيِّ العراقيِّ لتهريبِ الدولاراتِ إلى طهرانَ ودمشقَ

وملاذاتٍ غسيلِ الأموالِ في أنحاءِ الشرقِ الأوسطِ". وبموجبِ القواعدِ القديمةِ، لم يكنِ مطلوباً من أصحابِ الحساباتِ العراقيةِ الكشفُ عمَّن كانوا يرسلونَ الأموالَ إليه إلا بعدَ تحويلِ الدولاراتِ بالفعلِ. وقالتُ متحدثةٌ باسمِ بنكِ الاحتياطيِّ الفيدراليِّ في نيويورك، في تصريحٍ لصحيفةِ "وول ستريت جورنال": "لدينا نظامٌ امتثالٍ قويٌّ لهذه الحساباتِ يتطوَّرُ بمروء الوقتِ استجابةً للمعلوماتِ الجديدةِ". وقالَ مسؤولٌ أمريكيٌّ لصحيفةِ "وول ستريت جورنال": (١٧) "إنَّ

(١٧) وول ستريت جورنال هي جريدة دولية يومية باللغة الإنكليزية تنشرها شركة نشر الأمور الاقتصادية داو جونز في مدينة نيويورك مع طبعات آسيوية وأوروبية. واعتباراً من عام ٢٠٠٧، بلغ تداول نسخ الجريدة اليومية في جميع أنحاء العالم ما يزيد عن مليوني دولار، مع ما يقرب من ٩٣١٠٠٠ مشترك في الإنترنت.

الإجراءات ستحدُّ من قدرة الجهاتِ الفاعلةِ

الخبیثةِ على استخدامِ النظامِ المصرفيِّ العراقيِّ".

لكنَّ الإجراءاتِ أيضًا تُحدُّ من وصولِ التُّجَّارِ

العراقيينَ والشَّرَكَاتِ الشَّرعیَّةِ إلى الدُّولارِ، بسببِ

"أخطاءٍ تجري خلالَ عمليَّةِ التَّقْدِيمِ إلى المنصَّةِ"،

وفقًا لبيانِ البنكِ المركزيِّ العراقيِّ.

ووصفَ البنكُ المركزيُّ العراقيُّ المنصَّةَ الإلكترونيَّةَ

الجديدةَ، في بيانٍ صدرَ في ١٥ كانونَ الأوَّلِ/ديسمبرِ

٢٠٢٢، بأنَّها تطلبُ "تفاصيلَ كاملةً عن العملاءِ

الَّذينَ يريدونَ تحويلاتٍ ماليَّةً"، بما في ذلك

المستفيدونَ النهائيُّونَ.

وقالَ البيانُ: "يتمُّ اكتشافُ عددٍ من الأخطاءِ،

ويتعيَّنُ على البنوكِ إعادةُ العمليَّةِ"، مضيِّفًا:

”ستستغرق هذه الإجراءات وقتاً إضافياً قبل قبولها وإقرارها من قبل النظام الدولي“.

وتنقل صحيفة ”وول ستريت جورنال“ عن مسؤولين أميركيين قولهم إن ”القواعد الأكثر صرامة لتحويلات الإلكترونات بالدولار من قبل البنوك الخاصة العراقية لم تكن مفاجأة للمسؤولين في بغداد، حيث تم تنفيذها بشكل مشترك في تشرين الثاني/نوفمبر بعد عامين من المناقشات والتخطيط من قبل البنك المركزي العراقي ووزارة الخزانة الأميركية وبنك الاحتياطي الفيدرالي“.

وأضاف المسؤولون الأميركيون للصحيفة أن الارتفاع في سعر صرف الدولار لم يكن بسبب

الإجراءات الجديدة، وإنما بسبب "التدقيق في المعاملات الدولارية".

لكن رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني قال إنَّ تصرف مجلس الاحتياطي يضرب الفقراء ويهدد ميزانية حكومته لعام ٢٠٢٣، وأضاف في مقابلة مع الصَّحيفة أنَّه "سيرسل وفدًا إلى واشنطن الشهر المقبل مع اقتراح بوقف السياسة الجديدة مدَّة ستة أشهر".

وقالت الصَّحيفة المذكورة إنَّ كبار المسؤولين العراقيين الذين تربطهم علاقات بإيران أكثر انتقادًا، مثل رئيس منظمة بدر/هادي العامري، الذي قال خلال اجتماع مع السفير الفرنسي في

بغداد: "يَعْلَمُ الْجَمِيعُ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُ الْأَمِيرَكِيُّونَ

الْعُمْلَةَ كَسَلَحٍ لَتَجْوِيعِ النَّاسِ".

الإجراءاتُ الجديدةُ:

تقديمُ كشوفاتٍ عن الجهةِ المستفيدةِ من

الدُّولارِ، سواءً أكانت في الداخلِ أم في الخارجِ،

خلالَ مدَّةٍ أقصاها ٢٤ ساعةً، بدلًا من ٢٠ يومًا

كما كانت المهلةُ سابقًا؛ ما أسهمَ بشكلٍ مباشرٍ في

عزوفِ المصارفِ الأهليَّةِ والتُّجَّارِ وأصحابِ

الصِّيرفاتِ عن الدخولِ إلى مزادِ العُملةِ، خوفًا من

شمولهم بإجراءاتٍ عقابِيَّةٍ تمنعهم من مزاولَةِ

عملهم، وفقًا لما وردَ في بيانِ الفيدراليِّ الأميركيِّ.

• انخفاض حجم شراء الدولار من -البنك المركزي العراقي- (١٨) من ٣٢٠ مليون دولار يومياً إلى ٨٥ مليون دولار فقط. هذا الرقم لا يُعطي بالتأكيد الحاجة الفعلية للتداول في السوق العراقية، ما أدى إلى إيجاد طلب أعلى على الدولار في المصارف الأهلية ومكاتب الصرافة، ليرتفع سعر الصرف تلقائياً في الأسواق، إضافة إلى ارتفاع أسعار البضائع المستوردة، مع إضافة التجار فرق الشراء من السوق السوداء على البضائع التي يقومون باستيرادها؛ وبذلك تحمّل المواطن العراقي أعباء هذا الفرق، وبدأ يشعر بارتفاع الأسعار.

(١٨) البنك المركزي العراقي : هو البنك المركزي لجمهورية العراق، تأسس عام /١٩٤٧ ومقره العاصمة العراقية بغداد ويقع في شارع الرشيد. الأهداف الرئيسية للبنك المركزي العراقي تتمثل في ضمان استقرار الأسعار المحلية وتعزيز نظام مالي مستقر قائم على السوق التنافسي.

• على المصارف العراقية تقديم تحويلات بالدولار على منصة جديدة على الإنترنت مع البنك المركزي العراقي، والتي تتم مراجعتها بعد ذلك من قبل بنك الاحتياطي الفيدرالي.

• نتائج الإجراءات الجديدة:

يقول المحلل الاقتصادي (حسن الراضي) لموقع "الحرة" إن "هذا يعني أن الأموال موجودة، لكن صرفها مقيد، ما يعني أن الأزمة الحالية يمكن أن تُحل في أي لحظة، ويمكن أن تستمر إلى أن يقبل العراقيون بالتعامل وفق الأنظمة الجديدة".

وقد فرض بنك الاحتياطي الفيدرالي في نيويورك قيودًا أكثر صرامة على المعاملات الدولية بالدولار من جانب البنوك العراقية التجارية في تشرين

الثاني/نوفمبر، في خطوةٍ للحدِّ من غسلِ الأموالِ
والسَّحبِ غيرِ القانونيِّ لِلدُّولارِ إلى إيرانَ وغيرها من
دَوْلِ الشَّرْقِ الأوسطِ التي تخضعُ لعقوباتٍ
شديدةٍ، كما تقولُ صحيفةُ وول ستريت جورنال.

وقالَ (محمود داغر)، رئيسُ مصرفِ الجنوبِ
الإسلاميِّ، لِصحيفةِ وول ستريت جورنال: "إنَّ
سياسةَ الصَّدمةِ التي انتهجها مجلسُ الاحتياطيِّ
الفيدراليِّ أحدثتْ أزمةً داخلَ الاقتصادِ العراقيِّ
المعتادِ على طريقةِ تعاملٍ أكثرَ مرونةً في ما يتعلَّقُ
بتحويلِ الدُّولارِ".

ثانياً. العوائد النفطية: (١٩)

ولا تشير الأزمة في العملة إلى مشكلة اقتصادية،
وفقاً لخبراء عراقيين، حيث إن "الاقتصاد
العراقي يظهر مؤشرات هي الأقوى منذ فترة"، كما
يقول الخبير المصرفي والمستشار الحكومي العراقي
مظهر محمد صالح.

ويضيف صالح أن العوائد النفطية للبلاد اليوم
هي الأعلى في تاريخ العراق الاقتصادي الحديث، إذ
زادت على ١١٦ مليار دولار، رافقتها احتياطات
أجنبية قاربت ١٠٠ مليار دولار، وهي الأعلى أيضاً
في التاريخ المالي للعراق. ومؤخراً قال رئيس الوزراء

(١) حقق العراق خلال العام (٢٠٢٢) عائدات مالية بأكثر من ١١٥ مليار دولار جراء تصدير النفط الخام،
لتكون الأعلى منذ سنوات بحسب الأرقام الرسمية التي أعلنتها وزارة النفط العراقية، مقارنة بعام/ ٢٠٢١
التي بلغت ٧٥,٦٢٠ مليار دولار.

العراقيّ إنّ احتياطيّاتِ العراقِ بلغتْ ٩٦ مليارَ
دولارٍ.

وأضافَ صالحٌ لموقعِ "الحُرّة" أنّ فائضَ الحسابِ
الجاريّ لميزانِ المدفوعاتِ نسبةً إلى الناتجِ المحليّ
الإجماليّ يصلُ إلى ما يقربُ من ١٥ بالمئة، وهو أحدُ
المؤشّراتِ التي تدلُّ على قوّة القطاعِ الاقتصاديّ
الخارجيّ للبلادِ.

وقد وصلَ سعرُ الدولارِ في السُّوقِ غيرِ الرّسميّةِ إلى
١٧٢٠ دينارًا لكلِّ دولارٍ، مقابلَ ١٤٥٠ دينارًا قبلَ
الأزمةِ.

ثالثاً. ما خلفية رفع سعر الصرف؟

يعيشُ العراقُ أزمةً بسببِ الانخفاضِ الواضحِ
للدينارِ أمامَ الدولارِ، والذي بلغَ في الأسواقِ

المحليّة ١٤٦٢ دينارًا مقابلَ الدولارِ الواحدِ، علمًا
بأنّ السعرَ الرّسميَّ للدولارِ في الموازنة العامّة للبلادِ
عامَ ٢٠٢٢ كانَ ١٤٥٠ دينارًا، وهو أيضًا السعرُ
الذي يعتمدُه البنكُ المركزيُّ العراقيُّ حاليًا للبيعِ.

ففي عهدِ رئيسِ الوزراءِ السّابقِ مصطفى
الكاظمي، اقترحتُ الحكومةُ تغييرَ سعرِ الصّرفِ
من ١٢٠٠ دينارٍ للدولارِ الواحدِ إلى ١٤٤٥ دينارًا.

وبرّرتُ الحكومةُ آنذاك قرارَها بالرّغبةِ في إيقافِ
تهريبِ العُملةِ إلى الخارجِ، على أن يكونَ رفعُ سعرِ
الصّرفِ مؤقتًا لحينِ السّيطرةِ على الأمرِ، لكنّ تمّ
اعتمادُ الرفعِ أيضًا في موازنةِ ٢٠٢١، وكذلك
٢٠٢٢، أمّا في موازنةِ عامِ ٢٠٢٣ فاعتمدَ سعرُ
صرفِ ١٣٢٠ دينارًا للدولارِ.

رابعاً. نظام سويفت SWIFT:

لا شكَّ أنَّ كثيرًا من العراقيين يسألون: ما هو نظام سويفت؟ (٢٠) وكيف يعمل؟ وكيف يتحكَّم بالاقتصاد العالمي؟ وما مدى تأثيراته على اقتصاد الدُّول، وبالأخصَّ العراق الذي بدأ العمل بهذا النظام منذ الأيام الأولى لتولي محمَّد شياح السُّوداني رئاسة الحكومة، وبعد مرور خمسين عامًا على استخدامه من قِبَل دُول العالم.

وكلمة سويفت - SWIFT - هي اختصارٌ لـ "جمعية الاتصالات المالية العالمية بين البنوك"، وقد أنشئ هذا النظام عام ١٩٧٣، ومركزُه هذه الجمعية في بلجيكا، ويربطُ نظام سويفت ١١ ألف بنك

(٢٠) نظام "سويفت" هو نظام مالي عالمي يسمح بانتقال سلس وسريع للمال عبر الحدود.

ومؤسسة في أكثر من ٢٠٠ دولة. كما يقوم هذا النظام المصرفي بمراسلة فورية للزبائن ويُخبر المستخدمين بموعد إرسال المدفوعات وتسليمها، كما يقوم بإرسال أكثر من ٤٠ مليون رسالة يوميًا، إذ يتم تداول تريليونات الدولارات بين الشركات والحكومات على مستوى قارات العالم.

هناك عدة أسباب، ولكن السبب الرئيس هو تجاوز العقوبات الاقتصادية من قبل مصارف تابعة لقوى وشخصيات سياسية عراقية مرتبطة بإيران، وتهريب العملة الصعبة إليها لإنعاش اقتصادها المنهار، نظرًا لاستمرارها في تطوير برنامجها النووي ودعم الفصائل المسلحة في كل

من العراق ولبنان واليمن والبحرين وفلسطين،
وعدة دولٍ أُخرى في المنطقة.

إنَّ العملَ بنظامِ سويفتِ تسبَّبَ بانخفاضِ سعرِ
صرفِ الدينارِ العراقيِّ أمامَ الدُّولارِ، ومواجهةِ
طبقاتٍ كبيرةٍ من المجتمعِ العراقيِّ ظروفًا معيشيةً
صعبةً للغاية نتيجةً ارتفاعِ أسعارِ السلعِ
والخدماتِ. هذا من جانبٍ، ومن جانبٍ آخرٍ
سينهي فرضُ هذا النظامِ عمليَّةَ تهريبِ الدُّولارِ من
السُّوقِ العراقيَّةِ لدعمِ الاقتصادِ الإيرانيِّ، وهذا
الأمرُ أكيدٌ هو لصالحِ الاقتصادِ العراقيِّ، وإنْ كانتْ
تأثيراتُه كبيرةً في الوقتِ الحاضرِ على الحالةِ
المعيشيةِ لغالبيةِ العراقيينَ.

خامساً. ما الحلول المقترحة؟

هناك مجموعة من الحلول المقترحة للأزمة غير أنها موضع خلاف بين الجهات الرسمية، والخبراء بشأن نجاعة تطبيقها.

من هذه الحلول، على سبيل المثال:

- يقوم البنك المركزي بتسليم الرواتب للموظفين بالدولار بدلاً من الدينار العراقي، لتعويض نقص الدولار الحاصل في الأسواق، غير أن هناك رأياً يعارض هذا التوجه، مستنداً إلى أن العملة الرسمية للدولة هي الدينار كما هو منصوص عليه في القوانين العراقية، ولا يجوز للحكومة تسليم الرواتب بغير عملة الدينار.

• ويقترح خبراء قيام البنك المركزي بسحب السيولة النقدية المكتنزة لدى المواطنين، والتي تُقدَّر بـ ٤٤ تريليون دينارٍ عراقيٍّ (ما يقارب ٣٠ مليار دولار)، وذلك من خلال سنداتٍ ماليَّةٍ مع منح فوائدٍ عاليةٍ لإغراء المواطنين بإيداع أمواله في المصارف الحكومية والأهليَّة، وبذلك يقلُّ الطلبُ على الدولار في التداول اليوميِّ.

• الطلبُ من الفيدراليِّ الأميركيِّ إلغاء شرط تقديم الكشوفات خلال ٢٤ ساعة، لحين إجراء تسوية وتعديلاتٍ على نافذة بيع العملة، ورغم أنَّ هذا الحلَّ سريع، لكنَّه مؤقتٌ.

• منح امتيازاتٍ للتجار لفتح حساباتٍ لهم في المصارف الحكومية والأهليَّة ورفع الضريبة عنهم،

مع إيجاد منصة إلكترونية مستقبلاً تقومُ
باستقطاع الأموال من حساباتهم عند شراء
الدولار، وبذلك تكونُ هناك رقابةً كاملةً على
حركة الأموال الداخلة والخارجة، غير أن هذا
الحل يُعتبرُ طويلاً الأمد وقد يكلفُ المزيد من
الوقت والجهد.

• تخفيض سعر صرف الدولار في الموازنة العامة
للبلاد لعام ٢٠٢٣ إلى ١٣٢٠ ديناراً للدولار الواحد،
وهو ما معمولٌ به رسمياً.

سادساً. ما هو موقف الحكومة؟

تسعى الحكومة العراقية إلى تدارك الأزمة
من خلال :

• عزل محافظ البنك المركزي مصطفى غالب مخيف (التابع للتيار الصدري)، وتعيين محافظ البنك المركزي الأسبق علي محسن العلاق (التابع لحزب الدعوة)، واللذان هما على معرفة تامة بعملية غسيل الأموال.

• زيارة الولايات المتحدة من قبل المسؤولين للتفاهم مع البنك الفيدرالي الأميركي بشأن هذه الموضوعات في زيارة ستعقبها زيارة أخرى للسوداني إلى واشنطن.

• امتلاك العراق احتياطاً مالياً وسبائك ذهبٍ قرابة ٩١ مليار دولار، إضافةً إلى ارتفاع أسعار النفط المصدر، بسبب الحروب في غزة وأوكرانيا، وهو ما قد يساعد بإقناع الجانب الأميركي بوجود

احتياطيّ نقديّ يسمح للبنك ببيع العملة الأجنبية
بشكلٍ مريحٍ دون حصول خللٍ بمعادل ميزان
المدفوعات ما بين العملة المحليّة والعملية
الأجنبيّة.

سابعاً. إيران رأس الحربة:

تُعتبرُ إيرانُ العراقَ بمثابة رئةٍ تنفّسيةٍ دولاريّةٍ لها
بسبب العقوبات الأميركية والغربيّة التي تخنقها،
إذ سمحت أميركا للعراق باستيراد مختلف الموادّ
من إيران وبالعملة العراقيّة (الدينار)، مما أدّى
إلى تراكم مبلغٍ كبيرٍ لدى إيران من العملة
العراقيّة يُقدَّرُ بأكثر من ٥٠ ترليون دينارٍ عراقيّ،
تقوم الحكومة الإيرانيّة وعن طريق شبكاتٍ سريةٍ

خاصةً بإعادتها إلى العراق وتحويلها إلى دولار أمريكي.

وحكومة الإطّار تعتبر أنّها من "واجهها العقائديّ" مساعداً إيران في محنتها المزمّنة إلى آخر نفس، لكنّ هذه المساعدة تلقي بظلالها الثقيلة على عموم العراقيين الساخطين من رفع الأسعار وتهديد لقمة خبزهم، لإرضاء جارٍ لديه مشاكلاً مع بعض دول الخليج العربيّ وإسرائيل، ولديه طموحاتٍ دوليّةٍ خطّرة ستقوده للاصطدام بالمجتمع الدوليّ، ويكاد هذا الجار أن يتحوّل إلى سجينٍ محكومٍ بالسجن المؤبد مدى الحياة.

رغم ذلك لا يجوز لأيّ منصفٍ أن يُنكر دور إيران في مساعدة العراق في التصدي لداعش الإرهابيّ،

ولكن أيضاً - التحالف الدولي - (٢١) كان له دعمٌ حاسمٌ في ذلك، وطبعاً إيران لم تقدّم رصاصةً واحدةً للعراق مجاناً، باعتراف قياداتٍ رفيعةٍ في الجيش الإيراني وفي الحرس الثوري الإيراني، بل إنَّها أخذت كلَّ حقوقها حتى آخرِ فلسٍ، لكن من غير المقبول أن تسعى حكومة الإطّار التنسيقيّ لإنقاذ إيران من محنتها الدولارِية على حساب الشعب العراقيّ، لأنَّ الشعبَ سوف يثور عليها، وسيعاقبُ هذه الحكومة عاجلاً أم آجلاً.

وأخيراً، موافقة مجلس الوزراء العراقيّ على الدراسة التي قدّمها البنك المركزيّ بخفض أسعار الدولار الأميركيّ أمام الدينار، إذ شهد السوق

(٢١) تم تشكيل التحالف الدولي المكون من ٨٥ دولة ضد داعش في أيلول عام ٢٠١٤ وللتحالف تميز بعضويته ومجال عمله والتزامه. يلتزم أعضاء التحالف الدولي جميعاً بإضعاف تنظيم داعش وإلحاق الهزيمة به في نهاية المطاف.

الموازيُّ تراجعًا كبيرًا في سعرِ الصرْفِ ليصلَ إلى
١٤٥ ألفَ دينارٍ مقابلَ ١٠٠ دولارٍ، وذلكَ بعدَ أن
وصلَ لأكثرَ من ١٧٠ ألفَ دينارٍ في وقتٍ سابقٍ،
ليعودَ مرةً أخرى إلى الارتفاعِ إلى ١٦٥ ألفَ دينارٍ،
وأخيرًا إلى ١٥٨ ألفَ دينارٍ مقابلَ ١٠٠ دولارٍ أمريكيٍّ.

واستكمالًا لجهودِ جهازِ الأمنِ الوطنيِّ في ملاحقةِ
مهربِي الدولارِ والمضاربينَ بأسعارِهِ، تمكنتَ مفارزُ
جهازِ الأمنِ الوطنيِّ في محافظةِ صلاحِ الدينِ
استنادًا إلى معلوماتٍ استخباريةٍ وبعدَ استحصالِ
الموافقاتِ القضائيةِ من إلقاءِ القبضِ على
شخصٍ كانَ يحاولُ تهريبَ (٦٠٥) آلافِ دولارٍ
بطريقةٍ غيرِ شرعيةٍ.

وقد تمّ تدوينُ إفادةِ المتهمِ أصولياً وإحالةِته مع
المضبوطاتِ إلى الجهاتِ المختصةِ لاتخاذِ
الإجراءاتِ اللازمةِ بحقه وفق القانون. (٢٢)

وأخيراً، أعلنَ محافظُ البنكِ المركزيِّ الإيرانيّ؛
"محمد رضا فرزین"، يومَ ٣٠ كانونِ الأولِ ٢٠٢٣،
البدءَ بمشروعِ التصديرِ "العراقِ" بعملةِ (الريالِ
الإيرانيّ).

ونقلت وكالةُ أنباءِ (فارس) الإيرانيّةُ عن "فرزین"
قوله على هامشِ اجتماعِ مجلسِ الحكومةِ
والقطاعِ الخاصِّ، إنّ: "موضوعَ تسويةِ الصادراتِ
الإيرانيّةِ عبرَ عملةِ الريالِ خارجَ الحدودِ تدارسها
البنكُ المركزيُّ منذُ شهرٍ عدّةٍ، وإنَّ إدخالها حيزَ

(٢٢) خلية الأعلام الأمنّي.

التنفيذ سيعالج متطلبات المصدرين للعراق
و أفغانستان".

وأضاف أن: "هذا الموضوع من مطالب تجار
مشهد للتصدير إلى أفغانستان وعبر تنفيذ مشروع
(الريال أف شور)، (ريال خارج الحدود)، سيكون
بإمكان التجار الاستفادة منه بدلاً عن العملة
الأجنبية".

وأشار محافظ "البنك المركزي الإيراني" إلى أن:
"لائحة مشروع الريال العابر للحدود؛ تمت
صياغتها في البنك المركزي، وعملياً قد بدأ
مصرفان بهذا المشروع، وقريباً سيتم
تعميمه بكافة مصارف البلاد".

ثامناً- الفسادُ في البنوك العراقية:

•مزاوُ العملة:

تعتبر مزاواتُ العملةِ الأجنبيَّة، وتحديدًا التي أجراها البنك المركزيُّ العراقيُّ في عامٍ /٢٠٠٤، إحدى أدواتِ السياسةِ النقديَّةِ الرئيسيَّةِ لتحقيقِ الاستقرارِ الماليِّ في الاقتصادِ العراقيِّ، لكنها تمثلُ أيضًا شكلاً جديدًا من أشكالِ الفسادِ الاقتصاديِّ المرتبطِ بغسيلِ الأموالِ. لقد أصبحت مزاواتُ العملاتِ الأجنبيَّةِ وسيلةً لتهريبِ وإهدارِ ملياراتِ الدولاراتِ بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠١٨.

رغمَ أنَّ مزاوَدَ العملاتِ الأجنبيَّةِ، الذي تمَّ تطبيقُهُ بشكلٍ خاصٍّ عامٍ /٢٠٠٤ من قبلِ البنك المركزيِّ العراقيِّ، يُعدُّ من الأدواتِ المهمَّةِ للسياسةِ النقديَّةِ

المنسوبة إلى تحقيق الاستقرار النقدي في الاقتصاد العراقي، إلا أنه مثل شكلاً جديداً من أشكال الفساد الاقتصادي المرتبط بغسيل الأموال. إلا أن مزاد العملة أصبح وسيلةً لتهرب الأموال وإهدار مليارات الدولارات خلال الفترة ٢٠٠٤-٢٠١٨.

ويعتبر استخدام مزاد العملات في العديد من دول العالم حالة استثنائية للغاية، بما في ذلك خلق توازن واستقرار للعملة، وأخطر ما في هذه الآلية هو البيع النقدي للدولار الذي وصل سنوياً إلى ١٥ مليار دولار، وهو رقم كبير جداً مقارنةً بواردات العراق اليومية من النفط التي لا تساوي حجم مزاد العملة، ونتيجةً لذلك لجأ البنك المركزي إلى

سحب الأموال من الاحتياطي النقدي للعملة بدلاً من تعزيزها، وخفض الاحتياطي من ٧١ مليار دولار إلى أقل من ٥٠ مليار دولار.

كما يصف متخصصون بالاقتصاد مزاد العملة بأنه واجهة لاستنزاف الدولار، وفرصة لبعض المصارف التي تمتلكها جهات نافذة لتحقيق أرباح كبيرة، ويقوم المزاد ببيع كميات كبيرة من الدولارات يومياً تفوق حاجة الاقتصاد العراقي، ولا يعود منها كبضائع إلا بنسب لا تتجاوز الـ ٤٠ بالمائة أو ٥٠ بالمائة في أفضل الأحوال، والباقي يُهرَّب إلى دول الجوار ولا سيما إيران.

تقول بيانات البنك مثلاً إن المركزي العراقي باع ٤٤ مليار دولار للأسواق العراقية عام ٢٠١٩، بينما

تقول الأرقام إن كمية الاستيراد لم تتجاوز ١٨ مليار دولار، ما أدى إلى تصاعد الدعوات من البرلمان لوقف نزيف العملة الصعبة وخروجها لدول الجوار.

• بيع الدولار للسياح:

كشف ديوان الرقابة المالية الاتحادي عن تفاصيل تحقيق أجراه حول ملف فساد كبير في بيع المصارف للدولار إلى المواطنين الراغبين بالسفر خارج العراق، مبيّنًا أن ما يزيد على ١٥١ ألف مواطن اشترتوا العملة الأمريكية لأغراض السفر إلا أنهم لم يغادروا العراق ليتم بيع ما تحصّلوا عليه في السوق الموازي.

وبحسب وثائق لديوان الرقابة المالية، فإن إجمالي المبلغ المتحقق من عملية "الاحتيايل" هذه تجاوز ٦٠٠ مليون دولار تمّ شراؤها لأغراض السفر، لكنها ذهبت في الحقيقة إلى السوق الموازي لتحقيق أرباح بسبب فارق السعر، بين الرسمي الذي يتسلمه المواطن من المصارف والبالغ ١٣٠٠ دينار للدولار الواحد.

● القروض الوهمية:

وكانت وثيقة صادرة عن هيئة النزاهة حصلت في السابع من شهر نيسان/ أبريل ٢٠٢٤، كشفت عن عملية فساد تتعلق بمنح البنك المركزي العراقي قروضاً كبيرة لأصحاب المصارف الخاصة، تمّ

استغلالها من قبلهم لشراء الدولار من مزاد العملة، وليس لإنشاء مشاريع استثمارية.

وكانت النائبُ عالية نصيفٍ قد أگدت في وقتٍ

سابقٍ على منح البنك المركزي العراقي مبلغًا يتجاوز

٣٢١ مليار دولارٍ ضمن ما وصفته بـ "مسلسل

الفساد" و"سلسلة (الكوارث المصرفية) التي يتم

الكشف عن تفاصيلها حاليًا وأخرها قيام البنك

المركزيّ بمنح مصارف (الغلمان) أكثر من ٣٢١

مليار دينارٍ حولت إلى إيران تحت عنوان التجارة،

وهي جزءٌ من مسلسل الفساد الذي كانت بدايته

في مزاد العملة والذي حذرت منه منذ عدة

سنواتٍ، وطالبت بملاحقة الذين استغلوا مزاد

العملة في السنوات السابقة ونهبوا المليارات ومن

بينهم صاحبُ أحدِ المصارفِ الذي سرقَ ستة
ملياراتِ دولارٍ،

وبتاريخِ ١٥ تشرينِ الأولِ ٢٠٢٠، مجدِّدةً تذكيرها
"بتحذيرِ سابقٍ لها عبرَ حوارِ تلفزيونيٍّ من استمرارِ
هذا النهبِ للمالِ العامِّ، وأكَّدتُ على دورِ (مصرفِ
الغلمانِ) في نهبِ مزايدِ العملةِ، ثم إصدارها بياناً
بتاريخِ ٧ حزيرانَ ٢٠٢١ شرحتُ فيه المزيدَ من
التفاصيلِ عن الموضوعِ.

● أموال الضرائب:

لم تكنْ فضيحةً سرقةٍ ٢,٥ مليارِ دولارٍ من أموالِ
الضرائبِ - من مصرفِ الرافدينِ - أولَ عمليةٍ
فسادٍ من نوعها، إذ جاءتْ ضمنَ سلسلةٍ طويلةٍ
من سرقاتٍ طالَتِ القطاعَ المصرفيَّ، الذي يُفترضُ

به أن يكون ضامناً لأموال الشعب من خلال
سياقات التعامل الإلكتروني الحكومي الرصين،
حيث قامت ٥ شركات بسحب الأموال من البنك
سحباً مباشراً دفعةً واحدةً بحسب هيئة
الضرائب، وهي سابقة لا يمكن أن تحدث في أي
بنك في العالم.. على الأقل بهذه السهولة.

● تهريب الأموال:

عام / ٢٠١٩ ظهرت للعلن تفاصيل مثيرة عن
عملية تهريب مالي وغسيل أموال توزط بها مصرف
حكومي لحساب مصرف أهلي يمتلكه سياسي
عراقي، وصلت قيمتها إلى ١,٨ مليار دولار، وبلغ
إجمالي الأموال الخاصة بالإيرانيين في تلك
المصارف أكثر من ٧٠ مليار دولار، الأمر الذي

يعكسُ هيمنةً إيرانيةً شبةً مطلقةً على الاقتصادِ العراقيّ، وحملَ الكثيرُ من هذه المصارفِ واجهاتٍ عراقيةً، لكنها بقيتْ تهربُ الأموالَ من العراقِ إلى إيرانَ خلالَ العقوباتِ الاقتصاديةِ الأمريكيةِ على طهرانَ، ولعبتْ تلكَ البنوكُ دورًا في استنزافِ الدولارِ من السوقِ العراقيّ. (٢٣)

٢٧- تفعيل الاستثمار مهمة وطنية :

إنَّ السياسةَ في بلادنا ليستُ سوى لعبةٍ بوكراً أو حساباتِ ميزانيةٍ لم تُقربَ بعد، يستغلُّها الفاسدونَ لإدارةِ البلادِ وكأَنَّها مزرعةٌ خاصةٌ تقامُ فيها وليمةٌ عشاءٍ على أنغامِ طبولٍ عجريّةٍ. يريدوننا كائناتٍ

(٢٣) موقع كتابات /الفساد في النظام المالي العراقي/ نهاد الحديثي ٢٥ أبريل , نيسان/ ٢٠٢٤ .
<https://kitabab.com>

خائفةً يسهلُ حكمُها حتى يعبثوا بمستقبلِ بلادنا،
بينما يسيرُ العالمُ بسرعةِ البرقِ نحو العولمةِ
والذكاءِ الاصطناعيِّ وغزو الفضاء، ونغرقُ نحن
بانتظارِ رواتبِ الرعايةِ الاجتماعيةِ، وصرفِ
رواتبِ المتقاعدينَ، والإضافاتِ الخجولةِ على
البطاقةِ التموينيةِ، ومنحةِ العيدِ الموعودةِ.

نعم، ما زال العراقُ غارقاً في مسلسلِ مستوى
خابطٍ الذي تبثُّه قناةُ الشرقيةِ في شهرِ رمضانَ
المبارك، ومسلسلُ معاويةَ وأبولؤلؤةَ الفيروزي
قيّد الانتظارِ من قنواتِ الفتنةِ الطائفيةِ،
ومسلسلُ الحجاجِ الذي لم يعترضْ عليه أحدٌ،
وربما في المستقبلِ القريبِ سوف نشاهدُ مسلسلَ
القائدِ الضرورةِ وبطلِ التحريرِ القوميِّ (صدام

حسين المجيد) وهو يخوض حروبَهُ الدموية ضدَّ
جيرانه بعد أن خرقَ القيمَ الإنسانيَّة والأخلاقيَّة
والدينيَّة كلها.

وبعدَ أكثرَ من عشرينَ عامًا من شعاراتِ أمةٍ
برلمانيَّةٍ واحدهِ ذاتِ رسالَةٍ خالدهِ وعلمانيَّةٍ -
إسلاميَّةٍ زائفةٍ، لم يحدثِ التغييرُ الذي نريدُ.
سوف يتوقفُ راشدٌ عن الزراعةِ لأنَّ دولَ الجوارِ
قطعتُ المياهَ عنا أو قنننَّها بطريقتيها الخاصَّة،
والطامةُ الكبرى تجدُ بعضَ العراقيين يدافعونَ
عنها كأنها أمةُ التي أرضعته. أما الصناعاتُ فهي
شبهُ ميتةٍ لأنَّ المصانعَ القديمةَ باتتْ خاويةً على
سقوقها، وهناك من يمنعُ المستثمرينَ من العملِ
في العراقِ ويهددهم لكي يسوقَ بضاعةَ أسياده.

كما أنّ تحديات الأزمات الداخلية والخارجية،
ومنها جائحة كورونا والديون وتغير المناخ
والصراعات الإقليمية والدولية، دفعت حكومة
السيد محمد شياح السوداني للعمل بشكل
مختلف، حيث اضطرت إلى منح الأولوية لتوفير
السلع والخدمات العامة الأساسية مع حماية
الفئات الأولى بالرعاية والأكثر احتياجًا.

ومع ذلك، غالبًا ما تواجه قدرة الحكومة على
العمل تحديات بسبب قيود البنك الفيدرالي
الأمريكي، أو الكوارث المرتبطة بالمناخ وشح المياه،
أو الافتقار إلى الشرعية في نظر المعارضة
السياسية. وفي ظل هذه الظروف، كيف يمكن
للحكومة تلبية الاحتياجات الأكثر أهمية لحماية

الناس؟ وكيف يمكن للمجتمع الدولي أن يساندها في تلبية الاحتياجات الأساسية للفئات الأولى بالرعاية والأكثر احتياجًا؟ وما التجارب المستفادة من سياقات الصراع والهشاشة التي يمكن أن تساعد في مساندة الفئات الأولى بالرعاية والأكثر احتياجًا؟

أصابني الدهشة عندما حضرتُ جانبًا من الحلقة الحوارية لمناقشة موضوع المصانع الحكومية المتوقفة ومشاريع البنى التحتية المتلكئة في مدينتي، والتي أُستضيف فيها عضو لجنة الاستثمار النيابية ورئيس هيئة استثمار المحافظة. بعد أن تحدث رئيس هيئة الاستثمار ردًا على سؤال أحد الأخوة الحضور حين قال: "لا

يوجدُ من يرغبُ بالاستثمارِ لأنه يتعرضُ إلى
التهديدِ والقتلِ"، ولكنَّ آخرَ صدمه بسؤالِ قاتلٍ
حين قال له: "هناك من يطلبُ عمولةً كبيرةً من
المستثمرينَ يا سيادةَ الرئيسِ"

المستشفيات الجديدة... ونسب الإنجاز:

نعم، حتى المستشفيات الحكومية التي فيها شفاءٌ
للناسِ ورحمةٌ لم تسلمْ من التوقفِ والتهديدِ، لأنَّ
هناك من يريدُ منك السفرَ إلى البرازيلِ لتلقي
العلاجِ. ونُدْرُجُ أدناه بعضًا منها لغرضِ التذكيرِ
ليس غيرَ:

١- مستشفى بغداد التعليمي في مدينة الصدر
(الأسترالي).

● حجر الاساس / ٢٠١٢

● سعة ٤٩٢ سرير

٢ - مستشفى الألماني في الجادرية- بغداد.

● حجر الاساس / ٢٠١٠

● سعة ٤٠٠ سرير

٣- مستشفى الحرية في بغداد .

● حجر الاساس / ٢٠١٣

● سعة ٢٠٠ سرير

٤- مستشفى الشعب في بغداد .

● حجر الاساس / ٢٠١٣

● سعة ٢٤٦ سرير

٥- مستشفى الفضيلية في بغداد.

- حجر الاساس / ٢٠١٣
- سعة ٢٠٠ سرير
- ٦- مستشفى النهروان في بغداد .
- حجر الاساس / ٢٠١١
- سعة ٢٠٠ سرير
- ٧- مستشفى المعامل في بغداد .
- حجر الاساس / ٢٠١٢
- سعة ١٢٧ سرير
- ٨- مستشفى الحسينية في بغداد .
- حجر الاساس / ٢٠١٢
- سعة ٢٠٠ سرير
- ٩- توسعة مستشفى الامام علي في بغداد .

- انطلاق العمل سنة ٢٠١١
- توسعة ٢٥٠ سرير
- ١٠- توسعة مستشفى النعمان في بغداد.
- حراساس التوسعة / ٢٠١١
- سعة التوسعة ٧٥ سرير
- ١١- مستشفى الموصل التعليمي.
- حراساس / ٢٠١٢
- سعة ٤٩٣ سرير
- ١٢- مستشفى الهارثة في البصرة .
- حراساس / ٢٠١٢
- سعة ١٠٠ سرير
- ١٣- مستشفى سفوان في البصرة .

• حجر الاساس / ٢٠١٣

• سعة ١٠٠ سرير

١٤- مستشفى الديوانية التعليمي (الاسترالي).

• حجر الاساس / ٢٠١٢

• سعة ٤٩٢ سرير

١٥- مستشفى الحياة للأمراض النفسية والعقلية

في الديوانية.

• حجر الاساس / ٢٠١٢

• سعة ٢٠٠ سرير

١٦- مستشفى ديالى التعليمي (الاسترالي).

• حجر الاساس / ٢٠١٢

• سعة ٤٩٢ سرير

١٧- مستشفى السماوة التعليمي (الاماني).

● حجرالاساس / ٢٠١٢

● سعة ٤٩٢ سرير

١٨- مستشفى الكوت (التركي).

● حجرالاساس / ٢٠١١

● سعة ٤٩٢ سرير

١٩- مستشفى الجبايش في ذي قار.

● حجرالاساس / ٢٠١٢

● سعة ١٠٠ سرير

٢٠- مستشفى الشرطة للولادة والأطفال في ذي

قار.

● حجرالاساس / ٢٠١٣

● سعة ١٣٠ سرير

٢١- مستشفى كربلاء للولادة والأطفال.

● حجر الاساس / ٢٠١٣

● سعة ٣٠٠ سرير

٢٢- مستشفى حديثة في الانبار.

● حجر الاساس / ٢٠١٢

● سعة ٢٠٠ سرير

٢٣- مستشفى كركوك التركي.

● حجر الاساس / ٢٠١٢

● سعة ٤٩٠ سرير

٢٤- مستشفى سامراء الالماني .

● حجر الاساس / ٢٠١٣

● سعة ١٠٠ سيرير

٢٥- مستشفى ميسان التركي .

● حجر الاساس / ٢٠٠٩- تم افتتاحه عام / ٢٠٢٣ من

قبل / رئيس الوزراء السيد محمد شياع السوداني

لحالات المراجعة الطارئة فقط.

● سعة ٤٩٢ سيرير

٢٦- مشروع الصيدلة الصناعية في قضاء

سامراء / محافظة صلاح الدين.

● حجر الاساس / ٢٠١٢

كما أنّ " **حصر السلاح بيد الدولة** "، هذا ما يتمناه

الجميع ولكن دون جدوى، لأنّ هناك سلاحاً أقوى

من سلاح الدولة، ونفوذ فوق نفوذ الدولة، وقوّة

أعلى من قوة القانون بل فوقه بمائة درجة على
مقياس الوطن والوطنية الحقة.

يكره مسؤولونا الصوتَ الوطنيَّ والأقلامَ الحرةَ
التي تتحدثُ عن حساباتِ البنوكِ وتهريبِ الدولارِ
والسيطرة على المشاريعِ والمقاولات. كلُّ الكتاباتِ
مرفوضةٌ ومكروهةٌ، لأنها جزءٌ من المؤامرة
الدولية على التجربة الديمقراطية في العراق.
أرقامُ الأموال المنهوبة، أرقامُ الأموال التي صرفتُ
على مشاريع وهمية، أرقامُ الفقروالمهجرين
والكفاءات التي سُردت، تقاريرُ البطالة، الفساد،
والتزوير، أرقامُ علينا ألا نقربَ منها.

وقد عادت قضيةُ سرقةِ الأماناتِ الضريبية والتي
تُعرفُ إعلامياً بـ "سرقة القرن" في العراق إلى

الواجهة مجددًا، بعدما ظهر بمقابلة تلفزيونية مع قناة الشرقية ضمن برنامج "المواجهة"، أكد نور زهير المتهم الأول بسرقة الأمانات الضريبية العراقية فيما يعرف بـ "سرقة القرن"، بقيمة تصل إلى ٣,٧ تريليون دينار عراقي، بما يعادل مليارًا ونصف المليار دولار، أن تلك الأموال لا تعود لخزينة الدولة، مبيّنًا أنه سيفضح العديد من المتورطين في محاكمة علنية.

في أكتوبر/تشرين الأول/٢٠٢٢، تم الكشف لأول مرة عن قضية سرقة القرن التي تورط فيها مسؤولون سابقون كبار ورجال أعمال، وأثارت سخطًا شديدًا في البلاد التي شهدت السنوات

الماضية احتجاجاتٍ واسعةً تطالبُ بوضع حدٍّ
للفساد.

٢٨- الدين لدى البعض ..الرجوع إلى الماضي
ومحاربة المحتل :

تزايد عدد المتدينين في العراق بشكلٍ حادٍ بعد
عام ٢٠٠٣ على أثر سقوط النظام البعثي في
العراق (١٩٦٨-٢٠٠٣) والذي حكم العراق
بالحديد والنار، وخاصةً الشيعة الذين تعرّضوا
للظلم والاضطهاد خلال تلك الفترة المظلمة من
تاريخ العراق الدموي.

التدين السلطوي المتحزبُ تسببَ في جذب الناس
إليه عن طريق الأحزاب الدينية وماكنتهم

الإعلامية وبعض رجال الدين، مستغلين
المناسبات الدينية والأحداث التي مرَّ بها العراق
أثناء حقبة الحكم الأموي والعباسي، وما تعرَّض
إليه أهل بيت النبوة رضوان الله عليهم من قتلٍ
وتشريدٍ، من أجل تحشيد الملايين من المسلمين
الشيعة في كافة أنحاء المعمورة لزيارة مدينة
كربلاء المقدسة في المناسبات الدينية الكبرى،
وبالتالي صرف مئات الملايين من الدولارات عليهم
نتيجة الخدمة المجانية التي تقدِّمها الحكومة
العراقية وبعض السياسيين وميسوري الحال،
حتى أصبح استلام السلطة في العراق من قبل
أحزاب دينية مغامرة كبيرة.

ولطالما كان عزاء الشيعة على مقتل الإمام الحسين (ع) الذي يستمر طوال شهري محرم و صفر، يفقد حالته المعارضة ويسلط الضوء على ذكر المصيبة وتهيج الأحاسيس للبكاء فقط.

وأحياناً يصطبغ بروح معارضة مستلهماً من الحالة الشيوعية الثورية، إذ ينادون بالعدالة والحرية ونفي الاستبداد طوال عزائم للحسين وأصحابه.

ولكن مشكلة البعض أنهم لا يعترفون بالتطور العلمي ومخرجات الحضارة الغربية التي أحدثت انقلاباً كبيراً في مستوى المعيشة ونمط التفكير، وقادت ثورة كبرى من الصعب تجاهلها، ولكن بعض المتأسلمين لا يزالون يعيشون في القرن

الأول الهجري، بينما العالم يعيش في القرن
الحادي والعشرين.

وقد يحاول بعض رجال الدين من مدمني المنابر
العاجية الرجوع بالناس إلى الماضي البعيد بكل
سلبياته، وإعادة صياغتها بثوب جديد فيه نغمة
حزن وتأسى على ما فات، تحت شعار إن هناك من
سلب الحقوق من أحفاد النبي محمد (ص)
وقاتلهم بحدّ السيف، وكأنّ الخلافة الإسلامية
نزلت من السماء على أرض الكوفة ويجب أن تبقى
فيها إلى يوم القيامة، وبما إنّ ذلك لم يحصل
فسوف يأتي مخلص من السماء ليعيد الحقوق
المسلوبة إلى أصحابها ويحاسب المارقين والناكثين
والقاسطين، وينشر العدل والسلام في الأرض.

ومثلهم هاذ كمثلٍ من يبكي على أجداده الذين
ماتوا قبل مائةٍ عامٍ ولم يرهم، ولكنه سمعَ
بطولاتهم من جدته الطاعنة في السنِّ، التي
بدورها ورثتها من أمها المتوفاة في بداية القرنِ
العشرين. يجب أن يفهم هؤلاء أن التجديدَ
ضروريٌّ وأنَّ البكاءَ على الماضي البعيدِ نوعٌ من
الرياحِ العاتيةِ التي تقتلُ الحرثَ والنسلَ.

من المعروفِ للعامةِ أنَّ طريقةَ حياةِ الناسِ أو
ثقافتهم تُصنَعُ بعملهم ودخلهم فقط، وبالتالي فإنَّ
الاقتصادَ ومستوى معيشتهم هو الذي يحدِّدُ
طريقةَ تفكيرهم، وليس العكس: أي أنَّ نوعَ العملِ
وأدواته والأشكالَ القانونيةِ التي تضمنُ وجوده
مثلَ الاتفاقياتِ والتعاقداتِ والقوانينِ المنظمةِ

للعمل، هي التي تحدد مكانة الناس في مجتمعاتهم، ومكانة المجتمعات نفسها في العالم، أي تحدد مدى سلطة كلٍ منهم على الآخرين.

الإسلام بالأمس :

الإسلام : نعم قامت قيامته على السلطة السياسية، ولولاها لما انتشر ولظلت دعوته مركونة في أرض نجد والحجاز، وقد ينقرض كما انقرضت كثير من الدعوات وأصحابها، ولا يمكن الفصل بين الإسلام والسلطة قبل قيام الدول الحديثة والدساتير العالمية، لذا فكل أحداث الصراعات السياسية لا يمكن فصلها عن الإسلام، إذ كان الخليفة والحاكم يمثل ظل الله في الأرض وخليفته فيها.

والآن الحركاتُ الإسلاميةُ والجهاديةُ بكافةِ
عناوينها تريدُ العودَ بنا إلى ذلكَ الزمنِ الغابرِ.
اليومَ نستطيعُ القولَ إن الأنظمةَ السياسيةَ
الحاليةَ في الدولِ الإسلاميةِ لا تمثلُ الإسلامَ بكلِّ
تفاصيله، ولا يوجدُ حاكمٌ يقولُ: أنا ظلُّ الله في
الأرضِ، فقد أصبحَ الدينُ عبارةً عن طقوسٍ
ومناسكٍ يؤديها عمومُ الناسِ كالصلاةِ والصومِ
والذهابِ للمسجدِ، وغيرها من الأمورِ التعبديةِ.

لكنَ المشكلةَ في كتابةِ تاريخِ وسيرِ الحكامِ من قِبَلِ
بعضِ الكتابِ الإسلاميينَ حينما كتبوا عن أولئكِ
الحكامِ والقادةِ أمثالَ (صلاح الدين الأيوبيِّ،
ومعاوية بن أبي سفيانَ، وخالد بن الوليدِ، وأبو
العباسِ السفاحِ) وغيرهم، كتبوا عنهم بصفتهم

حاملي مشاعل الإسلام، وإنهم منزهون،
وأخطأوهم تُغْتَفَرُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَلَا يُسْمَحُ الْمَسَاسُ بِهِمْ،
لهذا حَسَبَ مَا قَامُوا بِهِ بِأَنَّهُ عَمَلٌ دِينِيٌّ قَائِمٌ عَلَى
أحكام الشريعة.

فالدولة العباسية مثلاً كسابقتها الدولة الأموية
قامت على سفك دماء مروعة في دمشق، وانتهت
بسفك دماء أشدّ ترويعاً في بغداد.

وبالرغم من أنّ حكم مؤسسها أبو العباس
السفاح (عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله
بن عباس ابن أبي طالب) لم يتجاوز الأربع سنوات،
لكنّ السيف كان منطقه، وسفك الدماء منهجاً،
وفرض الإرادة بالقوة ديدنه، وكان متأجج
التفاعلات شديدة الصولات، حتى تمرّقت البلاد

التي كانت تحت إمرة بني أمية، "وتقسمت ممالك
الأرض عدة أقسام، وصار بكل قطر قائم يأخذ
الناس بالتعسف، وينكهم بالقهر".

مأسأتنا إننا اعتبرنا كل أفعال رجال الحكم منذ
عهد الخلفاء الراشدين إلى إعلان انتهاء الخلافة
العثمانية ديناً وممنوعاً المساس به.

يا جماعة، الصحابة حاربوا بعضهم البعض
وآلاف المسلمين قتلوا في هذه المعارك وعشرات
من المسلمين اغتصبوا. (ألم يأمر مسلم بن عقبة
بن رباح المري قائد جيش بني أمية باستباحة
مدينة رسول الله لجيشه فقتلوا واغتصبوا ونهبوا
عشرات من الصحابات في هذه الموقعة، أي

موقعة الحرة، وعشرات من صحابة رسول الله
قُتلوا على يد جيش مسلم؟) هذا أيضًا في تاريخنا.

لماذا نتغنى بالانتصارات على الروم والفرس
والفتوحات في شمال أفريقيا والأندلس ونتناسى
جرائمنا بحق خلق الله؟ هل هذا يرضي ربَّ
العالمين بأن تُساق فتيات آمنات في بيوت آبائهنَّ
إلى سوق النخاسة؟ هل يقبل أيُّ شخصٍ بأن
يحدث هذا لابنته؟ طبعًا لا، فكيف يقبل منك ربُّ
الرحمة أن تفعل بخلقه ما لا ترضها على نفسك؟.

واليوم تغضبني جدًّا الشعارات البراقة التي
يُطلقها البعض من ضعافِ الوطنية. بالأمس كان
كلُّ من في الساحة السياسية قد جلس مع
الأمريكيين وتفاوض معهم وتقاسم الكعكة مع

البريطانيين ووافق على شروط الفرنسيين وقبّل
أيادي الإيرانيين شكراً وفضلاً لإيوائهم، وقبّل
الدعم من حكومات الخليج والعرب بمختلف
مسمياتهم، وكان البعض منهم يتباهى في الليل
والنهار بالتعاون معهم ومع أجهزتهم الاستخبارية
ويتلقّى الدعم بالملايين من الدولارات وكان من
المساعدين

والداعمين لقانون ما يُسمّى (تحرير العراق) الذي
اتخذته الحكومة الأمريكية شعاراً لحصارها
الاقتصادي والذي أودى بحياة آلاف من
العراقيين.

ولم تكن قوات احتلال، بل كانت قوات صديقة
ومحررة، حتى اتخذوا اليوم الذي سقطت فيه

بغدادُ بأيدي الغزاةِ أولَ الأمرِ عطلةٌ رسميةٌ
وسمُّوهُ يومَ التحريرِ، وحرَّموا قتالَهُم، ومن
يُقاومُهُم مكانُهُ السجنُ، والتهمةُ إرهابٌ.

فجأةً انقلبَ كلُّ شيءٍ، وارتفعَ سقفُ الشعاراتِ،
وانقلبتِ الأُمُورُ رأسًا على عقبٍ، وتبادَلِ
السياسيونَ الأدوارَ والتهمَ، وأصبحتْ لدينا قواتُ
الاحتلالِ بعدما كانتْ قواتُ تحريرٍ، وهناكِ
المقاومةُ بعدَ الإرهابِ، ومن يرغبُ أو يرحبُ بهم
فهو خائنٌ للوطنِ والعرضِ والدينِ بعدما كان هو
المضحى والخاسرَ.

٢٩- مكافحة المخدرات في المجتمع العراقي...

معالجات وحلول :

المقدمة

أنَّ عملية الهدمِ المنظَّمِ التي مورستْ ضدَّ الشعبِ العراقيِّ في العقودِ الأخيرةِ كبيرةٌ جدًّا، فمن الحربِ العراقيَّةِ الإيرانيَّةِ (١٩٨٨ - ١٩٨٠)، مرورًا بالحصارِ الاقتصاديِّ الظالمِ (٢٠٠٣ - ١٩٩١) الذي فُرضَ عليه، وحوَّلَهُ من طاقةٍ مُنتجةٍ إلى أخرى مستهلكةٍ، واستمرَّ هذا المسلسلُ القاتلُ حتى احتلالِ العراقِ عامَ /٢٠٠٣ من قبلِ التحالفِ الدوليِّ، ومنحه حريَّةً وديمقراطيَّةً توافقيَّةً يتقاتلُ عليها أبناءُ المكوناتِ كلِّ أربع

سنواتٍ، وبمباركةٍ من عربانِ الخليجِ، وإيرانَ
وتركيا.

فأصبحنا جوعى بعد أن فاضَ بلدنا بالخيراتِ،
وعطشنى بعد أن فاضتْ أنهارُنَا بالمياهِ، وعراةً
بعد ما كسونا العالمَ بالتبرعاتِ، وأصبحَ شبابُنَا
عاطلاً عن العملِ، وأصبحَ الشهاداتِ يعملونَ
بمما لا يتناسبُ مع شهاداتهم، والمزورونَ
والفاسدونَ وأصبحَ التاريخُ الأسودُ يتصدرونَ
المشهدَ، والقتلُ والهرجُ والمرجُ واستباحةُ الدمِ
أصبحتُ من المشاهدِ اليومية.

أما المخدراتُ التي لم نكنْ نسمعُ بها إلا من خلالِ
التلفازِ، أصبحتُ الشغلَ الشاغلَ لشبابِ عاطلِ
عن العملِ، لا بل حتى نساءً وأطفالاً يتاجرونَ

ويتعاطون بها وبأعدادٍ مهولةٍ، حتى وصل الحالُ
إلى ابنٍ يقتلُ عائلتهُ بالكاملٍ من دونِ وعيٍ وإدراكٍ،
وآخرٍ يزني بمحارمه، وآخرٍ لا هي في قاعاتِ القمارِ
والمجون.

أولاً: ظواهر غريبة

هناك الكثير من الظواهر الغريبة التي بدأت تنتشرُ
في مجتمعنا العراقي، والتي لم تكن مألوفةً من قبلِ
كظاهرة التسوُّلِ وفنونه التكتيكية، والقتلِ
وفنونه وأساليبه بأحدثِ الطرقِ، والابتكاراتِ في
التصفية الجسدية والاعتقالاتِ، أوفي ظاهرة
النصبِ والاحتيالِ وفنونه وطرقه الحديثة عبرَ
المواقع الإلكترونية ووسائلِ التواصل الاجتماعيِّ،
وظاهرة المساجِ والدعارة وما تحمله من مخاطرَ

وأمرضٍ صحيةٍ واجتماعيةٍ، وظاهرة السكن العشوائيّ والتجاوز على الطرق والساحات العامة والأسواق بصورة غير قانونية، وظاهرة تهريب المخدرات عبر الحدود الدولية ما يقرب من (١٣) ألف متهم بقضايا المخدرات خلال عام / ٢٠٢١).

وقد أفاد مدير مديرية مكافحة المخدرات التابعة لوزارة الداخلية العراقية (العقيد زياد القيسي) بإلقاء القبض على أكثر من ١٧ ألف متهم بالتعاطي وتجارة المخدرات في العراق خلال ٢٢ شهرًا، مشيرًا إلى انتشار الظاهرة في المحافظات والمدن الحدودية التي تتميز بكثرة منافذها البرية والمائية بشكل كبير، مما جعل الكميات الداخلة إلى العراق خلال عام / ٢٠٢١ تقدر بنصف طنّ

من المخدرات، تشكّل حبوب الكريستال الأكثر
تداولاً فيها.

القيسي، قال لشبكة روودوا الإعلامية الخميس
(١٨ تشرين الثاني ٢٠٢١)، إنّه "منذُ بداية عام
٢٠٢٠ وحتى ٣١ تشرين الأول ٢٠٢١، قامت
مديرية مكافحة المخدرات بإلقاء القبض على أكثر
من ١٧ ألف

متمم بالتعاطي والتجارة والترويج للمواد المخدرة،
كذلك ضبط أكثر من ٩٠٠ كغم من المواد
المخدرة، فضلاً عن مصادرة أكثر من ١٩ مليون
حبة ومؤثر عقلي". (٢٤).

(٢٤) قناة RUDAW الفضائية العربية / ١٨ تشرين الثاني ٢٠٢١.

وكشّف مُديرُ إعلاناتِ مُديرِيّةِ مُكافحةِ المُخدّراتِ
في وزارةِ الدّاخِليّةِ العقيدُ بلالُ صَبّحي، أنّ عددَ
المُلقى القبضِ عليهم خلالَ العَشْرَةِ أشهرِ الأولى من
عامِ /٢٠٢٢ ٢٠٢٢ بَلَغَ إلى ١٣٦٨٠ مُتَّهَمًا بالتَّجَارَةِ
والتَّرويجِ والتَّعاطي من بينهم ٣٥٠ حَدَثًا و ١٩٠
امْرَأَةً، فضلاً عن ضَبْطِ ٣٦٠ كيلوغراماً من الموادِّ
المخدِّرةِ وأكثرَ من ١٤ مليوناً و ٥٠٠ ألفَ حبةٍ من
حبوبِ الكبتاجونِ والمُؤثّراتِ العقليّةِ.

وأضافَ أنّ العددَ ارتفعَ مُقارنَةً بالعامِ /٢٠٢١ ٢٠٢١، إذْ
بَلَغَ ١٣٨٠ مَطْلُوباً خلالَ تشرينِ الأوّلِ من العامِ
الماضي.

كما أُلقت وزارة الداخلية القبضَ على ١٧ ألفاً
و ٢٤٩ متهماً منهم ١٢١ أجنبياً بتجارة المواد
المخدِّرة خلال العام /٢٠٢٣.

وقال المتحدثُ الرّسميُّ للوزارة العميدُ مقداد
ميري خلال مؤتمر صحفي، إنّ إحصائيات الوزارة
أظهرت انخفاضَ معدلاتِ جريمةِ المخدِّراتِ،
لأسبابٍ بعدَ تكثيفِ الجهودِ لمحاربتها كونها
أصبحت آفةً خطيرةً تفتكُ بالمجتمع، مضيفاً أنّ
مفاز مديريّة مكافحة المخدِّراتِ والمؤثراتِ العقليّةِ
تمكّنت يومَ أمسٍ، من إلقاء القبضِ على شبكةِ
تجار مخدِّراتٍ في محافظة كربلاء كانت بحوزتها ٣
كيلوغراماتٍ من مادة الكريستال، فضلاً عن
ضبطِ ١٥ كيلوغراماً من الموادِ المخدِّرة خلال

الأُسبوع الماضي، وفقاً لصحيفة الصباح
الرسمية. كما أعلنت السلطات العراقية، عن
عملية أمنية تمكنت خلالها من إلقاء القبض على
شخصٍ بتهمة ترويج وتهريب المخدرات من الأراضي
السورية إلى الأراضي العراقية.

وقالت قيادة شرطة محافظة الأنبار، إن الشرطة
ألقت القبض على شخصٍ يُدعى (ع.ع.ف.خ) في
قضاء القائم غرب محافظة الأنبار، مُتهم بترويج
المخدرات وتهريبها إلى العراق من سوريا.

وبحسب بيان الشرطة العراقية، تمكنت من
ضبط مليون حبة "كبتاغون" في قضاء القائم
غرب محافظة الأنبار بحوزة المُتهم، وذلك ضمن

أكبر عملية تهريب حبوب مخدرة من سوريا إلى العراق. (٢٥).

كما أن أبطال خلية الصقور ألقوا القبض على شبكة كبيرة للإتجار بالمخدرات، إذ تم القبض على شبكة كبيرة تتاجر بالمخدرات وكان أحد كبارها يعمل في شرطة كمارك البصرة المفضّض (حامد فرهود الظالمي) الذي ينقلها بعجلته الجكسارة مُستغلاً علاقاته الواسعة كونه سابقاً مدير شؤون ذي قار اللواء حيدر غالي.

وبعد هيكلة الشؤون نُقل إلى الحدود وتوسّط للتّسريب بشّرة الجمارك، وقد اعترف على عدد من أفراد الشّبكة أحدهم زميله ويعمل حالياً

(٢٥) صحيفة بلدي... الجمعة ٢٨ يناير ٢٠٢٢.

سائق مُدير الاستخباراتِ العامةِ اللواءِ حيدرغالي

وعددٍ من تجارِ المُخدراتِ

وبسببِ الضغوطاتِ وكثرةِ الوساطاتِ، تمَّ تشكيلُ

لجنةٍ تحقيقيٍّ خاصةً برئاسةِ الفريقِ أبوأرغيف،

وقد أشرفَ على التحقيقِ اللواءُ حيدرغالي. خلالَ

التحقيقِ، تمَّ اكتشافُ عددٍ كبيرٍ من المتورطين،

وفقاً لاعترافاتِ سائقه. علماً أنَّ المفوَّضَ حامد

الظالمي يُواجهُ شُبهةً قويةً بسببِ تحسُّنِ وضعه

الماليِّ بشكلٍ مفاجئٍ، مما أدَّى إلى ابتعادِ الكثيرِ من

الشرفاءِ عنه. ويقومُ المفوَّضُ دائماً بدعوةِ

المسؤولينَ والضباطِ في الاستخباراتِ والأمنِ

الوطنيِّ والشيوخِ إلى المطاعمِ الفاخرةِ والسفرياتِ

بواسطةِ عجلتهِ الجكسّارةِ، مما يُظهرُ استغلاله

لعلاقاته لنقل المخدرات دون علمهم إلى بغداد
والمحافظات الأخرى.

إنّ تفشّي هذه الظاهرة يستدعي احتواءً ووقفةً
جديّةً، نظرًا للخوف من زعزعة أمن المواطن، كما
حصل مع الشابة مريم التي شوّهت بسبب
شخصٍ يتعاطى المخدرات، وغيرها من القصص
الكثيرة التي نسمعُ عنها في كلّ يومٍ. إنّ هذا الشيء
الخطير بأنواعه كافةً، من كريستال أو أفيون أو
حشيش أو أيّ نوعٍ كان من المخدرات، يجعلك
تتردّد وتخاف من أن تعيش بصورةٍ طبيعيةٍ. فكلما
فتحت التلفازكي تشاهد الأخبار، ترى أنّ أخبار
المخدرات تنتشرُ بكثرةٍ، وخصوصًا في المحافظات

الجنوبية وكذلك في بغداد، وتهريبها من قبل
عصابات نسائية، والنسبُ تزدادُ يوماً بعد يوم.

ثانياً: معالجات وحلول

فللحدِّ من هذه الظاهرة، يجبُ تأمينُ الحدودِ
العراقية مع دول الجوار، والتفكيرُ العلميُّ
والعمليُّ السريعُ في تطبيقِ كلِّ ما من شأنه حلُّ
المشاكلِ النفسيةِ العالقةِ لدى المواطنِ كالبطالةِ
ونسبةِ الفقرِ والتبعاتِ الأخرى من التعصبِ
الدينيِّ في مجتمعنا، وإعطاءِ فرصِ أكبرٍ للشبابِ
بممارسةِ حياتهم الطبيعيةِ، وعملُ برامجٍ ودوراتٍ
تثقيفيةٍ وتوعويةٍ للشبابِ عن مخاطرِ المخدراتِ
ومدى ضررها على العقلِ البشريِّ وعلى حياتهِ
وحياةِ أسرتهِ ومجتمعهِ. فإنَّ ازدادتِ الكارثةُ،

سيتهالك المجتمع أكثر وسنكون أمام عواقب
وخيمة لا يُحمدُ عقباها. (٢٦).

ووسائل السرقة، وانتهاءً بظاهرة تدخين النرجيلة
الشرقية التي بدأت بالانتشار في المجتمع، بل تزداد
انتشاراً وخطراً على مدني هذه الظاهرة كافة.
وهي ليست مجرد إدمان فحسب، بل طقس
اجتماعي شبيه بالإعلان عن هوية وانتماء إلى
عالم جديد وطقوس غريبة وحالات مستحدثة
غريبة عن مجتمعنا وتقاليدنا العربية والإسلامية
التي لوّثها رائحة النرجيلة بنكهاتها المتعددة
والمتنوعة لمن هم في سن المراهقة.

(٢٦) موقع كتابات .. ٢٧ كانون الاول ٢٠٢١.

وأحياناً يميل الإنسان في هذه المجتمعات إلى العشوائية في تدبير شؤونهِ، ويعتمدُ على أساساتٍ عقليةٍ بدائيةٍ في التعاطي مع واقعهِ المعاش. أما الأفكارُ الجديدةُ التحضريّةُ، فيقفُ عقلهُ عاجزاً عن تقبُّلها أو حتى تحليلها، ويلجأ إلى الخرافاتِ والأساطيرِ الموروثةِ من الأجدادِ والآباءِ في مجابهةِ الطبيعةِ المحيطةِ، ومحاولةِ إعطاءِ كلِّ ظاهرةٍ قاهرةٍ تفسيراً غيبياً هروباً من الواقعِ ورضوخاً له، عوضاً عن مجابهتهِ بالمنهجِ العلميّةِ التي تمكّنه من السيطرة على الظروفِ وجعلها لصالحه، أو على الأقلِّ دفعِ ضررها. وهو ما يجعلهُ تابعاً لا متبوعاً، ومنصاعاً للواقعِ وظروفهِ انصياعاً تامّاً، ويترسخُ لديه مفهومُ الحتميةِ

المطلقة والقدرية الجبرية، فيسلمُ نفسه للقدرِ
مجبرًا لا مخيّرًا.

إنَّ الإنسانَ في المجتمعِ المتخلفِ يلازمُهُ الشعورُ
بالغربةِ في بلده، يحسُّ بأنه لا يملكُ شيئًا، حتى
المرافقَ العامةَ يعتبرُها ملكَ السلطةِ، وليستِ
مسألةُ تسهيلاتِ حياتيةٍ له، مما يجعلُ الهوةَ
كبيرةً بينه وبينها. وأنَّ ما يستحقُّه من خدماتٍ
وتقديراتٍ تُقدِّمُ له، فيما لو قُدِّمتْ كمنَّةٍ وفضلٍ
(مكرمةً القائدِ)، لا كواجبٍ مستحقٍّ له.

٣٠- موانع نقد التراث الروائي - الموروث :

المقدمة:

ابتليتُ منذ نعومة أظفاري، مثلما ابتليَ معي الكثيرُ
من أبناءِ وطني بالكثيرِ من المرويَّاتِ الكاذبةِ
والمُلفَّقةِ، التي نقرأها ونسمعُها من رجالٍ مُعَمَّمينِ
يطلقون على أنفسهم "رجالَ دينٍ"، والهدفُ منها
تشويهُ صورِ العربِ والمسلمينِ الأوائلِ واكتسابُ
الجاهِ والمالِ والتسلطِ، لنشرِ الجهلِ المقدسِ
المرتبطِ بمرويَّاتِ الدينِ المُلفَّقةِ والمُصطنعةِ من
قبلِ المنتفعينِ وسماسرةِ الكسبِ الدينيِّ
ومعتقداتِ الناسِ الساذجةِ، التي يُحرِّمُ السؤَالَ
في أيِّ شأنٍ من شؤونِ العقائدِ، بحجةِ أن السؤَالَ
يفضي للتشكيكِ بالدينِ، وما عليكِ سوى السمعِ

والطاعة، تعزيرًا للمقولة الشائعة شعبيًا: "ارمها
برأسِ عالمٍ واطلع منها سالمًا".

لكنَّ الأخطرَ والأكثرَ بلاءً ووبالاً هو أن ترى المروياتِ
المقدسةَ يُمنَعُ المساسُ بها، ويُعتَبَرُ أنَّها مروياتٌ
سماوية، والويلُ كلُّ الويلِ من يضعُ علاماتِ
استفهامٍ وتعجبٍ وتشكيكٍ في مضامينها. ويتهمُّ
معارضوها بالإلحادِ والعلمانيةِ والشيوعيةِ،
والانحرافِ عن الخطِّ الطائفيِّ الذي يروِّجُ له
هؤلاء الصغار، ممن يسوقون بضاعتهم للعقولِ
الفقيرة.

ليست المشكلةُ أن تؤمنَ بالخرافة، فهذا شأنك،
وأنت حرٌّ بذلك، لكنَّ أن تبنيَ عليها اعتقادًا
ينعكسُ أفكارًا وممارساتٍ في الحياةِ العامة،

فُتْصِحْ أَهْدَا فُكْ تَكْفِيْرَ غَيْرِكْ، وَالْيَأْسَ مِنْ الْحَيَاةِ،
وَالتَّفْكِيرَ بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَبْعَثُ لَكَ مَخْلَصًا دُونَ أَنْ
تَخْلَصَ نَفْسَكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ الَّذِي يَحِيْطُ بِكَ،
هِنَا تَقَعُ الطَّامَةُ الْكُبْرَى.

أولاً: كتب التراث المقدس

لَقَدْ فُرِضَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ كُتُبَ التَّرَاثِ وَالْعَقِيْدَةِ
مِثْلَمَا كُتِبَتْ مِنْذُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا،
عَنْ طَرِيقِ النُّقْلِ وَالِاسْتِمَاعِ مِنَ الْإِخْبَارِيِّينَ
وَالْأَصُولِيِّينَ، دُونَ نَقْاشٍ أَوْ جَدَالٍ لَطَرِيقَةِ
تَفْكِيرِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ وَفَهْمِهِمْ لِلْعَقِيْدَةِ وَالْأَدِينِ
وَالتَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالطَّرُوْحَاتِ الْمَرْوِيَةِ قَبْلَ أَكْثَرَ
مِنْ أَلْفِ عَامٍ، وَالتِّي لَا تُجَارِي الْفِكْرَ الْمَتَطَوَّرَ
لِلْإِنْسَانِ الْجَدِيدِ فِي زَمَنِ الْعَوْلَمَةِ وَالتَّقْنِيَةِ

والتكنولوجيا والتطور العلمي. وتنتابني الحيرةُ
عندما أقرأ عن المذاهب الإسلامية وتمسك الناس
بأفكارها الاجتهادية القديمة، مثلما هي عليه،
القائمة على تخليد تاريخ الخلفاء والحكام. ويثارُ
داخلي سؤال: لماذا لم يظهر مذهب إسلامي جديدٌ
يُوحّد المسلمين على اختلاف اتجاهاتهم في عصرِ
الثورة الرقمية؟ بدلاً من نقد القديم ومحاولة
ترميم الأفكار السابقة التي عفا عليها الزمن.. هذا
السؤال متروكٌ للجميع.

السببُ الوحيدُ حسبما أرى هو سيطرة الأنظمةِ
الحاكمة المتعاقبة منذ العهد الأمويّ على مقاليدِ
الحكمِ الوراثي، وبالتالي سيطرتهم على ما يُسمّى
بالعلماء والفقهاء (وعاظ السلاطين)، فجعلت

منهم مطيئة يسرون على أفكار ومصالح النظام
الحاكم، سواءً كان ملكياً أو جمهورياً، ديمقراطياً
أم شمولياً.

لقد دفعت الشعوب العربية والإسلامية مئات
الملايين من القتلى والجرحى والمهجّرين، نتيجة تلك
الاجتهادات والأفكار الوضعية منذ سقوط الخلافة
الراشدة في مدينة الكوفة حتى الآن.

لا أعتقد أنّ الدين سوف تقوم له قائمة ما دام
الحكم في بلادنا منهوباً ومسلوباً ووراثياً، وسنبقى
نجرُّ القديم ونبكي على التاريخ ورجالته
وحكوماتٍ سادت ثم بادت، لأننا نخاف من
التجديد والتنوير، وكلُّ مُجدِّدٍ في نظرهم اليوم

كافرٌ وزنديقٌ، يجبُ حجرُه في غرفةٍ مظلمةٍ ووضعه
تحتَ الإقامة الجبرية.

ثانياً: المذاهب والفتاوى الاجتهادية

لذلك أمست المذاهبُ عبارةً عن فتاوى علماء
ورجالِ دينٍ اجتهدوا في تفسيرِ أحكامٍ وشرائعِ
الدينِ وفقَ مقاساتٍ اعتقدوا أنَّها الأصوبُ
والأرجحُ على العموم، وكلُّ ذلك جرى في زمانٍ
يختلفُ تمامًا عما يحدثُ الآن، مما جعلَ رجالَ
الدينِ هؤلاء يعتمدون على مبدأ القياسِ في
التفسير.

ومن هنا نرى أنَّ إيجادَ مذهبٍ جديدٍ يُسائرُ
الواقعَ المعاشَ أفضلُ من مذهبٍ قائمٍ على

تعديل النصوص الواردة فيه بين فترة وأخرى،
بعد رفع القداسة عن ثوابته القابلة للتغيير.

ومن المعروف أنّ المذاهب الإسلامية قبل عصر
الإمام جعفر الصادق وبعده كانت أكثر من مائة
وخمسين مذهباً سُنِّيًّا، يُقابله نفس العدد أو يزيدُ
شيعياً، ولكنها اضمحلت وتقلّصت إلى ما هو عليه
الآن، نتيجة ضغط الحكام وأهوائهم ومصالح
الدولة الحاكمة، حتى أصبح عدد مذاهب
المسلمين المنتشرة في الوقت الحالي، والتي لها تأثيرٌ
واسعٌ في المجتمع الإسلامي، سبعة مذاهب كبرى
فقط: منها خمسة مذاهب سُنِّيَّة، واثنان
شيعيان. وسوف نستعرض أسماء هذه المذاهب

على النحو التالي:

المذهب المالكي : وسمي بهذا الاسم نسبة الى مالك بن انس.

المذهب الحنفي : نسبة إلى ابو حنيفة النعمان.

المذهب الشافعي : نسبة إلى محمد بن إدريس الشافعي.

المذهب الحنبلي : نسبة لأحمد بن حنبل.

المذهب الظاهري : نسبة إلى عبد الله بن إِباض التميمي.

المذهب الجفري : نسبة الى الإمام جعفر الصادق.

المذهب الزيدي : نسبة الى زيد بن علي .

بعضُ العلماءِ والفُقهاءِ المتنفذين وأصحابِ

الحوزاتِ الدينيةِ الكبرى في بلادنا احتكروا الدينَ

والمذهبَ والسياسةَ على حدِّ سواء، ولم يتركوا أيَّ

موضع قدمٍ لأيِّ فكرٍ تنويريٍّ مجدِّدٍ أن يُدلي بدلوهُ،
سوى أصواتٍ ضعيفةٍ تنطلق من بلادِ الغربِ
خوفًا على أنفسِها من التصفيةِ الجسديةِ أو
السجنِ والتعذيبِ والمطاردةِ.

لذلك نجدُ حملةً شعواءً تُقاد ضدَّ حملةِ الفكرِ
المجدِّدِ للتراثِ الموروثِ من قِبَلِ بعضِ رجالِ الدينِ
وكثيرٍ من المؤسساتِ الدينية، التي لا ترضى بهذا
التجديدِ كونه يهزُّ عروشَها ومصالحَها ومناصبَها
الدينيَّة. وكما قالَ المفكرُ النيبالي بوذا (٥٦٣-٤٨٣
ق.م): "اعبُدْ حجرًا لو شئت، لكن لا تَرْمِني به".

ولو افترضنا أنَّ هولاكولم يَزحفُ على بغدادَ
وصالحَ الخليفةَ العباسيِّ المستعصمَ بالله (٦٤٠-
٦٥٦ هـ)، لاستمرَّ حكمُ بني العباسِ إلى عصرِنا

الحاضر، ولشاهدنا من خلال القنوات الفضائية
الخليفة العباسي يتجوّل في مولات بغداد
وخراسان ومرو، ويده هاتف من نوع iPhone ١٤.
ولكنّ الله يقضي ما يشاء ويمحو ما يشاء.

والنقطة المهمّة هي أنّ الآيات القرآنية "ثابتة
المحتوى ومتغيّرة في تأويلها مع الزمن عبر الأجيال"،
ولذلك فإنّ الرسول محمداً (ص) لم يؤوّلها، لأنّه
لا يعلم ما في الغيب، قال: "ما يعلم تأويله إلا الله".

كما يجب أن نميّز بين الإنتاج البشريّ وآيات
رسالة السماء، أي بين الاجتهادات الفقهيّة
والآيات القرآنية. إذا، المشكلة تكمن في هؤلاء
الذين يُسمّون أنفسهم رجال دين، فهم يرفضون
كلّ شيءٍ علميٍّ وعقليٍّ يتوافق مع رسالة السماء.

إنهم يعتمدون على "النقل" بدلاً من "العقل"،
ولذلك نُراوح في مكاننا، وسنبقى على هذا المنوال
إلى يوم الدين، إلا إذا حدثت معجزة!

والمعجزة التي ينتظرها المسلمون هي ظهور
"المخلص" القادم من السماء، أي ظهور الإمام
المنتظر، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن
ملئت ظلماً وجوراً، كما يروج لذلك الكثيرون.

وكما قال المفكر الإيراني د. علي شريعتي (١٩٣٣-
١٩٧٧) في كتابه "ماذا علينا أن نفعل؟":

"إنَّ من نَخَرِ الإسلامَ من الداخل وافرغَه من
محتواه وجعلَه بلا روح، ليسوا الزنادقة ولا
الكفار، بل أشهرُ رواة الأحاديث وكبارُ الفقهاء

والوعاظِ ومفسّري القرآن؛ إنهم وُلاةُ أمورِ الدين
وحُرّاسُه".

ثالثاً. الخاتمة :

وعن الأهمية الكبرى للإسلام في تاريخ تركيا،
يتوجب التذكير بان:

• التُّركُ (شعوبُ آسيا الوسطى) لم يَدْخُلوا التاريخَ
ويُكوّنوا الدولَ والإمبراطورياتِ إلّا في أعقابِ
اعتناقهم للإسلام، مثلَ السلاجقةِ ثم العثمانيين
وأخرين. وكانَ لهم إسهامٌ بارزٌ في الحضارةِ العربيّةِ
الإسلاميّة. كما أنّ (تركيا) لا تستطيعُ التنازلَ عن
ميراثها المتمثّل في الإمبراطوريّةِ العثمانيّة، التي
اختتمت قبلَ قرنٍ فحسب.

أمّا عن الأهمية الكبرى للإسلام في تاريخ إيران،

فيتوجب التذكير بما يلي:

• على الرغم من أنّ إيران قبل الإسلام أقامت ثلاث

إمبراطورياتٍ متتابعة: الأخمينيّة، والبارثيّة،

والساسانيّة، واستمرّت هذه الإمبراطوريات لأكثر

من ألف عامٍ، إلّا أنّها لم تستطع أن تُنشئ حضارةً

خاصّةً بها. بل ظلّت تعتمدُ على ما تبقى من

الحضارة العراقية السابقة. ولم تتمكّن من

الإسهام الفعّال في صنع حضارةٍ حقيقيّةٍ إلّا في

الحقبة العربيّة الإسلاميّة. كما أنّ وحدتها

السياسيّة والدينيّة - المذهبيّة لم تتحقّق إلّا

بفضل الإسلام، الذي تجسّد في (الجمهورية

الصفوية الشيعيّة: ١٥٠٠م).

٣١- كل عام وانا أنتظر التغيير:

المقدمة:

ونحن نستقبلُ العامَ الجديد، وبعدَ مضيِّ أكثر من
عشرينَ عامًا على سقوطِ نظامِ حكمِ (صدام
حسين المجيد ١٩٣٧-٢٠٠٦)، لا يزال الوضعُ سيئًا
للغاية. وهذه خلاصةُ لمجرياتِ الأمور وما تركه لنا
مَن كانوا في سدةِ الحكم، سواءً من السابقين أو
اللاحقين. ومن المهمِّ جدًّا أنَّ كلَّ سياسيٍّ في العراق
ينتمي إلى قوميةٍ وطائفةٍ معروفةٍ للجميع، وفقًا
للأصول الواردة في قانون الانتخابات.

هذا الوضعُ الشاذُّ يأخذ أشكالًا متعددةً، لا
تقتصرُ فقط على الأعمالِ غير الشرعية من انتهاكِ
فاضحٍ للدستور والقوانين والسيادة الوطنية

وللمؤسسات الرسمية المدنية والعسكرية؛ فتلك
قصصٌ أخرى. هناك أيضاً "التضليل" المتعمد
المفروض على شعبنا، وهو في الحقيقة عملية
خنقٍ للرأي الحرّ الذي يُعاني منه الكثيرون، ما
أدى إلى تفشي المناكفات وزيادة الضغوط داخل
المجتمع.

أولاً: العملية السياسيّة

هذا الوطن له تاريخٌ من الآلام، ويُعاني من الظلم
والعفن السياسي والقمع، وضعف الهيكليات
السياسية، والأزمات الاقتصادية، والهجرة،
والتطرف المذهبي، والنزعة الدكتاتورية، والسلاح
غير الشرعي، والنظام الأحادي المخالف للنظام
الديمقراطي المنصوص عليه في الدستور.

أمامَ هذا الوضعِ الشاذِّ علينا أن نتعاونَ للسيرِ في
طريقِ الخلاصِ التي رسمها الدستورُ، وذلك عبرَ
دفاعِنا عن كرامةِ الشعبِ وحقوقِهِ الأساسيةِ،
مثلَ حريةِ الرأيِ والمعتقدِ والضميرِ. كذلك يجبُ
أن نطالبَ بعضَ القادةِ الذين فشلوا في إدارةِ
الدولةِ بالتنحيِّ، وربما إحالتهم إلى القضاءِ
المختصِّ، وذلك لرسمِ نظامٍ سياسيٍّ عادلٍ يرتكزُ
على الديمقراطيةِ والمواطنةِ، حيث نتساوى
جميعاً أمامَ القانونِ مهما كان دينُنا، أو طائفُنا،
أو قوميتُنا.

هذه الأزمةُ التي تعكسُ فشلَ العمليةِ السياسيةِ
وما ترتبَ عليها من فسادٍ وسرقاتٍ وصراعاتٍ،
جرّت العراقَ إلى منحدرٍ مظلم. وكان لهذا الفشلِ

التأثيرُ الكبيرُ في الأزمةِ الاقتصاديةِ الحالية، إذ
خسرَ العراقُ أمواله في العملياتِ العسكريةِ خلالَ
حربهِ ضدَّ داعش، وسيفقدُها مجددًا في صفقاتِ
ومشاريعِ الإعمارِ الفاسدة. كما أنَّ هناكَ سياساتِ
تقسيمية، وقطعَ أوصالٍ، وفوضى عارمة، بدأتِ
من العراق، ثم انتقلت إلى سوريا، وتوسَّعت إلى
لبنان. هناكَ مخططٌ مرسومٌ لنا في شكلِ حصارِ
اقتصادي، وتفقييرٍ متعمَّد، وزرعٍ لليأسِ في
النفوس، على الرغم من أنَّ دولنا من أغنى بلدانِ
العالم. العدوُّ نجحَ في تفتيتنا، وزرعِ الكراهيةِ فيما
بيننا، ليجعلنا مجردَ أدوات.

ثانيًا: الوضع الاقتصادي

في زمن النظام السابق، وتحديدًا خلال تسعينيات القرن العشرين، كان الموظف بحاجة إلى المال ليعيش حياة تُسعدُه وتسعدُ عائلته. ولكن راتبه لم يكن كافيًا لهذا الغرض بسبب الحصار الاقتصادي المفروض على العراق آنذاك. وأصبحت سرقة المال العام ظاهرة يمارسها العديد من المسؤولين في الدولة، وحتى بعض الموظفين العاديين، إلا من رحم الله وخاف عقابه الصارم، أو خشِيَ سطوة القانون الذي لم يكن يميّز آنذاك بين سرقة الدينار وسرقة المليون.

لقد أصبح الوضع الاقتصادي أكثر من متردٍ، وما وصلنا إليه اليوم هو نتيجة سياسات فاشلة

انتهجها ساسةٌ أهلكوا الشعبَ وسرقوا موازناته
الانفجارية. وطالما انتظر شعبنا منهم أن يعملوا مع
التكنوقراط على إيجاد أيِّ مواردٍ ممكنةٍ إلى جانبِ
النفطِ لدعمِ الناسِ، مثلَ تفعيلِ السياحةِ
الدينيةِ، التي أصبحت تحتَ تصرفِ بعضِ رجالِ
الدينِ المنتفعين.

ثالثاً: سرقة القرن

وقد أعلن رئيسُ الوزراء العراقي، المهندسُ محمد
شيعان السوداني، استعادةَ جزءٍ من أموالِ
الأماناتِ الضريبيةِ المسروقة، أو ما عُرفَ بـ **"سرقة
القرن"**، التي هزّت الرأي العامَّ في العراق وكشفت
عن حجمِ الفسادِ المتغلغلِ في المؤسساتِ الرسميةِ
العراقية سابقاً وفي الوقتِ الحاضر.

وفي مؤتمر صحفي يوم الأحد الموافق ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٢، قال السوداني: "إنّ الدولة استعادت ١٨٢ مليار دينار عراقي". وعلى الرغم من أهمية هذا المبلغ، إلا أنه يُعدُّ جزءاً ضئيلاً من ٢,٥ مليار دولار، وهي القيمة الكلية للأموال المنهوبة من الأمانات الضريبية المسروقة.

وأكد السوداني، وأمامه رُزِمَ من الأموال النقدية المكسّسة، وفق ما نقله موقع "شفق نيوز" العراقي الكردي، أنه تمّ تشكيل لجان تحقيق لتدقيق الصكوك المصروفة من الأمانات الضريبية. وكشف عن الجهات المتورّطة والمقصّرة في هذه السرقة، قائلاً إنّها تشمل موظفين من داخل هيئة

الضرائبِ وأخرى رقابيةٍ ومسؤولةٍ سهّلت عملية السرقة.

حقًا، علينا أن نصّاح الشعب الذي سُرقت أمواله بحقيقة الأمور، وأن نُعلنَ مسؤوليتنا عن السرقات. ولكن الواجب يُحتمُّ علينا وعليكم البحث عن الحلول. لقد قدمنا الحلول في مقالاتنا اليومية عبر وسائل الإعلام المختلفة. أفلا تقرؤون؟ لكن الردّ دائماً: "سندرسها"، أو "سنُدرجها في المنهاج الوزاري"، أو "سنتابعها"، أو "شكّلنا لجنةً على مستوى عالٍ". ثم تأتي حلولٌ ترقيعيةٌ هزيلةٌ وغامضةٌ، من أشخاصٍ يخشون التصدي للفسادين خوفاً منهم أو من كبارهم. ولكن ذلك لن يمنعنا من تقديم الحلول دائماً،

ومن توصيفِ الأمورِ مهمَّما بلغَ سوادُها، إذ إننا
جميعًا مسؤولون، وما من أحدٍ منَّا معفيٌّ من
المسؤولية عما يحدثُ من ظلمٍ وجورٍ في بلادِ
الرافدين.

وأخيرًا، في تصريحٍ رئيسِ هيئةِ النزاهةِ الاتحاديةِ
القاضي حيدر حنون خلال مؤتمِرٍ صحفي في
مدينة أربيل قال :

*توحيد الجهود مع هيئةِ النزاهةِ في إقليم
كردستان أساسُ النجاح.

*وجودنا في أربيل من أجل إصدارِ الاتفاقيةِ
المشتركةِ لمكافحة الفساد.

*لم أملك في محافظةِ ميسان سوى قطعةِ أرضٍ،
وما يتم تداوله غير صحيح.

*نُعلن بداية معركة الفساد الحقيقية ابتداءً من

اليوم.

*أطلب من البرلمان استضافتي.

• المتهم نورزهيـرزور ١١٤ صكًا ماليًا، وعليه أن

يُعاقب بـ ١١٤ حكمًا.

• المتهم نورزهيـرلديه جرائمُ أخرى غير سرقة

الأمانات الضريبية، فقد سرق ٧٢٠ دونمًا في شطِّ

العرب.

• نورزهيـر عبارة عن عربةٍ حملت فيها الأموال.

• سرق الودائع الجمركية بأكثر من تريليون دينار.

• القاضي ضياء جعفر يلاحقني، وقد أصدر أمرَ

إلقاء قبضٍ بحقي.

• الكاظمي منح قطع أراضي، إحداها للقاضي ضياء جعفر بهدف شراء الولاءات.

• ١٨ مليار دولار هُدِرت في قضية السكك الحديدية.

• بيعت سكك العراق بالكامل في هذه القضية، ومع ذلك لم يتم النظر فيها من قبل القاضي ضياء جعفر منذ شهرين.

• من الأفضل لنا أن نسجن بشرف دون التستر على المتهمين في قضية سرقة القرن.

• أطالب مجلس القضاء الأعلى باستبدال قضاة هيئة النزاهة سنويًا.

• على البرلمان مسؤولية إثبات أن هيئة النزاهة تجامل الفاسدين أو العكس.

٣٢- سدود كردستان العراق .. لماذا؟.

العراق أول بلدٍ تظهِرُ فيه آثارُ الاحتباسِ الحراريِّ والتغيُّرِ المناخيِّ.. هل سُدودُ أربيلَ التي يرتفعُ عدُّها يومًا بعدَ يومٍ لتصلَ إلى ٢١ سدًّا لمصلحةِ العراقِ أم أنها السلاحُ السياسيُّ/الاقتصاديُّ المخبوءُ لمستقبلنا المظلمِ؟.

الملاحظُ أنَّ بغدادَ صامتةٌ، لماذا؟.. ومن الواضحِ أنَّ بغدادَ تخشى مُواجهةَ مطالبِ أربيلَ/السفارةِ، لذلكِ هي لا تُعارضُ بلُ حتى لا تُسألُ.

فقد أعلنت وزارةُ الزراعةِ ومصادرُ المياهِ في حكومةِ أربيلَ يومَ الأربعاءِ الموافقِ ١٦ آذارَ ٢٠٢٢، عن توقيعِ مَدَكرَةٍ تفاهمٍ لبناءِ أربعةِ سُدودٍ جديدةٍ في أربيلَ والسليمانيةِ ودهوكَ، بالتنسيقِ مع شركةِ

“باورتشاينا”، حسب بيان وزير الزراعة “بيگرد طالباني”، وهو البيان الذي حصلت عليه وكالة شفق نيوز.

وقد أشار بيان الوزارة إلى أن السدود هي “سدُّ دلگه في حدود قضاء بشدر، وسدُّ خيوته في السليمانية، وسدُّ منداوه في أربيل وسدُّ باكرمان في دهوك”.

هل سنحصل على جوابٍ حين نسال: ماذا تقول وزارة الموارد المائية في بغداد وهي ترى وزارة الزراعة ومصادر المياه في أربيل تتصرف بالمياه بصورةٍ مُنفردة؟.

ويمكن ملاحظة أن أربيل تعمل على موضوع السدود على الروافد التي تصبُّ في دجلة جميعًا

وعلى نهر دجلة ذاته، ولابد أنَّ الجهدَ المنظمَ منذُ
الخطّةِ الأولى لإنشاءِ ١٣ سدًّا على دجلة وروافدهِ
الذي أصبحَ واقعا عمليًّا الآن بعد أن كان
مشروعًا على الورقِ فقط قبل أشهرٍ قليلةٍ، يخفي
خلفه موقفًا سياسيًا واقتصاديًا حاسمًا سيكونُ
له دورٌ في الهيمنةِ على السياسةِ العراقيةِ
وتعطيشِ المنطقةِ الجنوبيةِ والوسطى.

أذ قال أولُ رئيسٍ وزراءٍ إسرائيليٍّ (دافيد بن
غوريون ١٨٨٦-١٩٧٣) في عامٍ /١٩٥٥ أنَّ
"مستقبلَ (إسرائيل!!) سيظلُّ مهددًا من العربِ
إن لم يُجرَ الحصولُ على المياهِ"، فالذي يسيطرُ
على مصادرِ المياهِ ومنابعها هو الذي يفرضُ إرادتهِ

السياسية والاقتصادية على الآخرين، أو على المنطقة بأكملها.

وللذكرى نستذكر ما حصل حين اجتاحت قوات الاحتلال الإسرائيلي لبنان وسيطرت على بيروت وجنوب لبنان عام ١٩٨٢/ حتى عام ٢٠٠٠، ونفذت خلال هذه الفترة عمليات هندسية لخدمة أطعامها المائية، فقامت ببناء سدود شمال نهر اليرموك لمنع إقامة أي مشروع مائي وزراعي مستقبلاً بين الدول العربية.

فهل تقوم أربيل بالعمل نفسه رغم اختلاف الزمان والمكان المحددين؟.

لماذا لا تقوم حكومة بغداد بإنشاء سدود في مناطقنا؟.

لماذا انصبَّ جهدُ الحكومةِ كُلُّهُ على إعادةِ العملِ
في مشروعِ سدِّ مكحولِ المتوقفِ الذي سيُشردُ ٤٠
قريةً من محيطه ويُدمرُ مئاتِ الآلافِ من
الهكتاراتِ من الأراضي الزراعيّةِ، ولا يخزنُ سوى
٣,٣ مليارَ مترٍ مكعبٍ وهي الكميّةُ التي لا تُضيفُ
شيئاً يذكرُ إلى "أمننا المائي"، حسبَ قولِ وزيرِ
المواردِ المائيّةِ الأسبقِ (حسن الجنابي) الذي يدعو
إلى التخلي عن هذا المشروعِ ويعارضُ إقامتهُ
لأسبابٍ عمليّةٍ عديدةٍ ومضارٍ يلحقها بالثروة
والناسِ والمجتمعِ؟.

أين سياسةُ الأمنِ المائي؟ ها هي الأممُ المتحدّةُ
تحذِرُ قائلةً إنَّ أولَ ظهِورٍ لآثارِ "التغيُّرِ المناخي"
يُحصلُ اليومَ في العراقِ؟.

لماذا نسكتَ بينما هم يتنافسونَ على الكراسي
ويعطلونَ كلَّ شيءٍ من أجلها منذُ أشهرٍ؟.

ألا يظهرُ هذا الصراعُ الطامعُ بما تبقى من العراقِ
وثرواتهِ ضحالةَ الجميعِ بلا استثناءٍ ويكشفُ عن
دناءةِ النفوسِ ووضاعتها؟.

لماذا لا نسمعُ رغبةً صادقةً أو هدفًا واحدًا أو
برنامجًا اقتصاديًا أو سياسيًا يعنى بمشكلةِ العراقِ
وبقائه، ولا نسمعُ كلمةً من الحكومةِ أو البرلمانينِ
تهتمُّ بمصيرِ الناسِ فيه؟.

لماذا نسكتُ هذا الشعبُ عن حقوقه وعن
مستقبله وعن مصيرِ أبنائه؟.

العراقُ بلا أمنٍ مائيٍّ، وفترةُ نصفِ عامٍ كافيةٌ
لتعطيشه وتحويله إلى أرضٍ جرداء.

كيف يعيشُ الشعبُ تحتَ هذا التهديدِ؟.

إنه أمرٌ غريبٌ حقًّا.. سيهتفُ الأغبياءُ
المغفلونَ غداً هيهاتَ منا الذلَّةُ مرةً
أخرى.

“يتوقَّعُ أن يفقدَ العراقُ أنهاره بحلولِ عامِ ٢٠٤٠،
وهو مصنَّفٌ ضمنَ الدولِ الخمسِ الأولى الأكثرِ
تضرراً من التغيُّراتِ المناخيةِ، ويأتي في المرتبةِ
الـ٣٩ بينَ الدولِ الأكثرِ إجهاداً للمياهِ، وفقَ بياناتٍ
صادرةٍ عن منظمةِ الأممِ المتحدةِ، التي تشيرُ إلى أنَّ
العراقَ سجَّلَ مستوىً قياسياً في الجفافِ وارتفاعاً
في درجاتِ الحرارةِ خلالَ الأعوامِ السابقةِ لتبلُغَ ٥٤
درجةً مئويةً.

مع تراجع إيراداته المائية من ٣٠ مليار متر مكعب في العقد الثالث من القرن الماضي إلى أقل من ١٠ مليارات حالياً، كما يتوقع أن يتراجع نصيب الفرد العراقي من المياه إلى أقل من ٥٠٠ متر مكعب سنوياً بحلول عام ٢٠٣٠/ وهي نسبة أقل بكثير من المعدل الذي تعتمد عليه منظمة الصحة العالمية والبالغ ١٧٠٠ متر مكعب".

وفي سياق متصل، قال خبير الاستراتيجيات والسياسات المائية رمضان محمد، إن "المخاوف قد تصدر عن مسؤولين غير ملمين بهذا المجال ويمكن أن تعطي تقييماً خطأ بالمنافع والمخاطر، لأن علمياً ومنطقياً، إنشاء السدود الصغيرة وغالبيتها محصورة في مناطق محددة تعتمد إما

على الأمطار أو الأنهر الموسمية، لن تُسبب بقطع
قطرة ماءٍ عن بقية المناطق، لا بل تُضحّي بعددٍ
من القرى من أجل تطوير القطاع الزراعيّ، وإن تمّ
قطعُ جزئيٍّ للمياه فإنه سيصبُّ في صالح عموم
البلاد اقتصادياً".

وأكد محمد أنّ الإقليم "يمثلُ خزاناً للمياه
بالنسبة إلى العراق، عبر سدي دوكان ودرينديخان
الكبيرين، حتى إنّ سدَّ الموصل ربما يُحسبُ في
الإقليم إذا ما وضعنا السياسة جانباً، هذه
السدودُ بُنيت قبل ٤٠ إلى ٧٠ عقداً، ولا شكَّ أنّ
الأنظمة السابقة أنشأتها بناءً على جدوى، وأسألُ
المتخوفين: هل أثرت هذه السدودُ سلبيًا على بقية

المناطق العراقية، ثم هل أقدمت الحكومات
الكردية منذ عام ١٩٩١ على قطع المياه؟.

٣٣- العراق والكويت... مشاكل لا تنتهي :

نقطة البداية :

الأزمات بين العراق والكويت لا تنتهي بانتهاء
الحاكم، هناك ملفات متجددة، تثار بين الحين
والآخر، تشغل بنيرانها حيز الساحت في البلدين،
برغم التاريخ المشترك والمتجذرين بينهما، والتقارب
المتأصل الذي يجمعهما، فعلاقة الدولتين، لا
تقتصر على الجيرة فحسب، بل تشمل علاقات
نسب عشائرية، إذ إن معظم عشائر الكويت، من
أصول عراقية. هدوء ومودة أنهما شعلة المشكلات

بين البلدين، بعد استضافة العراق تصفيات
نهائي كأس الخليج العربي لكرة القدم ٢٠٢٣ -،
وهي مباراة أُقيمت لتحديد الفائز ببطولة خليجي
٢٥، حيث لعبت في تاريخ ١٩ يناير ٢٠٢٣، على
ملعب استاد جذع النخلة الدولي في مدينة
البصرة جنوب العراق، وجمعت المنتخب العراقي
بالمنتخب العماني. ولكن التوتّر سرعان ما وجد
ثغرة للعودة من جديد، في الرابع من أيلول/
سبتمبر ٢٠٢٣، بعد أن أصدرت المحكمة
الاتحادية العليا في العراق، قراراً بعدم دستورية
اتفاقية تنظيم الملاحة البحرية في خور عبد الله.
فما هي القصة؟.

أولاً: أصل المشكلة

في عام ٢٠١٣، وافق البرلمان العراقي على تقسيم الملاحة البحرية في خور عبد الله، الواقع في أقصى شمال الخليج العربي، ويمتدُّ إلى داخل الأراضي العراقية، مشكلاً خور الزبير، وميناء أم قصر في محافظة البصرة لطالما كان خور عبد الله نقطة خلاف بين العراق والكويت، خاصةً بعد مباشرة الكويت بناء ميناء مبارك الكبير، الذي استحوذ على مساحةٍ واسعةٍ منه.

بررت المحكمة قرارها، في الرابع من أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٣، بعدم استيفاء الاتفاقية الشروط الدستورية، المتعلقة بموافقة ثلثي أعضاء البرلمان على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، وفقاً

للمادة ٦١ من الدستور العراقي، بالإضافة إلى
عدها مجحفةً ومضرةً بمصالح البلاد.

مجلس الوزراء الكويتي رفض القرار العراقي
الأخير، وطالب وزير خارجية الكويت، سالم عبد
الله الصباح، باحترام سيادة الكويت وحرمة
أراضيها، كما أصدرت دول مجلس التعاون
الخليجي، بياناً مشتركاً مع وزير الخارجية
الأمريكية، في ١٨ أيلول/ سبتمبر الجاري، طالبوا
فيه باستكمال ترسيم الحدود البحرية بين
البلدين لإنهاء الأزمة.

المحكمة الاتحادية العليا في العراق أصدرت قراراً
بعدم دستورية اتفاقية تنظيم الملاحة البحرية في
خور عبد الله، والخارجية الكويتية تندد بالقرار

العراقيّ وتطالبُ باحترام سيادة الكويت وحرمة
أراضيها. خورُ عبد الله يوجُجُ العلاقات بين الكويت
والعراق. ما القصة؟.

ثانياً: تاريخ شائك

كانت الكويت جزءاً من ولاية البصرة إبان العهد
العثمانيّ، وتغيّرَ الواقعُ بعدَ الاتفاقية الأنغلو-
عثمانية في عام / ١٩١٣، والتي وافقت فيها الأخيرة
على استقلال الكويت تحت حكم آل صباح
المبارك، وترسيم حدودها مع ولاية البصرة، وبعد
سقوط الدولة العثمانية، واحتلال بريطانيا
للعراق والكويت، في ١١ آذار/ مارس ١٩١٧
ميلادي، إذ دخل الجيش البريطاني بغداد بعد
سلسلة من المعارك مع الأتراك العثمانيين في

الحرب العالمية الأولى، وانسحبت قوات الجيش
العثماني، وذلك في حملة عسكرية استمرت
عامين، سُميت حملة بلاد الرافدين، ودخلت
القوات البريطانية بغداداً من باب المعظم في
الساعة الرابعة عصرًا.

بعد ذلك طالب أميرها (أحمد الجابر الصباح
١٨٨٥-١٩٥٠)، بالإبقاء على الترسيم نفسه الذي
أقرته الاتفاقية السابقة، ووافق المندوب السامي
البريطاني في العراق، (بيرسبي كوكس ١٨٦٤-
١٩٣٧)، على ذلك في عام ١٩٢٣.

ثالثاً: بعد سقوط نظام البعث

بعد عام ٢٠٠٣، استؤنفت العلاقات
الدبلوماسية بين البلدين، ولكن مشكلات الحدود

لم تنته بينهما، إذ عادت إلى الواجهة من جديد في عام / ٢٠٠٥، بعد أن اتهمت بغداد نظيرتها الكويتية، ببناء حاجز حديديّ، تجاوز الترسيم الحدوديّ بينهما، وهدم دور المواطنين في قضاء أمّ قصر.

حاول رئيس الوزراء وقتها، إبراهيم الجعفري، تهدئة الموقف، ولكن أقاويل سياسية تشير إلى أن الكويت قد اشرت بالفعل هذه المنطقة من الحكومة العراقية، وهي الأزمة نفسها المتعلقة بتسليم جنوب قضاء أمّ قصر في محافظة البصرة إلى الكويت.

لم يستبعد مصدر في رئاسة الوزراء وقتها، تورط الحكومة في مثل هذه الخيانة، لا سيما أنها كانت

ضعيفةً سياسياً وشخصياً، بالإضافة إلى حاجة السياسيين وقتها إلى تمويل أحزابهم، وأجنداتهم الخاصة.

وكان العراق قد خرج من طائلة البند السابع، المرتبطة بدفع تعويضات إلى الكويت نتيجة لغزوه إياها، في عام / ٢٠٢٢، وسبق أن رفضت الكويت، طلبات عدة تقدمت بها الحكومات العراقية، بتخفيض قيمتها، لاعتبارها مسألة سيادية. (٢٧)

٣٤- ما هي العمالة المفرطة؟

كُنَّا يَعْرِفُ أَنَّ الْحَصُولَ عَلَى وَظِيفَةٍ أَمْرٌ صَعْبٌ، إِلَّا أَنَّ بَعْضَ مَوْضُفِي الْحُكُومَةِ فِي بَعْضِ التَّخَصُّصَاتِ تَتَوَافَرُ أَمَامَهُمْ فِرْصُ الْعَمَلِ فِي الْقَطَاعِ الْخَاصِّ

(٢٧) مهند فارس/ مقالة ميناء "مبارك الكبير" يشعل خلافات العراق والكويت... جغرافيا ثابتة وتاريخ يعيد نفسه؟/ موقع رصيف ٢٢ في ٢٦ أيلول ٢٠٢٣.

خلال الفترة المسائية، بحيث يستطيعون توفير دخل إضافي لأسرهم دون أن يؤثر ذلك على عملهم الأصلي في وزارتهم ومؤسساتهم، أي أنهم لا يهربون من عملهم صباحًا ليعملوا في مؤسسة خاصة.

وهذا النمط من العمل بعد انتهاء الدوام الرسمي كان مألوفًا في العراق أيام حكم نظام صدام حسين (١٩٨٠-٢٠٠٣) بسبب الحروب الدموية التي شنتها النظام ضد جيرانه والتي أدت إلى التحاق الرجال بجهات القتال التي أشعلها حاكم بغداد، وكانت قبل ذلك تحدث في بعض الوزارات ملاحقة لأي موظف يعمل في القطاع الخاص، وهناك تشريعات تجبره على دفع كل ما يحصل عليه من القطاع الخاص.

ولكن بعد عام / ٢٠٠٣ أنفرطَ عقدُ القوانينِ التي
تنظّمُ سوقَ العملِ بفرعيه الحكوميِّ والخاصِّ، إذ
وجدُ شرطيٌّ مروريّ عملُ سائقِ تكسي، وسائقَ
حكوميٍّ يعملُ حلاقًا.... إلخ.

مما أضعفَ فرصَ العملِ في السوقِ المحليةِ أمامَ
بعضِ شرائحِ المجتمعِ من أصحابِ المهنِ، وخريجي
الكلّياتِ والمعاهدِ الفنيةِ، الذين لجأوا إلى التظاهرِ
في الساحاتِ العامةِ أو أمامَ بعضِ الشركاتِ
والدوائرِ الحكوميةِ.

هنالكُ إحصائيةٌ أجرتها شركةُ "statista"
الألمانية المتخصصةُ في بياناتِ السوقِ والمستهلكينَ
بالعالمِ، تراجعَ معدلاتُ البطالةِ في العراقِ بنسبةِ
٣,٧١ بالمائةِ في العامِ / ٢٠٢٢ لتصلَ إلى ١٥,٥٥

عام ٢٠٢٣.. في بلدٍ عددُ المستفيدين من الإعانة الاجتماعية بلغ فيه ٧ ملايين و ٦٠٠ ألف شخصٍ.

مفهومٌ جديدٌ: انتشر في العراق بعد عام ٢٠٠٣ /
ظاهرةٌ "تعددِ الوظائفِ بدوامٍ كاملٍ" أو "العمالةِ المفرطةِ" (Overemployment) بمعنى أن
الشخصَ يعملُ وظيفتين أو أكثرَ، كلٌّ منهما بدوامٍ كاملٍ، لصالحِ شركاتٍ مختلفةٍ أو أشخاصٍ في السوقِ المحليةِ، كما يفعلُ الطبيبُ والصيدليُّ بعدَ انتهاءِ عملهما في المستشفيات الحكومية، وقد كان هذا المفهومُ يعني سابقًا "العمالة الزائدة": أي أن يكونَ لدى الشركةِ عددٌ من الموظفين يفوقُ حاجتها لإتمامِ العملياتِ.

أسبابُ الظاهرة:

-مواجهة التضخم وارتفاع تكاليف المعيشة.

-الخوف من الإقالة من الوظيفة، بالتالي توفر مصدر دخل بديل.

-الرغبة في زيادة الدخل والوصول سريعاً إلى الحرية المالية.

ما رد فعل الشركات؟

تتأثر الشركات وقطاعات العمل من هذه الظاهرة من خلال تراجع إنتاجية الموظفين، وعدم توأفرهم في بعض الأحيان، وتأخرهم عن بعض الاجتماعات دون أسباب واضحة.

بدأت بعض الشركات تطلب إشعاراً بإنهاء تعاقد الموظف في عمله السابق، وإضافة أدوات

المراقبة البرمجية للعاملين عن بُعد، وإدخال شروط للإبلاغ عن أي أعمال جانبية أو إضافية. مرة أخرى، ليس من السهل الحصول على وظيفة ثانية، لكن توجد مهنة أو بعض التخصصات قد يكون هنالك نقص فيها، وبإمكان الموظف أن يجد عملاً بعد الدوام في شركة خاصة أو مستشفى خاص أو أي مجال.

لكن الظروف العامة والاقتصادية ربما تدفع صاحب القرار إلى التفكير جدياً إما بتعديل التعليمات أو التشريعات، أو على الأقل غض الطرف، وبخاصة إذا كان العمل الثاني ليس على حساب حق الدولة، ولا يتم عن طريق أي ممارسة

مخالفة للقانون، أو من خلال تهريب من العمل الحكومي.

وكما أشرت، فإن العمل الثاني موجود منذ عقود، وإن كان قد ضعف كثيرًا نتيجة ضيق سوق العمل، لكن عمل موظف من الصراحة في مستشفى خاص بعد الدوام لا يختلف في جوهره عن عمل موظف في محل تجاري بعد الدوام الرسمي.

ويتوقع جايمي ديمون، الرئيس التنفيذي لبنك جي بي مورغان تشيس (JPMorgan Chase)، أن يُخفّض الذكاء الاصطناعي عدد أيام العمل الأسبوعية إلى ثلاثة أيام ونصف، لكنه يُقر بأنه سيؤدي حتمًا إلى إلغاء بعض الوظائف.

فكيف نوفرُ فرصَ عملٍ لشبابنا في المستقبلِ
تحتَ ظلِّ هكذا تقنياتٍ حديثةٍ؟.

٣٥- نحن وفلسطين :

في المرحلة الابتدائية، مطلع ستينيات القرن
العشرين، كنا ننشدُ قبلَ خروجنا من المدرسةِ
ظهِراً أنشودةً "أمجادُ يا عربُ أمجادُ" . . . كان
صوتي يرتفعُ بحماسٍ يعلو على أصواتِ زملائي
الصفار، كنا أبرياءَ لا نعرفُ أننا نعيشُ في مختبرِ
التضليلِ السياسيِّ المبرمج.

وفي المرحلة الإعدادية، درّبونا على حملِ السلاحِ
(بندقيةِ آليّةِ كلاشنكوف ٧,٦٢ ملم روسية
الصنع) لتحريرِ فلسطينَ من الكيانِ الغاصبِ،

ولم يُخبرونا أنّ إسرائيلَ تمتلكُ قنابلَ نوويةً
وانشطاريةً، وأثناءَ التدريبِ كنا نُردّدُ (فلسطين
عربيةٌ فلتسقطِ الصهيونيةُ)، خدعونا بشعاراتهم
القوميةِ الفضفاضةِ التي أنطَلتْ علينا حينها،
وبدلاً من أن نذهبَ لتحريرِ فلسطينَ ساقونا إلى
الجهةِ الشرقيةِ لمحاربةِ إيرانَ وتحريرها من
المجوسيةِ كما يدَّعون، في حربٍ دمويةٍ استمرت
لمدةِ ثمانِ سنواتٍ، بعدها أدخلونا في حربٍ مدمِّرةٍ
مع الكوييتِ حينما احتلُّوها في ٢ آب عام / ١٩٩٠،
وقالوا عنها المحافظةُ التاسعةُ عشر، وأنها تسرقُ

النفطَ العراقيَّ. (٢٨)

(٢٨) الغزو العراقي للكويت هجوم شنه الجيش العراقي على الكويت في ١١ محرم ١٤١١هـ / ٢
أغسطس/آب ١٩٩٠ واستغرقت العملية العسكرية يومين وانتهت باستيلاء القوات العراقية على كامل
الأراضي الكويتية في ٤ أغسطس، ثم شكلت حكومة صورية برئاسة العقيد علاء حسين خلال ٤ - ٨
أغسطس/آب تحت اسم جمهورية الكويت.

كما علمونا في المناهج الدراسية أنّ الصفر هو
اختراعٌ عربيٌّ، والمعلمُ قالَ لنا أنّ كليلَةَ ودمنةَ
قصصٌ عربيّةٌ، وأنّ العربَ لهم مجدٌ في العلومِ
الطبيّةِ، فابن سينا طبيبٌ عربيٌّ... طيلةَ سنواتٍ
اعتبرتُ ذلكَ مسلماتٍ قبلَ أن أكتشفَ أنّ الصفرَ
اختراعٌ هنديٌّ، ولم يعد بالإمكانِ لأيِّ معلمٍ أن
يكذبَ على تلاميذه بعدَ أن حصلتِ الهندُ على
براءةِ اختراعٍ للصفرِ وتكريماً عالمياً لها، بل وصارت
هي المشرفةُ على تنويعِ علماءِ الرياضياتِ في
العالمِ، وقصةُ كليلَةَ ودمنةَ حكاياتٌ هنديةٌ
تُرجمتِ إلى الفارسيةِ ونقلها ابنُ المقفعِ الفارسيُّ
إلى العربيّةِ، وابنُ سينا طبيبٌ من أوزبكستانَ،
فصارت كلُّ فكرةٍ مسلمةٍ درستُها في المدرسةِ هي

موضع شكٍ حسيٍّ حتى يُثبتَ العكسَ، حتى تلكَ
الأنشودةُ صارتَ تعني لي كهفَ علي بابا والأمجادَ
المسروقةَ.

واليومَ وبعدَ أن بلغَ عمري السبعينَ عامًا، لم تُحرَّرْ
فلسطينُ وإنما حُرِّرتَ الكويتُ من الغزوِ البعثيِّ
الصداميِّ بعدَ أن استعانتُ بالمجتمعِ الدوليِّ ودولِ
التحالفِ لإنقاذها من أخوةِ يوسفَ المتجبرين.

واليومَ الكثيرُ منا يقولُ إنَّ - قطاعَ غزة - وجنوب
لبنانِ سوفَ يُدمَّرُ عن بكرةِ أبيه، وأنَّ حماسَ لن
تستطيعَ مجابهةَ إسرائيلَ، كذلكَ حزبُ اللهِ،
بسببِ عدمِ تكافؤِ القوةِ، وآخرُ يقولُ إنَّهم يقاتلونَ
بالنيابةِ .. إلى آخره من الكلامِ.

نعم، من حيثُ الواقعِ والنظرةِ الموضوعيةِ إنَّ
العدوَّ مدعوَّ دوليًّا ويمتلكُ من المعداتِ
والأسلحةِ المتطورةِ تكنولوجياً، وفي كلِّ مرةٍ يحدثُ
فيها اعتداءً تُدمَّرُ فيها غزّةٌ وتفقدُ الكثيرَ من
أبنائها، وهناكُ من القادةِ العربِ من يتفاوضُ مع
إسرائيلَ ويتوسلُ بها لوقفِ إطلاقِ النارِ بغضِّ
النظرِ عن الجرائمِ التي تقترفُها بحقِّ الشعبِ
الفلسطينيِّ والشعبِ اللبنانيِ، ويجلسُ ويتاجرُ بها.

لكن الواضحُ أنَّ العملياتِ التي تقومُ بها حماسُ
والجهادُ الإسلاميُّ في شمالِ غزّةٍ وفي الداخلِ قد
أربكتِ العدوَّ وأفقدهُ الكثيرَ. فأعدادُ القتلى
والأسرى الكبارين تحدثُ لأولِ مرةٍ وبهذا الحجمِ،
ولأولِ مرةٍ تجري عملياتٌ في العمقِ الإسرائيليِّ

بهذا الشكل، وتحقيق خسائر عسكرية وبشرية
واقصادية فادحة بأسلوب المباغته والسرعة في
التنفيذ، وابتكار صيغ جديدة في الهجوم ومنها
استخدام المظلات والزوارق والطائرات المسيرة
وأعداد المهاجمين الذين تجاوزوا المئات،
وأمدادات الهجوم الذي لا يزال مستمرًا.

كل ذلك حطّم أسطورة العدو الذي لا يُقهر،
وحطّم معه استخباراته التي طالما تبجح بها بعد
أن تعاون مع دولٍ محيطية إقليمية ودولية تعطيه
كل نوايا أيّ هجومٍ محتملٍ مما يتيح إجهاضه
قبل حدوثه، وحتى منظومة القبة الحديدية
أثبتت فشلها بعد أعداد الصواريخ التي ضربت
العمق الإسرائيلي من قبل محور المقاومة، مما

خلق حالةً من الفوضى والخوف والرعب لدى
المستوطنين.

أما دمارُ المدن فقد اعتادت غزةً وجنوب لبنان
على الدمارِ سواءً بهذا الهجومِ أو غيره، واعتادت
على القصفِ الجويِّ، وأما عن الشهداءِ فإنَّ غزةً
وُلدت والمقاومةُ شعلَةٌ فيها تنفضُ حتى يشعرَ
الجميعُ شيبًا وشبابًا وأطفالًا ونسوةً بأنهم مشاريعُ
للاستشهادِ بالفعلِ لا بالقولِ كما يدعي الآخرون
ممن يحملون مشاريعَ المقاومةِ اسمًا لا فعلًا، ففي
غزةً من النادرِ أن تجدَ بيتًا لا يوجدُ فيه أسيرٌ أو
شهيدٌ أو مقاومٌ.

مثل بقية العالم، توجهت أنظارُ العراقِ نحو
فلسطين، وكحال معظم العرب، فقد ناصرَ

العراقيون عملية حماس وحزب الله لبنان، من خلال مظاهرات عمّت مناطق مختلفة في بغداد ومحافظاتٍ أخرى.

تضامنت الحكومة العراقية مع عمليات حماس، إذ صرح رئيس الوزراء العراقي (محمد شياع السوداني) بموقفه الثابت تجاه قضيتها، مؤكداً أنّ العملية العسكرية لم تكن سوى ردّ طبيعيّ على انتهاكات إسرائيل المستمرة ضدّ الشعب الفلسطينيّ وتجاوزاتها على أراضيه، بالإضافة إلى صمت المجتمع الدوليّ إزاء كلّ هذه التجاوزات.

زعيم التيار الصدريّ (مقتدى الصدر) دعا في بيان نشره على صفحته الشخصية في مواقع التواصل الاجتماعيّ إلى تظاهرة مليونية سلمية،

يومَ الجمعةِ ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣، ورفعَ
علمَ فلسطينَ، وأضافَ: "عسى أن تكونَ تلكَ
المظاهرةُ تحطيمًا وتشهيدًا لهم، ولنرعبَ كبيرةَ
الشرِّ أمريكا التي تدعمُ الإرهابَ الصهيونيَّ ضدَّ
أحبّتنا في فلسطينَ، ولتعودَ الأراضي الفلسطينيةُ
والقدسُ الشريفُ إلى كنفِ الحقِّ والحقِّ يعلو ولا
يُعلى عليه".

حفظَ اللهُ غزّةَ ولبنانَ، ورحمَ شهداءها، وشافي
جرحاها، و أفرجَ عن أسرها ومعتقليها (وسيرى
الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون).

وهناك أسئلةٌ نطرحها بصدقٍ :

١- أين ذهب شيوخ فتاوى الجهاد في العراق

وسوريا من حرب غزّة؟.

٢- أين اختفى الباحثون عن تناول وجبة الغداء أو

العشاء مع النبي (ص)؟.

٣- أين اختفت تلك الجيوش والفيالق والسرايا

التي كانت تقاتل في العراق وسوريا ولبنان؟.

جيش عمر.

جيش محمد.

• كو اتم الظلام.

• الجيش الإسلامي.

جيش الراشدين.

كتائب ثورة العشرين.

الجمية الإسلامية.

جيش أنصار السنة.

- جيش المجاهدين.
- تنظيم القاعدة.
- الجماعة السلفية.
- ثوار الأنبار.
- الجمية الوطنية لتحرير العراق.
- مجلس شوري المجاهدين.
- جيش الفاتحين.
- جيش الطائفة المنصورة.
- الطريقة النقشبندية.
- سر ايا الجهاد.
- جيش أبو بكر الصديق.
- كتائب صلاح الدين الأيوبي.

جيش العزة في العراق.

● جيش أهل السنة والجماعة.

حماس العراق.

كتائب الحسن البصري.

كتائب القصاص العادل.

● منظمة الخضراء الإسلامية.

حركة الكفاح الإسلامي.

جبهة حماة العقيدة.

مسلحو ثوار العشائر.

● داعش

ولم تأت تلك المنظمات الإرهابية من فراغ، وإنما جاءت وفق مخططات وأفكار المستشرق البريطاني

- اليهودي (برنارد لويس ١٩١٦-٢٠١٨) عرابِ المصالح الإسرائيلية، ورفضه كلِّ محاولةٍ من محاولات السلام مع العرب والمسلمين، بل وتهجّمه على القيادة الإسرائيلية نفسها لاتخاذها قرار الانسحاب من لبنان.

أذ احتلت إسرائيل جنوب لبنان عام ١٩٧٨، ضمن سلسلة أمنية بعيدة المدى، وأنشأت فيه ميليشيا من المتعاونين معها بقيادة (سعد حداد) ثم (أنطوان لحمد)، وفي عام ١٩٨٢ دخلت إسرائيل إلى بيروت ثم انسحبت، وبقيت في الجنوب حتى عام ٢٠٠٠ حيث أعلن (إيهود باراك - ١٩٤١) والذي كان رئيس الوزراء آنذاك الانسحاب التام من الجنوب دون أي اتفاق مع

لبنان، وتبع انسحابُ الجيشِ الإسرائيليِّ جميعَ
القوى اللبنانيةِ المساندةِ له، فيما عدا مزارعَ
شعبا والتي لا تزالُ محتلةً حتى الآن.

ويعتبر - برنارد لويس - أحدَ الذين صاغوا
استراتيجيةَ المحافظين الجددِ في عدائهم الشديدِ
للإسلامِ والمسلمين، وقد اتضحت هذه السياسةُ
في تصريحه المشهورِ عامَ / ٢٠٠٥ حيث قال: "إنَّ
العربَ والمسلمين قومٌ فاسدون مفسدون
فوضويون لا يمكن تحضيرهم، ولذلك فإنَّ
الحلَّ السليمَ للتعاملِ معهم هو إعادةُ
احتلالهم واستعمارهم وتدميرُ ثقافتهم
الدينية، إنه من الضروري إعادة تقسيم

الأقطار العربية والإسلامية إلى وحداتٍ
عشائريةٍ وطائفيةٍ» (٢٩)

ولا ننسى موقفَ الدكتور (أحمد عبدالعزیز)، وهو
من أشهر أطباء العظام في مصر الحبيبة، حين
اشتدَّت الحربُ على غزة، تركَ عيادته المشهورة،
وودعَ أهله وبلده وتوجهَ إلى غزة، وقامَ بإنجازِ
عشراتِ العملياتِ الدقيقةِ في وقتٍ قياسيٍّ وأنقذَ
حياةَ العشراتِ!.

رغمَ خطورة الأوضاع، إلا أنه لم يغادر غزة ولم
يتركَ أهلها لحظةً واحدةً، بل إنه قامَ بالتوجهِ إلى
شمالِ غزة مع أولِ وفدٍ طبيٍّ يستطيعُ الوصولَ إلى
هناك منذُ ١٩٥ يومًا، ولما سأله الناسُ: ألا تخافُ

(٢٩) صحيفة عمون/ مخطط برنارد لويس في تفتيت العالم العربي والإسلامي/ د. حسين عمر توفيق، ١٧ أيلول ٢٠١٩.

من هذه المجازفة؟ قال: "عمري ٧٥ سنة، وجئتُ
لأموتَ هنا، مش باقي حاجة بعمرى!!".

هذا هو فخرُ العربِ والمسلمين، أسألُ الله أن
يُطيلَ في عمره على طاعته، ويكثرَ في المسلمين
أمثاله، ويرزقه الفردوسَ الأعلى من الجنة، برفقة
النبيِّ ﷺ وأهل بيته الأطهارِ وصحابته الكرام!!.

٣٦- من أين نأتي بنبوخذ نصر مرة أخرى؟.

مع بداية كلِّ حربٍ قصيرةٍ مع إسرائيلَ في الأعوامِ
الماضية، يبدأ الإعلامُ العربيُّ المرئيُّ والمسموعُ ببثِّ
الخطبِ الرنانةِ والشعاراتِ والأناشيدِ الحماسيةِ
التي تُقوِّي النظامَ الحاكمَ والقائدَ التاريخيَّ

الجالس على كرسي الحكم (باجر بالقدس يحكم
أبو هيثم).

وهذا أبو هيثم (رحمه الله تعالى) هو (أحمد حسن
البكر) ١ تموز/يوليو و١٩١٤ - ٤ تشرين الأول/أكتوبر
١٩٨٢) رابع رئيس لجمهورية العراق من ١٧
تموز/يوليو و١٩٦٨ إلى ١٦ يوليو و١٩٧٩، الذي تنازل
عن الحكم لنائبه (صدام حسين المجيد ١٩٧٩ -
٢٠٠٣) تحت قوة السلاح والسلطة، لأن البكر في
حينه لم يستطع تحرير فلسطين، مع وجود القائد
الضرورة على رأس الحكم في العراق، لذا ترك
تحرير القدس للسيد النائب الشاب الوسيم
المفتول العضلات.

وفي أيلول من عام / ١٩٨٠، توهمَ القائدُ الضرورةَ
وبطلُ التحريرِ القوميِّ بأنَّ عدوهُ الأولَ ليسَ
إسرائيلَ وإنما إيرانَ، لذلكَ خاضَ حربًا مدمرةً
معها لمدةِ ثمانِ سنواتٍ أطلقَ عليها (قادسية
صدام) أو ما تُسمَّى - القادسيةُ الثانيةُ - والتي
انتهت في ٨ آب/أغسطس ١٩٨٨ بتبادلِ القبلاتِ
وفتحِ السفاراتِ والتعاملِ التجاريِّ والسياحيِّ بينَ
البلدين، والعودةِ إلى اتفاقِ الجزائرِ عامَ ١٩٧٥.

ثم توهمَ قائدُ الجمعِ المؤمنِ وأخوهِ دله، كما كان
يُطبِّلُ له إعلامُ النظامِ، بأنَّ تحريرَ القدسِ يمرُّ عبرَ
دولةِ الكويتِ الغنيةِ بالنفطِ والسياراتِ الفارهةِ
والدولاراتِ، فراحَ إلى هناكَ صبيحةَ يومِ ٢
أب/أغسطس عامَ ١٩٩٠ وأدخلها في سجلاتِ

العراق المحافظة التاسعة عشر، بعدها أخرجته
قوات التحالف الدولي والقوات المتجفلة معها
إلى حيث كان يوم ٢ شباط/فبراير ١٩٩١، ليقوم
بقتل شعبه الثائر عليه وعلى نظامه البائس في
انتفاضة شباط المجيدة عام ١٩٩١.

هذا نموذج بسيط وقليل من بعض قادة العرب
الذين تبجحوا بتحرير فلسطين من اليهود وفشلوا
في التحرير، أوراخوا في الطريق الآخر المؤدي بهم
وبلدانهم إلى التهلكة والعقوبات الدولية
المفروضة. أما بقية قادة العرب أو الأغلبية
اليوم، فتشعر بقوة الردع الإسرائيلية ووقوف
الدول الكبرى وراء هذا الكيان الجاثم على أرض

فلسطين، فراحوا يفتحون السفارات والتبادل
التجاري والثقافي معه، حتى أطلقوا عليه وعلى
أنفسهم (أخوة إبراهيم).

والبعض الآخر منهم اليوم يشعربالخجل، أو ماذا
يقولون للعالم العربي والإسلامي عن قتل أطفال
ونساء وشيوخ فلسطين؟ وفي نفس الوقت هم
يكرهون أشد الكره محور المقاومة العربية-
الإسلامية بما فيها حركة المقاومة الإسلامية
(حماس)، وحزب الله لبنان، وسوريا الأسد،
واليمن الحوثي، وإيران، وبعض فصائل الحشد
الشعبية العراقية، ويتمنون زوالهم اليوم وليس
غداً على يد أمريكا وحلفائها التي جاءت بالسفن

الحربية والمدمرات القتالية والجيش والأسلحة
الفتاكة إلى الخليج العربي والمنطقة.

وجاء التصعيد الإسرائيلي ردًا على عملية
"طوفان الأقصى" التي أطلقها المقاومة

الفلسطينية في السابع من أكتوبر/تشرين الأول
٢٠٢٣، حيث اقتحم مقاتلوها مستوطنات بغلاف

مدينة غزة وشنوا

قصفًا على مدن وبلدات إسرائيلية، مما أسفرت
الأحداث عن مقتل ٥٠ ألف مواطن فلسطيني

وإصابة أكثر من مائة ألف حتى اليوم، وتهجير ما
يقرب من مليون ونصف المليون مواطن

فلسطيني.

ومن المعروف أن "غزة هي جيب فلسطيني صغير جداً ومحاصر، لا تزيد مساحته عن ٣٦٠ كيلومتراً مربعاً، بما يعادل ١,٣٪ من مساحة فلسطين التاريخية، لكن يتكدس فيه نحو ٢,٢٥٠ مليون نسمة، يمثلون نحو ٤٠٪ من سكان الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، ونحو سدس التعداد العام للشعب الفلسطيني".

كلُّ تلك الأحداثِ وغيرها أنتجت أجيالاً ترسخُ في ذهنها أنه لا بدَّ من شخصٍ ما قادِمٍ من عمقِ التاريخِ ذو قدراتٍ كبيرةٍ يمهدُّ لها الطريقَ، فمن الاتكالِ المطلقِ على الدولةِ في توفيرِ السلةِ الغذائيةِ، ثم البحثِ عن الوساطاتِ لإدراكِ الوظائفِ والمكاسبِ المتوسطةِ، ثم انتظارِ القائدِ

الخارق ليغير المجتمع ويرفع الظلم عن المظلومين
ويردّ حقوق الأمة المسلوبة، فلا يؤمن الإنسان
بنفسه ولا بقدراته التي قد يعيش عمره كاملاً دون
أن يتعرض لتجربةٍ واحدةٍ يثبت فيها هذه
القدرات.

والكثير من عامة الناس ينتظر القائد الضرورة
والبطل القومي لكي يُحرّر فلسطين مرةً أخرى
ويأتي بهم أسرى إلى مدينة بابل كما فعل نبوخذ
نصر الثاني (٦٢٦ - ٥٦٠ قبل الميلاد). **وفى**

**الشهر الخامس، في عاشر الشهر، وهي
السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ نصر
ملك بابل، جاء نبوزر ادان رئيس الشرط،
الذي كان يقف أمام ملك بابل إلى اورشليم،**

وأحرق بيت الرب، وبيت الملك، وكل بيوت
أورشليم، وكل بيوت العظماء، أحرقتها
بالنار، وكل أسوار أورشليم مستديراً هدمها
كل جيش الكلدانيين الذي مع رئيس الشرط
الإصحاح الثاني والخمسون / إرميا ٥٢ من
الكتاب المقدس / العهد القديم).

أما البعض الآخر فيريد أن تتحرر فلسطين من
قبضة اليهود الحديدية وهو جالس على شاشة
التلفزيون يترقب حرب لبنان وغزة اليومية من
قناة الحدث وقناة العربية أو الجزيرة القطرية،
بعدها ينهض من غفوته ليردد (أمجاد يا عرب
أمجاد)، كما كنت أرددها في طفولتي.

٣٧ - أين نحن من الذكاء الاصطناعي؟.

المقدمة

يومًا بعد يوم، تثبت الحواسيب أنها قادرةٌ بشكلٍ متزايدٍ على أداء المهام التي تتطلب ذكاءً بشريًا، بدءًا من الترجمة وصولاً إلى تشخيص الأمراض. علاوةً على ذلك، فإن الخوارزميات الكامنة وراء الذكاء الاصطناعي أضحت قادرةً على التأثير على قراراتنا بشكلٍ متزايدٍ: من الأخبار التي نقرأها، مرورًا بمقاطع الفيديو التي نشاهدها، وبلوغًا إلى الطريقة التي نتفاعل بها.

أولاً: تعريفه

الذكاء الاصطناعي: هو عبارة عن فرعٍ من فروع علوم الكمبيوتر، يركّز على إنشاء آلاتٍ يمكنها

محاكاة الذكاء البشري، مما أحدث ثورة في الطريقة التي تعمل بها المؤسسات وتفاعل مع عملائها، ومنها المؤسسات المالية. كذلك يُعرف أنه: أحد مجالات علوم الحاسب، يهدف إلى إنشاء أنظمة يمكنها تنفيذ المهام التي تحتاج عادةً إلى الإدراك البشري، مثل التعلم وصنع القرار والتطوير الذاتي، ويُشار إليه غالبًا باسم "ذكاء الآلة".

فقد مهدت تقنيات الذكاء الاصطناعي، مثل التعلم الآلي، ومعالجة اللغات، وتحليلات البيانات، الطريق لتجارِب عملاء أكثر تخصصًا، وتعزيز اكتشاف الاحتيال، وإدارة المخاطر بكفاءة، وتبسيط العمليات التشغيلية. ولقد عملت

تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي على تحسين أداء المؤسسات وإنتاجيتها عن طريق أتمتة العمليات أو المهام التي كانت تتطلب القوة البشرية فيما مضى. كما يمكن للذكاء الاصطناعي فهم البيانات على نطاق واسع لا يمكن لأي إنسان تحقيقه، وهذه القدرة يمكن أن تعود بمزايا كبيرة على الأعمال. فعلى سبيل المثال، تستخدم شركة Netflix التعلم الآلي لتوفير مستوى من التخصيص مما ساعد الشركة على تنمية قاعدة عملائها بأكثر من ٢٥ بالمئة.

ولم يؤد ذلك إلى تحسين رضا العملاء فحسب، بل أدى أيضًا إلى تحسين العمليات الداخلية، مما أدى إلى توفير التكاليف وتحسين عملية صنع

القرار. وعلى الأغلب ما يُشارُ إلى دمجِ الذكاءِ الاصطناعيِّ في العملياتِ المصرفيةِ باسم "الاستفادةِ من الذكاءِ الاصطناعيِّ في الخدماتِ أو الأعمالِ المصرفيةِ". إنَّ دمجَ الذكاءِ الاصطناعيِّ في الأعمالِ المصرفيةِ لا يُؤدي فقط إلى تعزيزِ الكفاءةِ التشغيليةِ وإشراكِ العملاءِ، بل يُمكنُ البنوكَ أيضًا من الحفاظِ على قدرتها التنافسيةِ في القطاعِ المصرفيِّ الذي يُعتبرُ قطاعًا سريعَ التطورِ.

فضلاً عن ما ذكر، يُمثِّلُ دمجُ الذكاءِ الاصطناعيِّ في الأعمالِ المصرفيةِ تحوُّلاً مُلفتًا يحملُ إمكاناتٍ هائلةً لكلِّ من المؤسساتِ الماليةِ وعملائها. كذلك يعتمدُ الاستخدامُ الناجحُ للذكاءِ الاصطناعيِّ في

في الأعمال المصرفية على قدرة الصناعة على تحقيق التوازن بين الابتكار والموثوقية، ومن خلال تعزيز ثقافة الابتكار، والاستثمار في حوكمة قوية للبيانات، يمكن للبنوك تسخير قوة الذكاء الاصطناعي لإحداث ثورة في خدماتها. ومع استمرار تطور الذكاء الاصطناعي، فمن المرجح أن تصبح الخدمات المصرفية أكثر سلاسة وتخصيصاً وكفاءة، مما يبشّرُ بعصرٍ جديدٍ من المشاركة المالية التي تجمعُ بين الخبرة البشرية والتكنولوجيا المتطورة.

وقال الرئيس التنفيذي لشركة ميتا، مارك زوكربيرغ، إنَّ الذكاء الاصطناعي سيُكون محورَ الاستثمار الرئيسي للشركة في عام ٢٠٢٤، مُعلنًا

عن خطِّ لتعزيز الموارد الحوسبية وتوظيف
المزيد من المهندسين. وأضاف زوكرييرغ، خلال
إعلان أرباح الشركة في الربع الثالث من العام
الحالي، أن ميتا ستستمرُّ في إيلاء أولوية أقلَّ
للمشاريع التي لا تتعلق بالذكاء الاصطناعي.

وأوضح أن الشركة تعتزم في نهاية المطاف
استخدام الذكاء الاصطناعي لإنشاء محتوى
مخصصًا للمستخدمين عبر تطبيقاتها، وتابع:
"بالنسبة لتطبيقات موجز الأخبار، أعتقد أنه
بمرور الوقت سيقوم الذكاء الاصطناعي بتوليد أو
تحرير المزيد من المحتوى الذي يستهلكه الناس".

ثانيا: العالم اليوم

يعيشُ العالمُ اليومَ في عصرٍ تطوّر رهيّبٍ وسريعٍ في مجالاتِ التكنولوجيا الحديثة، ومن أبرز هذه التكنولوجيا - الذكاء الاصطناعي - الذي أصبح يلعبُ دورًا متزايدَ الأهمية في حياتنا اليومية وفي مختلفِ النواحي والمجالات. كما يُعدُّ الذكاء الاصطناعي تقنيةً قويةً ومبتكرةً، لكن مع هذا التقدمِ السريعِ تنطوي عليه مخاطرٌ وتحدياتٌ يجبُ أن نواجهها وأن نتعاملَ معها بحذرٍ شديدٍ.

فإحدى المخاطر الرئيسية له هي تأثيره على سوقِ العملِ والوظائفِ. لأنه يُتوقعُ أن يؤدي تطوّر التكنولوجيا إلى تطوّر آلياتِ وروبوتاتٍ ذكيةٍ كذلك، والقادرة على أداءِ الأعمالِ البسيطةِ والمتكررة بشكلٍ أفضلٍ وأسرعٍ من البشر، مما

يتسببُ في فقدانِ الكثيرِ من وظائفِ العملِ
التقليدية، وبالتالي خلقِ مشكلاتٍ اقتصاديةٍ
 واجتماعيةٍ كبيرةٍ، مثل ارتفاعِ معدلاتِ البطالةِ
وتفاقمِ الفقرِ.

أعتقدُ أن بعضَ مجالاتِ التكنولوجيا تستفيدُ من
الذكاءِ الاصطناعيِّ، مثل العملِ الطبيِّ
والاستخباراتيِّ لتطبيقِ التعرفِ على الأنماطِ
بشكلٍ أسرعٍ وأكثرَ دقةً من البشرِ، وأرى أن هناك
بعضَ التطبيقاتِ السيئةِ مثل سلسلةِ منشوراتِ
الكتبِ التي تصيبُ الإنترنتَ، ومن الأمثلةِ على ذلك
أنه بعدَ فترةٍ وجيزةٍ من الحرائقِ في هاواي، وبعدَ
يومٍ واحدٍ كانت هناك كتبٌ للبيعِ على الإنترنتِ
كتبها الذكاءُ الاصطناعيُّ.

كما أن هناك أيضًا تطبيقات سيئة، مثل إعادة إنتاج الصوت والصورة المصممة للتحايل على بروتوكولات الأمان، لذا يجب أن يكون هناك تنظيم للذكاء الاصطناعي يغطي مجالًا واسعًا جدًا. في حين أنه لا يكاد يوجد أي اعتراض على الإكمال الآلي للمهام الحسابية، وما إلى ذلك، يمكن أن يبدو هذا مختلفًا تمامًا بالنسبة للعمليات الأكثر تعقيدًا ومتعددة المراحل.

ففي قطاع الطيران، على سبيل المثال، تعمل القيم الجوية وأجهزة الكمبيوتر الأخرى على تخفيف الكثير من العمل على الطيار حتى يتمكن من التركيز على المجال الجوي. ومع ذلك، فإنه من الصعب إذا كانت الإجراءات الآلية هي اتخاذ

القرارات الصعبة للطيار نفسه، على سبيل
المثال، تنفيذ الهبوط الاضطراري في المواقف
الحرجة.

هنا - على الرغم من صعوبة ذلك - يجب أن يكون
لدى الطيار دائماً الكلمة الأخيرة في معرفة جميع
الظروف، لأنه لا يوجد برنامج، مهما كان متطوراً،
يمكنه التعامل مع الطقس والوزن والسرعة
وحالة المدرج وموثوقية رسائل البرج والعوامل
البيئية وحركة المرور والخصائص المحلية الأخرى.

لكن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يعمل بشكل
خيالي لترجمة النصوص المكتوبة والأصوات
المتنوعة وتصنيف صور القطط / الكلاب، وحتى

التعرف على الوجوه البشرية - وهي كلها أمثلة لا تزال فيها القرارات السابقة صحيحة.

ومن الناحية الأخلاقية، كيف سيقرر الطبيب معالجة المريض الذي يجب علاجه، عندما يكون هناك سريرًا واحدًا في وحدة العناية المركزة فحسب، على سبيل المثال؟ ستذكر الإرشادات دائمًا أن التفضيل يجب أن يكون لشخص لديه فرصة بقاء أعلى.

ثالثاً: الذكاء الاصطناعي واستخداماته المتعددة

وفي عالم اليوم التقني المتغير بسرعة، بات هناك الكثير من المسارات التقنية التي تتطلب نظرة أعمق وأكثر خبرة لها. بعض هذه المسارات ناشئة وجديدة كـ "الذكاء الاصطناعي التوليدي"،

والأخرى ناتجةً عن التطور المتسارعِ مثل نموّ
التهديداتِ السيبرانيةِ، فيما تظهِرُ رؤسواها
كانعكاساتٍ لقضايا لظالماتٍ كانت محوريةً مثل
سيادةِ الدولِ ومدى امتدادِها ووجودِها في
الفضاءِ الرقبيِّ.

اليومَ تسعى دولةُ الإماراتِ العربيةِ المتحدةِ إلى
تنفيذِ استراتيجيةِ الذكاءِ الاصطناعيِّ التي تمَّ
إطلاقُها في أكتوبرَ عامَ ٢٠١٧ من خلالِ تنفيذِ
البرامجِ والمشاريعِ التنمويةِ التي تضمنُ تحقيقَ
المستقبلِ المرجوِّ. وتتمثلُ أهدافُ هذه
الاستراتيجيةِ في استخدامِ الذكاءِ الاصطناعيِّ في
تقديمِ الخدماتِ وتحليلِ البياناتِ بنسبةِ ١٠٠
بالمائةِ بحلولِ عامِ ٢٠٣١، وتحسينِ الأداءِ

الحكوميّ وتسريع الإنجاز، إضافةً إلى خلق بيئاتٍ
عملٍ مبتكرةٍ.

تسعى الإماراتُ أيضًا لتكونَ الأولى في العالمِ في
استثمارِ "الذكاء الاصطناعي" في قطاعاتها
الحيويةِ المختلفةِ، بهدفِ إنشاءِ سوقٍ جديدةٍ
واعدةٍ ذاتِ قيمةٍ اقتصاديةٍ عاليةٍ. من جهتها،
تعملُ الهيئةُ السعوديةُّ للبياناتِ والذكاءِ
الاصطناعيِّ (سدايا) على استراتيجيةٍ تستهدفُ
بناءَ الأسسِ اللازمةِ للحصولِ على ميزةٍ تنافسيةٍ
عبرَ التخصصِ في مجالاتٍ محددةٍ بحلولِ عامِ
٢٠٢٥. وبحلولِ عامِ ٢٠٣٠، تهدفُ تلكُ الهيئةُ إلى
أن تنافسَ على المستوىِ الدوليِّ وتنضمَّ إلى

الاقتصادات الرائدة التي تستفيد من البيانات
والذكاء الاصطناعي.

مؤخراً، أصبحت التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي
أمراً لا غنى عنه في حياتنا اليومية.. لذا يعدُّ
ChatGPT مثالاً حياً على تطور الذكاء الاصطناعي
الذي تمَّ إطلاقه بواسطة شركة OpenAI. لقد
كانت هذه الخطوة مذهلة ومؤثرة بشكل كبير،
وقد تفوقت في التأثير على منصات التواصل
الاجتماعي. في الواقع، يتمُّ استخدام خدمات
الذكاء الاصطناعي في العديد من المجالات، مثل
البحث والتجارة الإلكترونية والحجوزات
واقترحات المحتوى على منصات التواصل
الاجتماعي وYouTube ومنصات البثِّ المباشر.

يمكننا القول بثقة تامة أننا جميعاً نستخدم خدمات الذكاء الاصطناعي التي تتعامل مع مثل هذه الأمور أكثر من ٢٠ مرة في اليوم.

ومع ذلك، فإن من الجدير بالذكر أننا ننظر إلى ChatGPT ومنتجات مماثلة بطريقة مختلفة تماماً. يعود ذلك إلى حقيقة أننا نتعامل مع تلك التكنولوجيا بشكل فوري وملمووس، بدلاً من أن تكون مختبئة في الخفاء. إن الذكاء الاصطناعي أصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية، وهذا ما يستحق أن نأخذه في الاعتبار. أما عن عملية الحماية، يتطلب ذلك تحديث البرامج والأنظمة بانتظام، وتدريب الموظفين على كيفية التعرف على الاختراقات والهجمات السيبرانية المحتملة.

بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تتضمن الخطط الأمنية إجراء فحوصات أمان دورية للأجهزة الطرفية والنظم الموجودة على الشبكة. ستساعد هذه الفحوصات على اكتشاف الثغرات الأمنية المحتملة واتخاذ التدابير اللازمة لسدّها. أيضًا، يجب أن تتضمن الخطة الأمنية ضوابط صارمة للوصول إلى الأنظمة والبيانات الحساسة. يجب أن يكون هناك نظام للمصادقة المتعددة العوامل لضمان أن يتم الوصول فقط من قبل الأشخاص المصرح لهم، كما يجب أيضًا تطبيق إجراءات الحماية الكاملة لحماية البيانات الحساسة من الوصول غير المصرح به.

علاوةً على ذلك، يجبُ أن تتخذَ الشركاتُ إجراءاتٍ
للتصدي للاختراقاتِ والهجماتِ السيبرانيةِ في
الوقتِ الفعليِّ. كما يجبُ أن تتمَّ مراقبةُ الشبكةِ
والأجهزةِ الطرفيةِ باستمرارٍ للكشفِ عن أيِّ تهديدٍ
محتملٍ، ويجبُ أن يتمَّ اتخاذُ إجراءاتٍ سريعةٍ
للتصدي للهجماتِ ومنعِ انتشارها إلى باقي النظمِ.
باختصارٍ، يجبُ على الشركاتِ أن تعتمدَ على
استراتيجيةٍ شاملةٍ للأمنِ السيبرانيِّ تشملُ
الأجهزةِ الطرفيةَ والشبكةَ والبياناتِ. يجبُ أن
تكونَ هذه الاستراتيجيةُ دائمةً التحديثِ وتأخذُ
في الاعتبارِ التهديداتِ الجديدةَ والتعدي
التكنولوجيِّ الذي يحدثُ بسرعةٍ.

باعتماد خطة أمنية شاملة، يمكن للشركات
تقليل مخاطر الهجمات السيبرانية وتحقيق
التحول الرقمي بنجاح.

رابعاً: الذكاء الاصطناعي... الفوائد والأضرار

المتوقعة

يعتبر الذكاء الاصطناعي من أبرز التطورات
التكنولوجية في القرن الحادي والعشرين،
ويقصد به استخدام الحواسيب والآلات في تنفيذ
مهام تُعتبر مماثلة للذكاء البشري، مثل التعلم
والتفكير واتخاذ القرارات. ويُعتبر الذكاء
الاصطناعي تحدياً وفرصة جديدة في نفس الوقت.

وتغزو هذه التكنولوجيا الناشئة أماكن العمل
بقوة مذهلة، منطلقاً بسرعة كبيرة، حيث من

المتوقع أن تنتشر هذه التكنولوجيا لتعمّ مختلفَ
جوانبِ الاقتصاد، مخلفةً وراءها فائزين
وخاسرين. وستمنحُ الفائزين حافزاً قوياً لإحرازِ
قصبِ السبقِ بأسرعِ مما كنا نتوقع، بينما
سيعاني الخاسرون من تداعياتٍ سلبيةٍ، مثلَ
شراءِ منتجاتهم بأسعارٍ غير متوقعة. لذا، فمن
المهمِّ عرضُ الفوائدِ والأضرارِ المحتملةِ لهذا
التقدمِ التكنولوجي، ولو بشكلٍ مختصر، من أجلِ
المعرفةِ العامة.

بدايةً، يمكننا النظر في الفوائد العديدة التي
يوفرها الذكاء الاصطناعي.. ومنها :-

١- تتميز هذه التقنية بالقدرة على تحليل كميات هائلة من البيانات بشكل سريع وفعال، مما يساعد في تحقيق تفوق غير عادي في أداء المهام.

٢- بفضل خوارزميات الذكاء الاصطناعي، يمكن لآلات تنفيذ المهام مثل توقع النتائج المحتملة وتحليل السلوك البشري. على سبيل المثال، يُستخدم الذكاء الاصطناعي في تطبيقات الأمن لتحليل سلوك المستخدم وكشف الاحتيال.

٣- القضاء على الأعمال الورقية: في سابقة هي الأولى من نوعها في العالم، أظهر الذكاء الاصطناعي القدرة على التفاوض على عقد بشكل مستقل مع ذكاء اصطناعي آخر دون أي تدخل بشري. إذ عرضت شركة (Luminance)

البريطانية برنامج الذكاء الاصطناعي الخاص بها،
والذي يُسمى (Autopilot)، حيثُ تفاوض الذكاء
الاصطناعي على اتفاقية متفقٍ عليها في غضون
دقائق. وكان الأمر الوحيد الذي لا يزال يتطلب
إنساناً هو توقيع الاتفاقية.

٤- رصد الجبال الجليدية: يلجأ العلماء إلى الذكاء
الاصطناعي لرصد الجبال الجليدية العملاقة
بسرعة في صور الأقمار الصناعية بهدف مراقبة
انكماشها بمرور الوقت. وعلى عكس النهج
التقليدي لتتبع الجبال الجليدية، الذي يستغرق
من الإنسان بضع دقائق لرسم مخطط واحد
فقط من هذه الهياكل، أنجز الذكاء الاصطناعي

نفس المهمة في أقل من ٠.٠١ ثانية، وهو معدل أسرع بـ ١٠ آلاف مرة من البشر.

٥- يمكن استخدامه أيضاً في قطاعات أخرى مثل الطب والسيارات المجهزة بالقيادة الذاتية، وغيرها.

فقد توصلت دراسة حديثة أجراها باحثون بريطانيون من (جامعة أكسفورد) إلى إمكانية التنبؤ بما إذا كان شخص ما معرضاً لخطر الإصابة بنوبة قلبية قبل عشر سنوات من حدوثها، وذلك برصد أي انسداد أو ضيق في الشرايين من خلال الأشعة المقطعية المدعومة بأداة الذكاء الاصطناعي.

ومع ذلك، توجد أيضاً بعض الأضرار
المحتملة للذكاء الاصطناعي.. منها:-

١- أحد المخاوف الرئيسية هو أنّ التكنولوجيا قد تحلّ محلّ البشريّة في العمل، مما يؤدي إلى فقدان وظائف بشريّة. قد يؤدي التوظيف المتزايد للذكاء الاصطناعي إلى زيادة معدلات البطالة وتفاقم الفوارق الاقتصادية بين الطبقات.

٢- بالإضافة إلى ذلك، تثيرُ الذكاء الاصطناعيّ مخاوف أخلاقية، مثل تطوير الأنظمة التي قد تتسبب في ظلم البشر أو تمييزهم بناءً على العرق أو الدين أو الجنسية.

٣- علاوةً على ذلك، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي بطرقٍ سلبيةٍ، مثل استخدامهِ في تطوير أسلحةٍ ذاتِ قرارٍ ذاتيٍّ. قد يؤدي ذلك إلى زيادة خطر الحروب والصراعات.

٤- كما يشعُر البعض أن تقنيات الذكاء الاصطناعي قد تُهدد خصوصية الأفراد وتجعل البيانات الشخصية عرضةً للاستغلال والاختراق.

٥- أعلنت (شركة جوجل) أنها رفعت دعوى قضائيةً ضد مجموعةٍ من المحتالين في فيتنام الذين يحاولون الاستفادة من الضجة المحيطة بالذكاء الاصطناعي التوليدي لخداع الأشخاص لتزليل برامج ضارة، من خلال تشجيعهم على "تنزيل" بوت "بارد" مزيف.

١- التسولُ عبر الإنترنت أو الاستجداءُ عبر الإنترنت، هي واحدةٌ من إفرازاتِ الذكاءِ الاصطناعيِّ، وهي الوجهُ الثاني من التسولِ التقليديِّ الذي يقومُ به البعضُ في الشوارعِ والحافلاتِ وعلى أرصفةِ الطرقاتِ وعند إشاراتِ المرورِ للسياراتِ. لكن ميزةَ التسولِ عبر الإنترنتِ هي أنَّ المتسولَ مجهولُ الهوية، فلا يمكنُ معرفةَ اسمه الحقيقيِّ أو سنه أو مكانتهُ الاجتماعية، وهذا الأمرُ يُجنبه الإحراجَ وذلَّ السؤالِ الذي قد يلحقُ بالمتسولينَ التقليديينَ.

٢- ولكن يبقى الذكاءُ الاصطناعيُّ إحدى التكنولوجياتِ الحديثةِ التي تثيرُ اهتمامَ العديدِ من الباحثينَ والمهتمينَ بتطورِ التكنولوجيا. وعلى

الرغم من أن الذكاء الاصطناعي يحظى بشهرة كبيرة في البلدان المتقدمة والصناعية، إلا أن له أيضاً فوائد هائلة للمجتمعات النامية.

٣- حيث تُعدُّ البلدانُ الناميةُ من البلدان التي تعاني من العديد من التحديات الاجتماعية والاقتصادية، والتي يمكن أن يساعدها في تجاوزها الذكاء الاصطناعي.

خامساً: الفوائد المهمة للذكاء الاصطناعي

للمجتمعات النامية

١- تحسين القرارات الاقتصادية: يمكن أن يساعد الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات الاقتصادية وتوفير توقعات دقيقة للسوق. يمكن استخدام هذه المعلومات لتوجيه الاستثمارات

وتحسين عمليات التخطيط الاقتصادي، مما
يزيد من فرص نمو الاقتصاد ويعزز استقرار
البلدان النامية.

٢- تحسين الرعاية الصحية: يعدُّ الذكاء
الاصطناعي والتعلم الآلي أداة قوية في مجال
الرعاية الصحية. يمكن استخدامه لتحليل
البيانات الطبية وتشخيص الأمراض بدقة عالية
وتوفير علاج فعال. يمكن أن يؤدي استخدام
الذكاء الاصطناعي في الرعاية الصحية إلى تحسين
جودة الخدمات الصحية وتوفيرها للجميع، بما في
ذلك الطب الوقائي والوقاية من الأمراض.

٣- تعزيزُ التعليمِ : يمكن استخدامُ الذكاءِ الاصطناعيِّ في تطويرِ أدواتِ تعليميةٍ فعّالةٍ ومبتكرةٍ. يمكنُ للتعليمِ الآليِّ أن يقومَ بتحليلِ قدراتِ الطلابِ والتكيفِ مع احتياجاتهم الفردية، مما يُحسنُ نتائجِ الطلابِ ويعززُ عمليةَ التعلمِ. بالإضافةِ إلى ذلك، يمكن أيضاً استخدامُ الذكاءِ الاصطناعيِّ في تطويرِ منصاتِ تعليميةٍ عبرَ الإنترنتِ تساعدُ في توفيرِ التعليمِ للأفرادِ في المناطقِ النائيةِ أو التي تفتقرُ إلى المواردِ التعليميةِ المناسبةِ.

٤- تعزيزُ الزراعةِ الذكيةِ : يعدُّ الذكاءُ الاصطناعيُّ أحدَ التطوراتِ التكنولوجيةِ الهامةِ في العصرِ الحديثِ، حيثُ يُعززُ قدرةَ الآلاتِ على معالجةِ

البيانات واتخاذ القرارات بطريقة ذكية، مما
يسهم في تحسين العديد من القطاعات، بما في
ذلك الزراعة ومعالجة شح المياه.

من المعروف للجميع أن الزراعة التقليدية تعاني
من العديد من التحديات، بما في ذلك الاستخدام
غير الفعال للموارد وتبذير المياه. ومن أجل
التغلب على هذه التحديات وتحسين إنتاجية
الزراعة، تم تطوير الزراعة الذكية.

تعتمد الزراعة الذكية على استخدام التكنولوجيا
والذكاء الاصطناعي لزيادة إنتاجية المزارع
 وتحسين كفاءة استخدام الموارد. وأحد الجوانب
الرئيسية للزراعة الذكية هو استخدام الاستشعار

عن بُعدٍ وتحليلِ البياناتِ الجغرافيةِ لمراقبةِ
المزارعِ وتحديدِ احتياجاتها المائيةِ والغذائيةِ.

على سبيلِ المثال، يمكنُ استخدامُ الأقمارِ
الاصطناعيةِ لتحديدِ نمطِ النموِّ والنباتيّ
والعواملِ المؤثرةِ على النباتاتِ مثلَ درجةِ الحرارةِ
والرطوبةِ ونسبةِ الغازاتِ في الجوِّ. وبناءً على هذه
المعلومات، يمكنُ للمزارعينِ اتخاذَ القراراتِ
المناسبةِ بشأنِ توقيتِ الريِّ وكميةِ المياهِ
المستخدمةِ ومغذياتِ الأراضيِ المطلوبةِ.

بالإضافةِ إلى الاستشعارِ عن بُعدٍ، يمكنُ
استخدامُ الروبوتاتِ والمراوحِ المائيةِ وغيرها من
التقنياتِ لتوفيرِ المياهِ بطريقةٍ فعالةٍ ومحدودةِ
الهدر. كما يمكنُ للروبوتاتِ أن تصلَ إلى المناطقِ

صعبة الوصول أو الأراضي الوعرة التي يصعب الوصول إليها بواسطة البشر، وتحديد احتياجات الماء لكل نبات بشكلٍ دقيقٍ. وهذا سوف يعزز استخدام المياه بشكلٍ فعّالٍ ويقلل من التبذير. بالإضافة إلى تحسين كفاءة استخدام المياه، يمكن للذكاء الاصطناعي أيضًا أن يساعد في تحسين إنتاجية المحاصيل ومكافحة الآفات باستخدام الحوسبة السحابية وتحليل البيانات الضخمة.

منذ تأسيس (شركة مايكروسوفت)، وهي شركة متعددة الجنسيات تعمل في مجال تقنيات الحاسوب، حيث بلغ عائدها لسنة ٢٠١٦ أكثر من ٨٥ مليار دولار، ويعمل بها ١١٤ ألف موظف. تُعتبر

أكبر مصنعٍ للبرمجياتِ في العالم، حيث تطوّر
وتصنّع وترخّصُ مدى واسعاً من البرمجياتِ
للأجهزة الحاسوبية.

بدأ مؤسسُها (بيل غيتس) في تغيير طريقةِ
استخدامنا للحواسيب، ومن خلال شغفه الدائمِ
بالبرمجة، لم يتوقف تطوره وابتكاره. واليوم، تأتي
ثورة الذكاء الاصطناعي لتعيد تشكيل طريقةِ
استخدامنا للحواسيب والهواتف الذكية في
المستقبل القريب جداً.

وعلى الرغم من التقدم الهائل الذي حققته
البرمجياتُ، إلا أنها لم تكن قادرةً على أداء المهامِ
بذكاءٍ كاملٍ، دون الحاجة إلى توجيهها بشكلٍ دقيقٍ
من قبلنا. كما كانت غير قادرة على فهم أعمالنا

وحياتنا الشخصية واهتماماتنا وعلاقاتنا، وتنفيذ المهام تلقائيًا.

ولكن اليوم، وبفضل التطورات الكبيرة في مجال الذكاء الاصطناعي، أصبح بإمكاننا استخدام تطبيق واحد يقوم بتنفيذ جميع المهام المختلفة، وأصبح بإمكاننا التفاعل مع الأجهزة بلغاتنا العامية، وإخبارها بما يجب عليها فعله.

وبفضل فهمها للمعلومات الشخصية التي نقدمها، يمكنها الاستجابة بشكل ملائم وفعال لاحتياجاتنا.

في النهاية، يمكننا القول إن الذكاء الاصطناعي سيغير طريقة استخدامنا للحواسيب بشكل جذري. سيحدث تحول في كيفية تعاملنا مع

التكنولوجيا، حيث ستصبح الأجهزة أكثر ذكاءً
وفهمًا لمطالبنا الشخصية، وستصبح قادرة على
تنفيذ المهام بشكل تلقائي وفعال، مما سيوفر لنا
الوقت والجهد ويحسن تجربتنا الاستخدامية.

وأخيرًا، إحدى النكات المشهورة عن الذكاء
الاصطناعي هي الآتي: "سأل رجل آخر: ما هو رأيك
في الذكاء الاصطناعي؟ فأجاب الرجل: لا أدري،
فالذكاء الاصطناعي ليس لديه رأي حتى الآن!"

تُعكس هذه النكتة بشكلٍ فكاهي الارتباك الذي
يشعر به البعض تجاه الذكاء الاصطناعي وارتباطه
الجوهري بحياة الناس.

٣٨ - عشرون عاماً من البكاء !.

إنَّ غيابَ الثقافةِ العلميَّةِ المعاصرةِ عن مجتمعيِنا
العراقيِّ الجديِّد، وما يدورُ من تنظيرٍ لثقافةِ الحزنِ
والبكاءِ والطاعةِ العمياءِ لبعضِ رجالِ الدينِ،
ساهمتِ في نشوءِ ظاهرةِ التبذيرِ وتعطيلِ العملِ
وخلقِ شعاراتٍ غريبةٍ لشعبٍ يحكمه المملُ
والانفلاتُ الأمنيُّ والمجتمعيُّ.

وكانتِ نتائجُ ذلكِ انحسارَ مساحةِ الحرِّيَّاتِ،
وإصابةِ الحياةِ بالجمودِ والشللِ، حتَّى أصبحتِ
الحكومةُ العراقيَّةُ متفرِّجةً على الأحداثِ، تقدِّمُ
الدعمَ اللوجستيَّ لمشاريعٍ غيرِ إنتاجيَّةٍ. ومن نتائجِ
ذلكِ صرفُ ملياراتِ الدولاراتِ على الآخرينِ، وهذا
يتجلَّى من خلالِ مبيعاتِ سوقِ العملةِ اليوميِّ

للبنك المركزي العراقي في هذه الأيام، والتي تجاوزت
ربع مليار دولار يوميًا. المتأسلمون الجدد حولوا
خطابهم إلى نواح مزمن يتلذذ به بعض المغفلين
وقليلي الدراية، دون انتباه إلى أن بقية الناس قد
يقعون فريسة لهذا النواح، الذي سرعان ما
ينقلب نحيبًا، ثم مهارشة، ثم مكافحة، ثم صراعًا،
مع أن أساسه وهمي تمامًا.

إن سوء إدارة البلد أفرز هذا سلبيات في وضع
ضوابط جديدة لأداء مناسك الزيارات المليونية
التي أرهقت العراق والعراقيين، وكذلك إيران.

فأينما تنتشر الأحزاب المتديّنة والفصائل
المسلحة، ينتشر الجهل والخرافات والعادات
والتقاليد الموروثة من عفن التاريخ.

لقد أصبح الرجال يلطمون وينوحون كالنساء،
فمن يقدم لنا محاضرةً دينيةً علميةً كما فعل
الشيخ الوائلي وحسين الشامي رحمهما الله تعالى
برحمته الواسعة؟.

لقد أصبحت النساء أشرس من الرجال وأكثر
تمرّدًا منهم، إذ يمشين سيرًا على الأقدام من
مدنهن إلى مدينة كربلاء، قاطعات مئات
الكيلومترات، دون أن يكون معهن رجل أحيانًا.

والكثير منهن يُعرضن أنفسهن على مواقع
التواصل الاجتماعي وكأنهن ذاهبات إلى حفلة
زفافٍ عائلية في إحدى قاعات الأعراس الكبرى.

يجب تنظيم زيارة الأربعين بأسلوب حضاري
جديد، لأن مدينة كربلاء المقدسة والمدن الأخرى

لا تستوعب أعدادًا كبيرة. وعليه، تكون زيارة
الأربعين للأجانب كل خمس سنوات، لفسح المجال
أمام الآخرين لأداء تلك الزيارة بأسلوب مرين دون
التأثير على الآخرين من جهة، وعدم تأثيرها على
السوق المحليّة العراقيّة من جهة أخرى.

وعلى العتبة الحسينيّة وضع مكبرات صوت لبث
تلاوة من الذكر الحكيم، لتوعية الآخرين بأهمية
القرآن في حياة المسلمين، بدلًا من اللطم والبكاء
والعادات غير المبرّرة، مثل إدخال الجمال
والخيول في الشوارع والتبرّك بها من بعض
المغفلين.

فلو بحثت عن كلمة "أكثر الناس" في القرآن،
لوجدت بعدها:

﴿ لا يعلمون - لا يشكرون - لا يؤمنون ﴾.

ولوبحثت عن كلمة "أكثرهم" في القرآن، لوجدت

بعدها:

﴿ فاسقون - يجهلون - معرضون - لا يعقلون -

لا يسمعون ﴾.

فَكُنْ أَنْتَ مِنَ الْقَلِيلِ :

﴿ وقليلٌ من عبادي الشكور ﴾.

﴿ وما آمنَ معه إلا قليلٌ ﴾.

﴿ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾.

وكما قال المفكر الجزائري مالك بن نبي (١٩٠٥ -

:١٩٧٣)

«إذا أردت أن تهدم حضارةً، فاحتقر معلّمًا،
وأذلّ طبيبًا، وهَمَّشْ عَالِمًا، وأعطِ قيمةً
للتافهين».

إذن، كيف يمكننا أن نهدم الفئات والبنى الفكرية
الجامدة والغارقة في الأساطير والأوهام
والخرافات؟.

وكيف يمكن للوعي الإسلاميّ، قديمه وحديثه
ومعاصره، أن يتحرر من قيوده، ويُسمَح له
بالتنفس بحرية؟.

كيف يمكنك الخروج إلى عالمٍ جديدٍ وواسعٍ
ومتغيرٍ باستمرارٍ؟.

ما هي الخيارات التاريخية التي تتيح لنا تحرير
أنفسنا والآخرين؟.

كيف يمكننا الانتقال من التفكير المتجانس إلى التفكير المتنوع والملون؟.

كيف ننتقل من الطوائف والقبائل والمناطقية إلى الدولة والمجتمع المدني؟.

كيف ننتقل من حكومة الله (لا حكم إلا لله) إلى حكومة الشعب الواحد؟.

كيف يمكننا استئصال العنف من ثقافتنا الموروثة، ومن طريقة تفكيرنا، وسياستنا، ومجتمعاتنا، و أفكارنا الدينية؟.

هذه الأسئلة بحاجة إلى إجابات وحلول جذرية.

لذلك، أرى أن ما يولد التطرف المذهبي هو

الجمود الفكري والطروحات المقدسة. غير أن

الذي يستثمر الإيقاع على مستوى الرقعة، تكون

كلمته مساهمةً في نوعٍ ما من التوسعِ الذهنيِّ،
بكلماتٍ تشبهُ الندى على وردةٍ، لتُزهروا وتنبؤوا عبرَ
ليونةِ اللفظِ وسلاسةِ البناءِ.

إنَّ الحراكَ الثقافيَّ التنويريَّ، في مقابلِ الخطابِ
الطائفيِّ المتشنجِ، يتطلبُ الكثيرَ من الصبرِ
والمطاولَةِ مع أناسٍ متطرفينَ مغسولي الأدمغةِ،
اعتادوا على عاداتٍ وتقاليدهِ يوميَّةٍ وسنويَّةٍ،
غرسها في نفوسهم كهنةُ المعبدِ.

قد يسيئونَ إليك بطريقةٍ ما من خلالِ مواقعِ
التواصلِ الاجتماعيِّ، مما يتطلبُ نقلَ هؤلاء إلى
غرفِ الإنعاشِ وتزويدهم بأوكسجينِ الذكاءِ
الأصطناعيِّ والثورةِ الرقميَّةِ، بالكلمةِ الطيبةِ
والمسارِ الحركيِّ الفعَّالِ لمواجهةِ الواقعِ المتردِّيِّ

المعاش، ينبغي على الجميع إدراكُ و اقعهم بما
يلزمُ من إحياءٍ خياليٍّ واسعِ المعنى، عميقِ
المضمون.

٣٩ - العراق وأيران .. هل يمكن الفراق ؟.

المقدمة

قبل الإسلام، كانت أغنى وأبرز بلدةٍ في
الإمبراطورية الفارسية الساسانية هي قُطْسِيفون
(المَدائن أو سلمان باك)، وهي بلدةٌ عراقيةٌ تقعُ في
جنوبِ شرقِ بغداد، وليست في بلادِ فارس. سلمان
باك بلدةٌ عراقيةٌ جنوبَ بغداد، وقد دُمجت
حاليًا مع مدينةِ المدائن. وأصلها يعود إلى مدينةِ
قُطْسِيفون، التي بناها الإغريقُ قبل الميلاد، ثم
ورثها الفُرسُ، واستمرت مركزًا رئيسيًا للبلاد حتى

حلّت محلّها بغدادُ في القرنِ الثامنِ الميلادي. وقد
سُمّيت باسمِ الصّحابيِّ الجليلِ سلمانِ الفارسي،
المدفونِ فيها.

وكانت لغةُ العلمِ والأدبِ آنذاك هي السُّريانية
واليونانية، وليست الفارسية. وبالطبع، لا أتحدث
هنا عن الدين؛ إذ كان دينُ الدولة هو الإسلام،
وليس الزرادشتية أو المجوسية، لذلك لم تحتفظ
الدولةُ الجديدة بدينِ الإمبراطوريةِ الفارسية.

أما الخطُّ المستعملُ في كتابةِ اللغةِ، فهو الخطُّ
العربي. ويكفي للدلالة على ذلك أن علّمَ إيرانَ
تتوسطه كلمةُ "الله" باللغةِ العربيةِ وبالحرفِ
العربي، وإن كان يُقالُ إن الشعارَ المرسومَ في العلمِ
الإيرانيِّ يُشبهه السيخ. كما أن الخطَّ الأبيضَ

الذي يتوسط العلم الإيراني تعلوه وتليه عبارة
"الله أكبر" مكتوبة بالخط العربي. وتجدد الإشارة
إلى أن ٤٠٪ من مفردات اللغة الفارسية ذات
أصول عربية.

كما أن أغلب الأسماء في المجتمع الإيراني هي
أسماء عربية، مثل: محمد، وعلي، وأكبر،
وأصغر، وسيد، وفاطمة، وزهراء... إلخ... **فأين
يكمن العداء والكراهية لأيران؟**

أولاً: أين تكمن قوة أيران اليوم؟

طوال القرون السابقة، كانت الدول المسيحية
الأوروبية تتدخل في شؤون الطوائف المسيحية
الأخرى ضمن الأراضي العثمانية. فقد أعرب
الاتحاد الروسي عن حمايته للأرثوذكس، وكذلك

فعلت الجمهوريّة الفرنسيّة مع الكاثوليك.
وبسبب قلّة عدد البروتستانت في الشّرق الأدنى،
وسّعت المملكة المتّحدة حمايتهم لتشمل اليهود
أيضًا.

وما زال الاتّحاد الرّوسيّ إلى اليوم يمثّل دورَ
الحامي للأقليات المسيحيّة في سوريا، ويبدو أنّه
وسّع نطاق دفاعه ليشمل الكاثوليك والعلويّين.
كذلك، تعمل فرنسا على تدعيم علاقتها مع
مسيحيّ الشرق.

تلك الدّول - روسيا، فرنسا، والمملكة المتّحدة -
ليس لها وجودٌ مباشرٌ في الدّين القبطيّ، إلّا أنّها
أوجدت كبرى أماكن تحصّن الأقباط بفضّل قوّتها
العسكريّة والاقتصاديّة والسّياسيّة. وبالطريقة

نفسها، تجسّد روسيا موطنًا للأقباط الأرثوذكس،
وفرنسا للمسيحيين الكاثوليك.

وينطبق هذا النهج على إيران، على الرغم من أنها
تحمل أفكارًا دينية - مذهبية تتعلق بالشيعة.
ورغم أن أبرز المزارات الشيعية تقع في جمهورية
العراق والمملكة العربية السعودية، إلا أن إيران
تعدّ أضخم وأقوى دولة شيعية والأكثر تأثيرًا على
مدى الخمسة قرون الماضية.

فمنذ وصول الصفويين إلى الحكم، انتهج حكام
إيران سياسة تدعم المذهب الشيعي، وأعلنوه
مذهبًا رسميًا للبلاد. وقد فرضت الحكومات
الإيرانية المتعاقبة هيمنتها على الطوائف
الشيعية التي كانت تحت حكم العثمانيين في

العراق ولبنان، وامتدّ تأثيرها إلى سوريا واليمن الجنوبي.

واليوم تكمنُ قوّة إيران في مساحتها الكبيرة (١,٦٤ مليون كيلومتر مربع) وعدد سكانها الكبير نسبياً (٨٥ مليون نسمة)، إلى جانب مواردها الطبيعيّة الوفيرة وموقعها الاستراتيجي. فالنظام الإيراني، المتمثّل في "الجمهورية الإسلاميّة"، طمّوحٌ جدّاً، وقد استثمر موارده لتطويع قوّته العسكريّة وممارسة النفوذ على العديد من الدّول المجاورة، مستغلاً الأزمات التي عصفت بالمنطقة.

إيران أيضاً دولةٌ قديمةٌ، فقد كانت إمبراطوريّةً خلال القرون الخمسة الماضية، في وقتٍ كانت

معظم دُولِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ الحَالِيَّةِ غيرَ مَوجودة،
باستثناءِ الدَّولةِ العُثمانيَّةِ (تركيا).

ثالثاً: وهل لديها صواريخ نووية؟

إيرانُ لديها صواريخُ قادرةٌ على حملِ رؤوسِ نوويَّة،
لكنَّ مسألةَ امتلاكِها سلاحاً نووياً من عدمه تبقى
غامضةً. فرغمَ التَّصريحاتِ الصَّاخبةِ من
المخابراتِ الأمريكيَّةِ والأوروبيَّةِ والإسرائيَّيةِ، لا
يزالُ البرنامجُ النوويُّ الإيرانيُّ يكتنُفُه الغموضُ
إلى حدِّ كبير.

هناك من يعتقدُ أنَّ إيرانَ حصلتْ على رؤوسِ
نوويَّةٍ في وقتٍ ما عام ١٩٩٢، وفقاً لتقريرِ نشرته
صحيفةُ جيزروزاليم بوسست عام ١٩٩٨. ويُعتَقَدُ
أنَّ إيرانَ قد حصلتْ على عدَّةِ رؤوسِ نوويَّةٍ من

إحدى الجمهوريات السوفيتية السابقة في أوائل
تسعينيات القرن الماضي، كما أكد خبراء روس،
وفقاً لوثائق نُقلت إلى إسرائيل وحصلت عليها
جيروزاليم بوست.

الوثائق التي يتمُّ دراستها حالياً في إسرائيل
اعتبرها خبراء في الكونغرس الأمريكي أصلية،
وتحتوي على مراسلات بين الحكومة الإيرانية
ومسؤولين وقادة في الحرس الثوري الإيراني،
يناقشون فيها جهود إيران الناجحة في الحصول
على رؤوس نووية من جمهوريات الاتحاد
السوفيتي المنحل.

وقال مصدر إسرائيلي كبير: "في هذه المرحلة، لا
يمكننا الجزم بما إذا كانت هذه الوثائق حقيقية،

لكنّها تبدو حقيقيةً إلى حدٍّ مروعٍ". وأكّد مستشارُ
للحكومةِ الأمريكيّةِ صحّةَ المستنداتِ، قائلاً: "إنّها
حقيقيّةٌ، وقد امتلكناهما منذ سنواتٍ". ويبدو أنّ
الوثائقَ تدعمُ تقاريرَ تعودُ إلى عامٍ/ ١٩٩٢ بشأنِ
تلقي إيرانِ يورانيومٍ مخصَّبٍ وما يصلُ إلى أربعةِ
رؤوسِ نوويّةٍ من جمهوريةِ كازاخستانِ بمساعدةٍ
من روسيا.

منذُ سنواتٍ طويلةٍ، يُشاركُ علماءُ إيرانيّون في
اختباراتٍ نوويّةٍ تُجرىها كوريا الشّماليّة. ويعتقدُ
بعضُ المسؤولينِ الأمريكيّين أنّ كوريا الشّماليّة قد
تكونُ أجرتْ اختباراتٍ لصالحِ البرنامجِ الإيرانيِّ
على أراضيها، إذ ترغِبُ طهرانُ في الحفاظِ على
سريّةِ برنامجِها النوويِّ قدرَ الإمكان.

ويُقَدَّر رئيسُ وكالةِ المخابراتِ المركزيَّةِ الأمريكيَّةِ
السَّابقِ، جيمس ولزي، في تقريرِ له عامٍ /٢٠٢١،
أنَّ إيرانَ تمتلكُ سلاحًا نوويًّا. وجاء في قوله: "نحنُ
نُقدِّرُ، من خلالِ تقاريرِ الوكالةِ الدوليَّةِ للطاقةِ
الذريَّةِ التابعةِ للأممِ المتَّحدةِ ومصادرٍ أخرى، أنَّ
إيرانَ قد تكونُ بالفعلُ تمتلكُ أسلحةً نوويَّةً".

قبل عامٍ /٢٠٠٣، كانت إيرانُ تُصنِّعُ مكوّناتِ
الأسلحةِ النوويَّةِ، مثل صواعقِ أسلاكِ الجسرِ
وبادئِ النيوتروناتِ، وتُجري تجاربَ تفجيريَّةَ غيرِ
انشطاريَّةَ لجهازِ نوويٍّ مُتفجِّرٍ داخليًّا، إضافةً إلى
العملِ على تصميمِ رأسٍ حربيٍّ نوويٍّ لصاروخِ
شهاب-٣.

ويعتقدُ ولزي أنّ إيرانَ أبقت مشروعهَا سرّيًا بسبب إحاطتها بدُولٍ مواليةٍ لأمريكا، على عكس كوريا الشماليّة التي تحظى بحمايةٍ قوّتين نوويّتين معاديتين لأمريكا، وهما الصينُ وروسيا.

أما عن السّببِ الذي يمنعُ الولاياتِ المتّحدةَ من احتلالِ إيرانَ كما فعلت مع العراقِ عام/٢٠٠٣، فهو لا يعودُ إلى عدمِ القُدرة، بل إلى التّكاليفِ الباهظة؛ إذ يُتوقّع أن تصلَ الخسائرُ إلى أعالي جبالِ زاكروس!.

رابعاً: موقفهم من القضية الفلسطينية

ذكرت وسائلُ إعلامٍ رسميّةٍ إيرانيّة أنّ المرشد الأعلى للثورة الإيرانيّة، آية الله (علي خامنئي)، ناشدُ بلداناً إسلاميّة ترتبطُ بعلاقاتٍ سياسيّة مع

إسرائيل أن تقطع هذه العلاقات، ولو "لفترة محدودة" على الأقل. جاء ذلك بعد أسابيع من دعوته إلى فرض حظرٍ على إيصال النفط والمواد الغذائية إلى إسرائيل من البلدان الإسلامية.

وقال خامنئي: "بعض الحكومات في البلاد الإسلامية استنكرت الجرائم الاحتلالية في تجمعاتها، والبعض الآخر لم يفعل ذلك، وهذا غير مقبول". وأكد مجددًا ضرورة أن تمتنع الحكومات الإسلامية عن إرسال إمدادات الطاقة والبضائع إلى إسرائيل.

وأضاف: "على الحكومات في البلاد الإسلامية أن تقطع على الأقل علاقاتها السياسية مع الكيان اليهودي، ولو لفترة محدودة".

جاءت هذه التصريحاتُ أثناء حضورِ خامنئي
معرضَ إنجازاتِ القوّةِ الجوّيةِ - فضائيّةِ التابعةِ
للحرسِ الثوريِّ الإيراني، والذي تضمّن الكشف
عن صاروخ فتاح ٢، وهو نسخةٌ جديدةٌ ممّا يُقال
إنّه أوّل صاروخٍ إيرانيٍّ فرطُ صوتيّ.

واليوم، يقدم نتنياهوهاونفسه كزعيم تاريخي
لإسرائيل والشعب اليهودي، وهو ليس قائداً
أيضاً، ولا زعيم تاريخي، وصمة العار والفشل
ستظل تطارد نتنياهوهاوإلى الأبد... فكيف
سيتخلص نتنياهوهاو من هذه الوصمة.

هذه الوصمة في تاريخ نتنياهوهاو يجب أن تُمحي
بانتصار عسكري يعادلها أو أكبر منها... كيف؟.

تتمثل الأهداف الرئيسية الحالية لرئيس الوزراء
نتنياهو، أولاً وقبل كل شيء، في جذب الولايات
المتحدة إلى حرب ضد إيران، بحيث تكرس
الولايات المتحدة جهودها لتدمير إيران، بينما
تتعاون إسرائيل مع الولايات المتحدة، أو تدمر
بمفردها حزب الله وحماس.

من المهم أن تحذو حذو الشخص الذي يكرس
نفسه لشيء ما، وهذا يعني أنه عندما تصل
إسرائيل إلى النقطة التي تهدد فيها وجودها
بالحرب، فإنها ستضغط على الولايات المتحدة
لتدمير المحور الشيعي، الأمر الذي سيجبر الولايات
المتحدة تلقائياً على تدمير المحور الإيراني

وإجبارها على التورط بشكل مباشر وكامل في حرب
طويلة الأمد.

لذلك، وبالنظر إلى ما سبق، فمن المرجح أن
يتوجه نتيها هو إلى سوريا ويبدأ حرباً معها.
واستفزاز المحور الإيراني برمته، ستشدد الحرب
وتشدد، وتشعل المنطقة كلها، وستستمر حتى
يلجأ اليهود إلى أمريكا والدول الغربية طلباً
للمساعدة.

خامساً: حلفاء إيران الاستراتيجيين

نعم، تمتلك إيران حلفاءً ونفوذاً في العراق وسوريا
ولبنان واليمن الجنوبي، لكن أحداً منهم لا يعتمد
على إيران كشريان حياة. فعلى سبيل المثال،
تعتمد الحكومة العراقية على دعم الأغلبية

الشيعة في البلاد، ولديها علاقات قويّة مع الولايات المتحدة وأوروبا والدول العربية. كما أنّ سقوط النظام في إيران، إنّ حدث، سيُعزّز علاقات العراق مع الولايات المتحدة والدول العربية، ويُقوّي سطوة رجل الدين الشيعي البارز **مقتدى الصدر**، الذي يُعدُّ مستقلاً عن طهران. إضافةً إلى ذلك، سيزيدُ من مكانة مرجعية النجف الدينية المتمثلة بعليّ السيستاني. ربما سيخدم سقوط النظام في إيران الحكومة التي يقودها الشيعة في بغداد ويعزّزُ من مكانة العراق الإقليمية تحت قيادتها.

من الممكن أن يخدم سقوط النظام في إيران مصلحة حاكم سوريا (بشار الأسد) إذ سيساعدُ في

عودة سوريا إلى الجامعة العربية، وتقييم دول عربية عديدة من بينها الإمارات العربية المتحدة علاقات جيدة مع دمشق، ولكن لا تزال السعودية تعارض عودة سوريا إلى الجامعة العربية.

نعم، رحيل إيران عن سوريا سيغير هذا الحال، وسيدفع بالرياض إلى التصالح مع دمشق، كما أنه سيُنهي الغارات الجوية الإسرائيلية المستمرة التي تستهدف المصالح الإيرانية في سوريا.

• **سوريا:** في سوريا يُعتبر نظام الرئيس (بشار الأسد) هو الحليف الأبرز لـ طهران، إلا أنه يعتمد بشكل رئيسي على الدعم من روسيا التي تتدخل في سوريا عسكرياً منذ عام ٢٠١٥، وقلبت الحرب لصالحه.

• **اليمن:** أما في اليمن، فبالكاد يتلقى الحوثيون الذين يسيطرون على صنعاء دعمًا من إيران، وتشير بعض المصادر إلى تواجد ٤٠ مستشارًا إيرانيًا في اليمن، وهو عددٌ صغيرٌ جدًا ولا تأثر له على وضع القوى المتصارعة في اليمن.

ويمكن أن يُخدم سقوط نظام إيران الحوثيين في حال استخدمته السعودية كذريعة لإنهاء حملتها العسكرية المكلفة ضد الحوثيين التي بدأت عام ٢٠١٥/، ولكن من الصعب توقُّع ما يمكن أن يحصل

يُعتبر الحوثيون أقوى بكثيرٍ من حلفاء الرياض، لكن لا يزال هناك المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم من الإمارات، والذي يسيطر على جنوب

البلاد، ويبدو أنه سيكون خصمًا أصعب بالنسبة
للحوثيين.

• **حزب الله اللبناني:** بالنسبة لحزب الله في لبنان،
فهو مرتبط أكثر بمصير النظام السوري في دمشق.
ولم يكن ليكون حزب الله موجودًا لولا دعم سوريا
له خلال الثمانينات من القرن العشرين في عهد
الرئيس السوري الراحل (حافظ الأسد). ولا
يُغفل أن كل الدعم الإيراني الذي وصل إلى حزب
الله كان يمر عبر مطار دمشق الدولي، وتحت
إشراف السلطات السورية. لذلك سيكون حزب
الله أكثر ارتباطًا بسوريا في حال انهيار النظام
الإيراني في المستقبل البعيد.

• حماس والقضية الفلسطينية: إليكم بعض

المعلومات السريعة حول الموضوع:

١- حماس (اختصاراً لـ حركة المقاومة الإسلامية)

انبثقت من حركة الإخوان المسلمين في مصر..

حركة إسلامية سنية.. ثم انفصلت عنها عام

٢٠١٧.. مؤسسها الشيخ (أحمد ياسين) الذي

اغتالته إسرائيل وهو مقعد.

٢- حماس ترفض الاعتراف بإسرائيل وتؤمن

بالنضال المسلح وسيلة لاسترجاع الحقوق

المسلوبة، لذلك شنت حرب ضروس ضد

إسرائيل اعتباراً من ٧ أكتوبر، تشرين الأول

٢٠٢٣.

٣- مع قيام السلطة الفلسطينية عقب مُحادثات السلام، تسلّم الفلسطينيون غزّة والضفة الغربية.. قادَ عملية التفاوض حركة فتح كمُمثِّل عن الفلسطينيين آنذاك.

٤- أُقيمت انتخاباتٌ تشريعيةٌ عامَ ٢٠٠٧ فازت فيها حماسٌ وخسرت فتح.. رفضت فتح تسليم السلطة لحماس ودعمَ موقفها كُلُّ دول العالم العربية والغربية.. أدّى هذا إلى انقسام السلطة الفلسطينية بين فتح في رام الله.. التي تُريد الحفاظ على (مكتسبات) اتّفاقيات السلام.. وبين حماس في غزّة التي ترفض الاعتراف بالاحتلال.

تقدّم إيران الأسلحة وتقنيات الصواريخ لحركة حماس الفلسطينية المتمركزة في قطاع غزّة

والمعادية لإسرائيل، كما أنّ إيران هي الداعمُ
الرئيسيُّ لحزبِ الله اللبناني، الذي يُعتبرُهُ
العسكريُّون الإسرائيليُّون أكبرَ خطرٍ على الدولةِ
اليهودية، مع ١٥٠ ألف صاروخٍ تحت سيطرته.

سادساً: الاستنتاجات

قامت الولايات المتحدةُ بغزو العراقِ عامَ /٢٠٠٣
وأطاحت بنظامِ (صدام حسين ١٩٧٩-٢٠٠٣)
الذي كانت علاقتهُ سيئةً جداً مع إيران. استفادت
إيرانُ من هذه الجزئيةِ لكن لم تكن الوحيدة.
الغزو الأمريكيُّ للعراقِ أراح دولةَ الكويتِ التي
كانت تشعرُ بالقلقِ من نظامِ - صدام حسين -
الذي حوّلها إلى محافظةٍ عراقيةٍ في ١١ محرمَ
١٤١١هـ / ٢ أغسطس / آب ١٩٩٠. استغرقتُ

العملية العسكرية يومين وانتهت باستيلاء
القوات العراقية بالكامل عليها، كما مكّن الأكراد
في شمال العراق من توطيد حكمهم الذاتي
واستقلاليتهم عن بغداد، كما حوّل الانهيار الأمني
الذي تبّع الغزو الأمريكي للعراق أرضاً مناسبة
للجهاد بالنسبة للإسلاميين والمتطرفين السنة من
أمثال داعش والقاعدة، بمعنى انتفعت عدّة
أطراف من سقوط نظام - صدام حسين - وليس
إيران فحسب.

إذن، أميركا لم تُسلم العراق لإيران أو أية بلد آخر
كما يتوهم البعض، لأننا لا نتحدث عن قطعة
أرض صغيرة، بل عن بلد متوسط الحجم تبلغ

مساحته ٤٣٥ ألف كم مربع، وعدد سكانه يتجاوز
الـ ٤٠ مليون نسمة.

لقد كان (نظام حزب البعث العربي الاشتراكي)
يحكم العراق قبل عام ٢٠٠٣ بقبضة من حديد،
وتألفت النخب الحاكمة من يروقراطيين وضباط
عسكريين كبار، معظمهم من أهل السنة
والجماعة، وعلى وجه التحديد من عائلة (صدام
حسين المجيد ١٩٣٧-٢٠٠٦) وبقيّة أفراد عشيرته
الأقربين.

من جهة أخرى، معظم سكان العراق هم من
الشيعة، وأقوى الأحزاب العراقية المعارضة هما
حزب الدعوة الإسلامية والمجلس الأعلى للثورة

الإسلامية من الشيعة أيضًا، وبالتحديد من
الإسلاميين.

بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، عاد
هؤلاء الإسلاميون الشيعة من منفاهم في إيران
وسوريا وبريطانيا، وشكّلوا إلى جانب أحزاب أخرى
النخبة الحاكمة.

ولأنّ الشعب العراقي ذو أغلبية شيعية ذات ميول
إسلامية، وصلت هذه الأحزاب إلى الحكم عن
طريق أول انتخابات حرة وشرعية في ١٥ كانون
الأول ٢٠٠٥. كانت إيران، وهي دولة يحكمها
الإسلاميون الشيعة، — وبشكل غير مُفاجئ —
أول من يعترفُ بنظام حكم ما بعد عام ٢٠٠٣.

بعكس الدول العربية السنية التي كانت قلقةً من صعود الشيعة للحكم في العراق، بشكلٍ عام، كانت النخبة السياسية في العراق وإيران مكوّنةً من رجال دينٍ شيعةٍ يعتقدون أنّ الحدود لا تفصلُ بين البلدين، ويضعون الدينَ فوق كلِّ شيءٍ.

إذن، قوّة إيران تكمنُ في مكانٍ آخر، وبعد أن خاضت حربًا قاسيةً وموجعةً لمدةٍ ثمانِ سنواتٍ مع العراق في عقدِ الثمانيناتِ (١٩٨٠-١٩٨٨) من القرنِ العشرين، فقد أصبحتُ على معرفةٍ تامةٍ بالتضاريسِ الطبيعيةِ والسياسيةِ لأرضِ العراق، كما أصبحتُ قادرةً على الاحتفاظِ بوجودِ

استخباراتيّ نشطٍ في جنوبِ العراقِ وفي بغدادِ
العاصمةِ وكردستانِ العراقِ.

وتشتملُ أذرعُ النفوذِ الإيرانيّ على شبكةٍ واسعةٍ
الانتشارِ من الفصائلِ المسلحةِ والمخبرينَ
المدفوعينَ الأجرِ، وفيلقِ الحرسِ الثوريّ الإيرانيّ،
والدعايةِ الدينيةِ الممولةِ بواسطةِ الدينارِ العراقيّ
الواردِ من التجارةِ بينَ البلدين.

ويتمثلُ الأمرُ الأكثرُ أهميةً في أنّ إيرانَ حاولتْ
التأثيرَ على العمليةِ السياسيةِ في العراقِ من خلالِ
تقديمِ المساندةِ، وعلى الخصوصِ (المجلسِ الأعلى
للثورةِ الإسلاميةِ في العراقِ (SCIRI)). في حين أنّ
سجلَ محاربةِ الإرهابِ الداعشيّ يُوحي بوجودِ
حافزٍ إيرانيّ راسخٍ للتدخلِ المباشرِ وغيرِ المباشرِ في

العراق، ولكن بتناغمٍ ضئيلٍ، وبالتالي بتأثيرٍ لا قيمة له على المجتمع العراقي، ويعودُ سببُ ذلك إلى وجودِ شكٍّ واستياءٍ عميقٍ لدى العديدِ من العراقيين تجاهَ جارتهم الإسلامية التي يُطلقُ عليها البعضُ من بابِ التندرِبِ (الأرجنتين).

سابعاً: الخاتمة المفيدة

زُرْتُ إيرانَ أكثرَ من سبعينَ مرةً منذ سقوطِ نظامِ صدامَ حسينَ المجيدِ عامَ /٢٠٠٣ حتى اليومَ، وهي زياراتٌ ممتعةٌ ورخيصةٌ الثمنِ إذا ما قورنتُ بدولِ سياحيةٍ أخرى. يكفي أنني حينما وطئتُ قدمي أرضَ إيرانَ كان سعرُ صرفِ التومانِ الإيرانيِّ مقابلَ الدولارِ يساوي ٣٠٠ تومانٍ لكلِّ ١٠٠ دولارٍ، وعندَ آخرِ زيارةٍ لي أصبحَ سعرُ الصرفِ ٥٠٠٠

تومانٍ لكلِ ١٠٠ دولارٍ. تصوّر تراجمَ التومانِ
بنسبةٍ ١٠٠٠ بالمئة أمامَ الدولارِ.

ولكي نكونَ واقعيينَ، يجبُ أن نفهمَ أن إيرانَ
متعددةُ الطوائفِ والأعراقِ. قد يتصورُ البعضُ
أنها شيعيةٌ مطلقةٌ، أو فارسيةٌ مطلقةٌ، ولكن
واقِعَ الحالِ يقولُ إن هناكَ أكثرَ من ١٠ ملايين
سنيٍّ في إيرانَ. وما سأكتبه لن أستندَ فيه على
كتبٍ أو مصادرَ، بل بناءً على ما شاهدتهُ ولمستهُ
بنفسي. شاهدتُ بنفسي تقريبًا أكثرَ المدنِ
الإيرانيةِ، واطلعتُ على التراثِ الشعبيِّ والطبائعِ
والتقاليدِ هناكِ.

وبصورة عامة تجد في ايران القوميات الآتية :-

- الأتراك : وهم أكثرُ من الفرسِ أنفسهم، وتجدهم ذوي سلطةٍ وإمكانيةٍ ماديةٍ وثقافيةٍ عاليةٍ. الخامنئيُّ نفسه، وهو المرشدُ والقائدُ الأعلى في إيران، وصاحبُ الصلاحياتِ الواسعةِ من أصولٍ تركيةٍ. يتواجدون في محافظاتٍ : أذربيجانَ الغربيةِ، وأذربيجانَ الشرقيةِ، وأردبيلَ، وزنجانَ، وقزوینَ، وخرسانَ شماليِّ، وهم يمثلون ٣٥ بالمئة من التعدادِ العامِّ في إيران.

وتجدُ أن مدينةَ تبريزَ، وهي تقعُ في أقصى الشمالِ الغربيِّ من إيرانَ وملاصقةً لتركيا، مدينةٌ صناعيةٌ عملاقةٌ في كلِّ شيءٍ.

● الفرس : يتركزون في مدن: طهران، وأصفهان، ومشهد، وشيراز، ويزد، وكرمان - وهم تقريبًا يمثلون ٣٣ بالمئة من الإيرانيين. وتتميز تلك المدن بعرقٍ إيرانيٍّ أصيلٍ، وانتماءٍ للدولة، كونها مناطق دينيةً تنتشرُ فيها العمائمُ والحوزاتُ الدينيةُ الداعمةُ لرجال الدين والجمهورية الإسلامية.

● الکرد : يتواجدون في غرب إيران في محافظات: كردستان، وكرمنشاه، وإيلام، وجنوب غرب أذربيجان - وعلى طول المدن الحدودية مع العراق، ويمثلون ١٠ بالمئة. وهم دائمًا ما كانوا يسلبون الأرق والمشاكل للحكومة.. مجاهد وخلقٍ والانفصاليون دائمًا ما يكونون من الأكراد. والتلفزيون الإيراني يعرض بشكلٍ دائمٍ لقطاتٍ

لمحاولاتٍ إرهابيةٍ فاشلةٍ، ومصادرةٍ أسلحةٍ
ومعداتٍ حربيةٍ، ومخططاتٍ ضدَّ الدولة.

● البلوش : وهم في محافظة سيستان وبلوجستان،
في جنوب شرق إيران، على حدود باكستان
و أفغانستان، ويمثلون ٥ بالمئة. وبأعدادٍ قليلةٍ في
محافظةٍ : هرمزكان، وكرمان، وخرسان. وهم
فقراءٌ ويعيشون في مناطق صحراويةٍ، ويُعتبرون
من أضعفِ الحلقاتِ في المجتمع الإيراني.

● اللر : يتركزون في محافظات: لرستان، و جهار
محل، وبختياري، وكهكوية، وبوير أحمد، وأطرافِ

الأهواز، ويمثلون ٥ بالمئة. وهم أقلُّ عددًا وتأثيرًا،
وهم موالون تمامًا للحكومة.

● العرب: في محافظة خوزستان، عاصمتها الأهواز،
وعلى طول سواحل الخليج العربي في مدن
هرمزكان، وبوشهر، وأقلية في مشهد وقم،
ويشكلون ما يقرب من ٧ بالمئة. ويشعرون بأنهم
مواطنون من الدرجة الثالثة، وهم متذمرون
دوماً، وليسوا على وفاق مع الحكومة. نعم، هم
إيرانيون ويمتلكون الجنسية الإيرانية، ولكن
دائماً هناك تدمرٌ قوميٌّ وشعورٌ بعدم الرضا من
الحكومات الإيرانية المتعاقبة لأسبابٍ إثنية، مع
تفشي البطالة وكثرة المتسولين في الشوارع

والأسواق العامة رغم توافر حقول النفط والغاز
فيها.

والبعض منهم يتلقى الأموال والدعم الخارجي
لترسيخ روح التمرد والنّعة القومية والقبلية
عندهم. وهم على استعداد دائم للثورة ضد
النظام.. شخصياً لم أسمع يوماً أهوازيماً يمدح
الحكومة، هم يحبون الرئيس العراقي الراحل
(صدام حسين ١٩٣٧-٢٠٠٦) أكثر من قادة
دولتهم، وحرب العراق مع إيران (١٩٨٠-١٩٨٨)
حرب مقدسة عندهم. أرجو أن لا يغضب كلامي
أحد، ولكن هذا ما شاهدته بنفسي وسمعتُه من
خلال معاشتي لهم.

• بقية متنوعة: من الزرادشتية والعلوية واللاهية
والمسيح واليهود والأرمن وغيرهم يمثلون ٥ بالمائة
تقريباً .

النسيج معقد ومتنوع ولكن الكل بلا استثناء
يتميز بما يلي :

• عنصرية واضحة لإيران كبلد، وهم يعتبرون
أنفسهم أصحاب إمبراطورية حكمت العالم
والجميع تابع لهم. رغم كل محاولات التدمير
والسخط والاضغوط الاقتصادية التي حطمت
معنويات الشارع الإيراني، ولكن عند الجدّ تجد
أن البدائل معدومة، وليس هناك جهة حقيقية
من الممكن أن توفر بديلاً ناجحاً للحكومة الحالية.

(أردشير زاهدي ١٩٢٨-٢٠٢١) (٣٠) زوج بنت الشاه
(محمد رضا بهلوي ١٩١٩-١٩٨٠) ووزير خارجيته
وسفيره في أمريكا، هرب من إيران بعد ثورة الإمام
الخميني / ١٩٧٩ وعاش في المنفى. بعد مقتل
الجنرال (قاسم سليمان ١٩٥٧-٢٠٢٠) على يد
أمريكا في مطار بغداد، هنا المفترض من أردشير أن
يفرح بهذا الحدث، لكنه لم يفعل ذلك، وقد نعى
اللواء سليمان بقوله :

(سليمان كان جندياً وطنياً شريفاً، وأمريكا هي
الإرهابي الأكبر) وقال: إنه جنرال وقائد عظيم مثل
الجنرال شارل ديغول ومونتغمري والجنرال
أيزنهاور والجنرال رومل. أردشير الذي فقد عزاً

(٣٠) أردشير زاهدي، هو سياسي ودبلوماسي إيراني شغل منصب وزير خارجية البلاد من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧١، وسفيرها في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين. وهو زوج شاهيناز بهلوي.

الملوكية والسلطة والحكم، هكذا ينعى جنرالاً من نظام معارضٍ له، حرمة وأقصاه من السلطة والنفوذ.

• الكل يريد التغيير ولكن لا يجرؤ عليه أحد، وبالخصوص عندما يشاهدون ما حصل في العراق وسوريا وليبيا وبعض الدول التي أرادت الديمقراطية، وقامت بثوراتٍ لتغيير أنظمة الحكم فيها، لكنها لاقت الويلات والخراب.

• تجمعهم لغةٌ أطلقوا عليها - اللغة الفارسية - والتي نشأت عن تفاعل اللغة الهلوية باللغة العربية، والتي سميت بـ (الفارسية الدرية) أو (الفارسية الإسلامية)، وهي تمثل اللغة الفارسية الحديثة التي تطورت إلى اللغة الفارسية المعروفة

اليوم. لذلك تجدُ فيها مفرداتٍ عربيةً قد تشكّل
٤٠ بالمئةٍ منها.

وكانت - اللغةُ الدرية - من اللغاتِ المستخدمةِ
بنطاقٍ ضيقٍ في إيران، فقد كان يتحدثُ بها في
بلاطِ الساسانيين، كما كان يتحدثُ بها أيضاً أهلُ
المدائنِ (طيسفون) عاصمةِ إقليمِ فارسٍ ومقرِّ
حكمِ الساسانيين آنذاك.

● طهرانُ وأصفهانُ ومازندران، وهي محافظةٌ في
وسطِ وشمالِ إيران، تجدُهم منفتحينَ على
الغرب، لأنهم من الأثرياء والطبقاتِ الغنية، وهم
يحنونَ إلى أيامِ الشاهِ (محمد رضا بهلوي ١٩١٩-
١٩٨٠) ويعتبرونَ النظامَ الحاليَّ متخلفاً وكابحاً

للحريات العامة، وبعيداً تماماً عن المجتمع المدني المتطور.

الخلاصة: الشيعة في العراق بعقليات متنوعة،

الجزء الأعظم منهم عراقيون أكثر مما هم شيعة

مذهبيون، منهم العلمانيون والليبراليون وحتى

الشيوعيون، ومنهم من يمتلك أولويات وطنية

تتأثر بكونها شيعية وتنعكس في آرائهم

واتجاهاتهم، ولكن بدون تبعية أو انتماء لإيران،

إذ إن هناك العديد ممن ينحازون لإيران من

منطلق الشعور بأن هذا فيه خير للعراق، أي ليس

حبا في إيران، لكن هي حسابات المصالح والمنافع

الوطنية.

وهناك جزء لا يُستهانُ به ممن يمتلكون عقليةً
مختلفةً تجاه هذا الموضوع، هم يعتبرون إيرانَ
تمثُّلُ الواجهة الوحيدة للمذهبِ الشيعيِّ في
العالم، وبالتالي يأخذُ الأمرُ من بابِ الحكمِ الشرعيِّ
وضرورةِ إبراءِ الذمَّةِ أمامَ الله، لهذا تنتفي في
تفكيرهم وعقليتهم مسألةُ الوطنِ والعراقِ، في
تصورهم أنَّ الموضوعَ يمثلُ الإسلامَ فقط،
والإسلامُ رسالةٌ عالمية، لهذا حسبَ تصورهم فإنَّ
الإسلامَ أهمُّ من البلدِ، وليس لديهم مانعٌ أن
يقاتلوا تحتَ رايةِ الإسلامِ المتمثِّلِ بإيرانَ الشيعيةِ
حتى لو كان الخصمُ العراقيُّ ابنَ جلدتهم، لأنَّ
بسطاً الدينُ فوقَ كلِّ شيءٍ حسبَ ادعائهم
ورؤيتهم.

وهناك جزء، رغم أنه شيعي، إلا أنه يكره إيران كراهية عميقة، لن ينسى أبداً حرب الثمان سنوات (١٩٨٠-١٩٨٨)، وهو ينسب كلّ قبيح في الدولة إلى إيران. هم يتهمون إيران بأنها سبب دمار العراق، وأنها المستفيدة الكبرى من وضعيّة الشلل والخسائر في جميع مفاصل الحياة في جمهورية دولة العراق الحالية.

٤٠- تحليل للواقع الاقتصادي في العراق بعد

انتهاء الاعتماد على البترول.. تحديات وفرص.

المقدمة

الوقود الأحفوري : موادّ أولية تُستخرج من باطن الأرض، تُستعمل لإنتاج طاقة تُستخدم في كافة المجالات كالقحم الحجريّ، والقحم، والغاز

الطبيعيّ، والنفط الخام، ولا يزال الوقود الأحفوريّ يمثّل أكثر من ٨٠ بالمئة من إنتاج الطاقة العالميّ، لكنّ مصادر الطاقة الأنظف تزداد قوّة، حوالي ٢٩ بالمئة من الكهرباء تأتي حاليّاً من مصادر متجدّدة.

ويُعدّ النفطُ من الموارد الاقتصادية الحيويّة في العديد من الدول، ومن بين هذه الدول العراق، الذي يمتلك احتياطات هائلةً من النفط الخام، ورغم ثرواته البتروليّة، يعاني العراقُ من تبعات عدّة تجعله بحاجةً للتنوّع في اقتصاده والتخلّص من الاعتماد الشديد على النفط.

في عام ٢٠٢٣ كان الأكثر حرارةً على الإطلاق بالنسبة لكوكب الأرض، وكان أيضاً العام الأكثر

ربحيةً على الإطلاق بالنسبة للمستثمرين
المساهمين في شركات الوقود الأحفوري.

ويُعتبرُ الوقودُ الأحفوريُّ أكبرَ مساهمٍ في أزمة
المناخ التي تدفعُ المجتمعاتِ إلى مواجهةِ الظواهرِ
الجويّةِ المتطرّفةِ المدمّرةِ في كلّ أنحاءِ العالمِ،
ومجتمعاتنا بدأت بالفعل تختبرُ هذا الدمارَ، إن
كان في الحرائقِ المستعرةِ بوتيرةٍ أسرعِ أوفى الكارثةِ
التي عصفتُ بأهلينا في ليبيا في أعقابِ العاصفةِ
دانيال، تلكَ التي أجبرتُ أكثرَ من ٤٤ ألفاً ناجٍ على
النزوحِ قسراً بسببِ الفيضاناتِ الشديدةِ.

أهداف البحث :

يهدفُ هذا البحثُ المُختصُّ إلى تحليلِ الواقعِ
الاقتصاديِّ في العراقِ بعد انتهاءِ الاعتمادِ على

البتـرول، ومعرفة التحديات التي تواجهه،
والفرص المتاحة لتنويع مصادر الدخل.

فقد توصلت الدولُ المجتمعَةُ في قمة المناخ ٢٨
المنعقدة في دبي بالإمارات، خلال الجلسة العامة
الختامية يوم الأربعاء ١٣ كانون الأول ٢٠٢٣، إلى
اتفاقٍ تاريخيٍّ بشأن التوجه نحو التخلي بشكلٍ
تدرجيٍّ عن استغلال الوقود الأحفوري.

ويهدف الاتفاق الذي توصل إليه ممثلو ما يقربُ
من ٢٠٠ دولة في مدينة دبي الإماراتية، بعد
مفاوضاتٍ شاقةٍ لأسبوعين، إلى توجيه رسالةٍ
قويةٍ إلى المستثمرين وصُنَّاع السياسات، مفادها
أنَّ العالمَ متحدٌ الآن في الرغبة في التوقف عن

استخدام الوقود الأحفوري، وهو أمرٌ يَقولُ العلماءُ إنَّه آخرُ أملٍ لدرءِ كارثةِ التغيرِ المناخي.

نتائج البحث:

الوقودُ الأحفوريُّ، مثلَ الفحمِ والنفطِ والغازِ، هو إلى حدٍّ بعيدٍ أكبرُ مساهمٍ في تغيُّرِ المناخِ العالميِّ، إذ يمثُلُ أكثرَ من ٧٥ في المائةِ من انبعاثاتِ غازاتِ الدفيئةِ العالميةِ وحوالي ٩٠ في المائةِ من جميعِ انبعاثاتِ ثاني أكسيدِ الكربونِ.

العلمُ واضحٌ: لتجنُّبِ أسوأِ آثارِ تغيُّرِ المناخِ، يجبُ خفضُ الانبعاثاتِ بمقدارِ النصفِ تقريبًا بحلولِ عامِ ٢٠٣٠ والوصولُ بها إلى مستوى الصفرِ بحلولِ عامِ ٢٠٥٠.

ولتحقيق ذلك، نحتاجُ إلى التخلُّصِ من اعتمادنا
على الوقودِ الأحفوريِّ والاستثمارِ في مصادرَ بديلةٍ
لِلطاقةِ تكونُ نظيفةً ومتاحةً وفي المتناولِ
ومستدامةً وموثوقةً.

أولاً: عراق بلا بترول !!!

بغضِّ النظرِ عن ما أطلقتَه مفاوضاتُ كوب ٢٨
بشأنِ التبدلِ المناخيِّ الراميةِ إلى تخفيضِ
استهلاكِ النفطِ الأحفوريِّ وإنتاجه، بأسلوبِ
عادلٍ ومنظمٍ ومنصفٍ، بهدفِ تحريِّ الحياضِ
الكربونيِّ بحلولِ عامِ ٢٠٥٠، فإنَّ ذلكَ يشكُّ
إنذاراً قبلَ فواتِ الأوانِ وشديدَ الحساسيةِ للدولِ
الريعيةِ التي تعتمدُ اعتماداً كبيراً على النفطِ، وفي
مقدمتها العراقُ الذي يهيمنُ فيه النفطُ على أكثرِ

من نصف الناتج الإجمالي، وعلى ٩٩ بالمائة من إيرادات العامة.

وهو منشأ الكسب الأساس والممول والمحرك للأنشطة الاستثمارية في العراق، تحت ضعف شبه كامل للأنشطة السلعية كالزراعة والصناعة، والتخلف المريع في القطاعات الخدمية والتوزيعية.

وإذا ما غادر العالم يوماً ما النفط، أو إذا ما نضب النفط وهو مورد غير متجدد، سوف تكون النتائج كارثية علينا: إذ ستختفي الصادرات النفطية ويهبط تبعاً لذلك الإيرادات النفطية، ويقل معدل الميزانية العامة السنوية إلى أقل من عشرة

ملياراتٍ دولارٍ، وسينهارُ الدينارُ العراقيُّ، وتتنهدني
الدخولُ الحقيقيُّ للموظفينَ وأصحابِ الدخولِ
الثابتةِ، وستتفاقمُ البطالةُ والفقْرُ، وسيصابُ
الاستثمارُ العراقيُّ بالشللِ الكاملِ.. وسيكونُ
الحالُ أسوأَ بكثيرٍ مما عاناه العراقُ في زمنِ
(الحصارِ الاقتصاديِّ ١٩٩٠ - ٢٠٠٣).

ومن هنا تأتي أهميةُ التحسبِ والعملِ الجادِّ في
إطارِ تديرِ إنماءٍ حقيقيٍّ، يُوظَّفُ فيه جزءٌ كبيرٌ من
الإيراداتِ النفطيةِ لتنويعِ اقتصادِ الدولةِ
وتنشيطِ القطاعاتِ الأخرى غيرِ النفطيةِ، وعدمِ
وضعه تحتَ رحمةِ سلعةٍ واحدةٍ ناضبةٍ تخططُ
الدولُ العظمى للاستغناءِ عنها مستقبلاً.

ثانياً : ماذا سيحل بنا ؟.

عند إلغاء استخدام الوقود الأحفوري في العراق، سوف تواجه البلاد تحديات وفرصاً جديدةً منها :

سَتَتَأَثَّرُ العديداً من القطاعات في البلاد بشكل كبير، بدءاً من النقل وصولاً إلى الطاقة والاقتصاد. في هذا التحليل، سوف نناقش تأثير الانتقال إلى مصادر طاقة مستدامة على وضع العراق ما بعد إلغاء استخدام الوقود الأحفوري.

١- واحدة من أبرز التحديات التي سيواجهها

العراق بعد إلغاء استخدام الوقود الأحفوري

هي تأمين مصادر طاقة بديلة. حالياً يعتمد

العراق بشكل كبير على النفط والغاز

الطبيعيّ، وبالتالي، سيواجهُ البلدُ صعوبةً في تحويلِ بنيتهِ التحتيةِ وتأمينِ الطاقةِ اللازمةِ للمواطنين.

٢- يجبُ على الحكومةِ الاستثمارُ في تنميةِ مصادرِ الطاقةِ المتجددةِ مثلَ الطاقةِ الشمسيةِ والرياحِ والمائيةِ، وإنشاءً مرافقِ توليدِ الطاقةِ الجديدةِ. وهذا سيساعدُ على تقليلِ اعتمادِ العراقِ على النفطِ والغازِ وتأمينِ إمداداتِ الطاقةِ المستدامةِ للمواطنين.

٣- وبالإضافةِ إلى ذلك، ستفتحُ استخدامُ مصادرِ الطاقةِ المتجددةِ أبواباً جديدةً لتوفيرِ فرصِ العملِ في العراقِ. وهذا يتطلبُ تطويرَ وتشغيلَ محطاتِ توليدِ الطاقةِ المتجددةِ عمالةً ماهرةً،

وسيعزز سوق العمل في البلاد ويقلل من
معدل البطالة.

٤- وعلاوة على ذلك، يمكن للعراق استغلال
إمكاناته الطبيعية الوفيرة مثل أشعة الشمس
الساطعة والرياح العاتية لتوليد الكهرباء
وتصديرها إلى دول أخرى. وهذا سيعزز
الاقتصاد العراقي ويعزز دخل البلاد.

٥- على صعيد آخر، يمكن للاستثمار في الطاقة
المتجددة أن يساهم في حماية البيئة في
العراق. استخدام الوقود الأحفوري يسبب
مشاكل بيئية خطيرة مثل التلوث والتغير
المناخي. بدلاً من ذلك، فإن الاعتماد على
مصادر الطاقة المتجددة يمكن أن يساهم في

تقليل انبعاثات الغازات الدفيئة وتلوث الهواء، مما يحسن جودة الحياة للمواطنين ويحمي البيئة الطبيعية في البلاد.

٦- مع ذلك، يبقى تحقيق الانتقال إلى مصادر الطاقة المتجددة تحديًا كبيرًا بالنسبة للعراق. تحتاج الحكومة إلى القيام بتحديث شبكة الكهرباء وتطوير بنية التحتية لدعم هذا التغيير. يجب أيضًا تطوير سياسات وقوانين لتعزيز الاستثمار في مصادر الطاقة المتجددة وتشجيع الشركات الوطنية والدولية على المشاركة في هذا القطاع الحيوي.

٧- إن الانتقال إلى مصادر الطاقة المستدامة في العراق بعد إلغاء استخدام الوقود الأحفوري

يشكلُ تحديًا كبيرًا وفرصةً لتطویر البلادِ
وتحسينِ وضعِ المواطنين. كما إنَّ تأمينَ
مصادرِ الطاقةِ البديلةِ وتطویرِ البنيةِ التحتيةِ
اللازمةِ سيدعمُ الاقتصادَ المحليَّ ويوفرُ فرصَ
عملٍ جديدةً ويساهمُ في حمايةِ البيئةِ.

٨- في الوقتِ نفسه، تحتاجُ الحكومةُ العراقيةُ
إلى اتخاذِ إجراءاتٍ فوريةٍ لتشجيعِ الاستثمارِ
في مجالِ الطاقةِ المتجددةِ وتحقيقِ التحولِ
اللازمِ نحوَ الاستدامةِ. فقط من خلالِ هذا
الالتزامِ والتنفيذِ الجادِّ، يستطيعُ العراقُ أن
يحققَ مستقبلًا يعتمدُ على الطاقةِ المستدامةِ
ويرفعَ مستوى حياةِ شعبه.

واعتبرَ الأمينُ العامُّ للأممِ المتحدةِ والسياسيُّ
البرتغاليُّ "أنطونيو غوتيريش" (١٩٤٩) أنَّ عصرَ
الوقودِ الأحفوريِّ: "يجبُ أن ينتهي" ... وقال
"غوتيريش" في بيانٍ له: "عصرُ الوقودِ الأحفوريِّ
يجبُ أن ينتهي، ويجبُ أن ينتهي من خلالِ تحقيقِ
العدالةِ والإنصافِ".

ثالثاً: التحويل إلى الاقتصاد المعرفي:

يجبُ على العراقِ الاستفادةُ من مصادرِ الثروة
الأخرى مثلَ الطاقةِ المتجددة، والزراعة،
والسياحةِ الدينيةِ والإثارية، والتعدين،
والتكنولوجيا ينبغي أيضاً تحسينَ البيئةِ
الاستثماريةِ وتقديمِ الدعمِ للشركاتِ الصغيرةِ

والمتوسطة. أضف إلى ذلك التحديات

الاقتصادية:

• الفساد واستغلال الموارد.

• ضعف البنية التحتية والخدمات العامة.

• سوء إدارة الاقتصاد وقلّة الشفافية في العمليات

المالية.

• تفشي البطالة وعدم توفير فرص العمل الكافية

للشباب.

• تحقيق التنمية المستدامة من خلال استثمارات

في البنية التحتية، وتطوير الصناعات غير

النفطية.

• تعزيز التعليم وتدريب الكوادر العراقية لتطوير

مهاراتها الفنية والمهنية.

• تعزيزُ السياحةِ وتطويرُ المناطقِ السياحيةِ في

العراقِ لزيادةِ الدخلِ السياحيِّ.

• تشجيعُ المشاركةِ الفاعلةِ لمنظماتِ المجتمعِ

المدنيِّ وإدماجها في مبادراتِ العملِ المناخيِّ، من

خلالِ تمكينِ الأفرادِ في اتِّباعِ ممارساتِ مستدامةٍ

في إطارِ جهودِ الحفاظِ على البيئةِ على مستوى

القاعدةِ الشعبيةِ.

• تعزيزُ المشاريعِ المجتمعيةِ التي تتصدى لتحدياتِ

الأزمةِ المناخيةِ، وبناءً القدرةِ على التكيفِ، وتعزيزُ

الشعورِ بالمسؤوليةِ الجماعيةِ عن البيئةِ.

• على القادةِ الدينيَّةِ أن يفسحوا المجالَ أمامَ

الجهاتِ الفاعلةِ للاستفادةِ من منصاتهم كمنابرٍ،

وأن يدعوا إلى التحوُّلِ العادلِ إلى مصادرِ الطاقةِ

المتجددة والدفاع عن حقوق الأشخاص الأكثر عرضةً لآثار تغير المناخ (بما في ذلك الشباب والنساء والأطفال والفئات الفقيرة).

رابعاً: الطاقة المتجددة وفرص العمل الجديدة

كلُّ دولارٍ يُستثمرُ في أصول الطاقة المتجددة سوف يُنتجُ ثلاثة أضعافِ الوظائفِ المستحدثة في قطاعِ الوقودِ الأحفوريِّ، وتَتَوَقَّعُ الوكالةُ الدوليةُ للطاقة أن يفضي التحولُ إلى صافي انبعاثاتٍ صفريةٍ إلى زيادةٍ عامةٍ في وظائفِ قطاعِ الطاقة.

في حين يمكنُ فقدانُ حوالي ٥ ملايين وظيفةٍ في مجالِ إنتاجِ الوقودِ الأحفوريِّ بحلولِ عامِ ٢٠٣٠، سيتمُّ استحداثُ حوالي ١٤ مليون وظيفةٍ جديدةٍ

في مجال الطاقة النظيفة، أي كسبُ تسع ملايين
وظيفة.

بالإضافة إلى ذلك، ستتطلبُ الصناعاتُ المتعلقةُ
بالطاقة ١٦ مليون عاملٍ إضافيٍّ، على سبيلِ المثالِ
لتسوية أدوارٍ جديدةٍ في تصنيعِ السياراتِ
الكهربائيةِ، والأجهزةِ عاليةِ الكفاءةِ، أو في
التكنولوجياتِ المبتكرةِ مثلَ الهيدروجين. وهذا
يعني أنه يمكنُ خلقُ أكثرَ من ٣٠ مليون وظيفةٍ في
مجالاتِ الطاقةِ النظيفةِ والكفاءةِ
والتكنولوجياتِ قليلةِ الانبعاثاتِ بحلولِ عامِ
٢٠٣٠.

سيكونُ تحقيقُ تحولٍ عادلٍ ووضعُ احتياجاتِ
الناسِ وحقوقهم في صميمِ التحولِ الكبيرِ أمرًا

بالغ الأهمية لضمان عدم تخلف أحد عن الركب
لطاقمة المتجددة وفرص المجهود العصرية.

خامساً: الذكاء الاصطناعي والبتروك

في العقود الماضية، شهدت التكنولوجيا تطوراً
كبيراً جعل الذكاء الاصطناعي (AI) واحداً من أبرز
الابتكارات التكنولوجية في العصر الحالي.

يستخدم الذكاء الاصطناعي نماذج رياضية
ومجموعات بيانات هائلة لاكتساب المعرفة
واتخاذ القرارات، ويقوم بتنفيذ المهام المعقدة
والمتجددة بشكل أكثر كفاءة من الإنسان، وبفضل
استخدامه الشامل في مجموعة واسعة من
الصناعات.

ومن بين العديد من الشواهد التي تدعم فوائده
الذكاء الاصطناعي، هناك نقطة تتصل باستخدام
النفط. فالنفط عبارة عن مصدر للطاقة غير
متجدد ويسبب التلوث البيئي بشكل كبير، علاوة
على ذلك، تعتمد العديد من الصناعات على
النفط ومنتجاته، مما يجعله ضرورياً وصعب
الاستغناء عنه.

ومع ذلك، يمكن أن يؤدي تقدم التكنولوجيا
وتطور الذكاء الاصطناعي إلى تخفيف الاعتماد
على النفط وتلغي استخدامه بشكل جزئي أو حتى
كلي.

أحد التطبيقات المباشرة للذكاء الاصطناعي التي
تؤدي إلى تخفيض استخدام النفط هو في مجال

النقل. فالنفط يُستخدمُ في وقودِ السياراتِ والشاحناتِ التي تعتمدُ على الحركةِ بالاحتراقِ الداخلي، ومع ذلك، يتمُّ تطويرُ العديدِ من تقنياتِ النقلِ الصديقةِ للبيئةِ بفضْلِ الذكاءِ الاصطناعي، مثل السياراتِ الكهربائيةِ.

تستخدمُ هذه السياراتُ بطارياتٍ قابلةً لإعادةِ الشحنِ بدلاً من الوقودِ التقليدي، مما يقللُ استهلاكَ النفطِ وانبعاثاتِ غازاتِ الاحتباسِ الحراري.

بالإضافةِ إلى ذلك، يمكنُ استخدامِ الذكاءِ الاصطناعيِّ في تطويرِ نظمِ النقلِ العامِ الذكيِّ وتحسينِ تدفقِ الحركةِ المرورية، مما يؤدي إلى

تقليل الاحتياجات الوقودية ووقوع الازدحام
المروري.

علاوةً على ذلك، يمكن أيضاً استخدام الذكاء
الاصطناعي في صناعة الطاقة، وهنا نذكر مجال
الطاقة المتجددة. فالتكنولوجيا الحالية تعتمد
بشكل كبير على مصادر الطاقة غير المتجددة مثل
الفحم والنفط والغاز الطبيعي.

ومع ذلك، يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي
لتعزيز استفادتنا من مصادر الطاقة المتجددة
بشكل أفضل وأكثر كفاءة، ويمكن للذكاء
الاصطناعي مساعدة الشبكات الكهربائية في
تحديد الطلب الفعلي على الطاقة وتنظيم

استخدامها، مما يقلل من هدر الطاقة والحاجة إلى استخدام مصادر الطاقة غير المتجددة.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يسهم الذكاء الاصطناعي في تجاوز استخدام النفط في مجالات أخرى مثل صناعة الإلكترونيات والتكنولوجيا الرقمية. فجميع هذه الصناعات تستهلك كميات كبيرة من الطاقة، والتي غالباً ما تكون مشتقة من النفط، سواء كان ذلك في إنتاج الكهرباء المستخدمة أو في الإنتاج الذاتي لتلك المنتجات.

ومع ذلك، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يدعم تقنيات أكثر كفاءة في استخدام الطاقة وإنتاج المنتجات بشكل أكثر ذكاءً، عن طريق تحسين التصميم والإنتاج والاستخدام.

على الرغم من الفوائد المحتملة في تقليل استخدام النفط، يجب أيضاً أن ننظر إلى بعض التحديات المصاحبة للاعتماد الشامل على الذكاء الاصطناعي لإلغاء استخدام النفط. قد يشكك استخدام الذكاء الاصطناعي في بعض الصناعات تكلفة عالية، وربما يكون بحاجة إلى بنية تحتية واسعة النطاق ليتم تنفيذها بشكل فعال، بالإضافة إلى ذلك، لا يمكن الاستغناء عن النفط في كل الصناعات، مثل الصناعات الكيماوية التي تعتمد بشكل كبير على النفط في إنتاجها.

الخلاصة:

تواجه العراق تحدياتٍ اقتصاديةً بالغةً بسببِ اعتمادهِ المتطرفِ على النفط، ومن خلالِ المصادرِ المتاحةِ الأخرى وتنويعِ الاقتصاد، يمكنُ للعراقِ أن يحظى بفرصٍ جديدةٍ ويتحققَ من التنميةِ المستدامة. إن تحقيقَ هذا التحولِ يتطلبُ تحسينَ الإدارةِ الاقتصاديةِ ومكافحةَ الفساد، إلى جانبِ توفيرِ البيئةِ الملائمةِ للاستثمارِ وتعزيزِ البنيةِ التحتيةِ وتوفيرِ فرصِ العملِ الكافيةِ للشباب.

بعد أن توقفَ راشدٌ عن الزراعةِ وصيدِ الأسماكِ بسببِ جفافِ الأهوارِ وشحِّ المياهِ القادمةِ إلينا من تركيا وإيران وسوريا، سوف يتوقفُ الدكتورُ علي

العلاق عن بيع الدولار في سوق العملة وتتوقفُ
النافذة الواحدة، ويتوقفُ معها أكثر من ٨٠
مصرفاً، ومئات شركات التوسطِ ببيع وشراء
العملات الأجنبية في بغداد والمحافظات، ومكاتبُ
الصيرفة التي تتعاملُ بالدولار. وهذا ما يضردول
الجوار التي تعتاشُ على الدولار العراقي، نتيجة
توقفِ نشاطِ شبكاتِ التهريبِ والمضاربة.

على الرغم من تكتمِ البنك المركزي العراقي على
أسماء بعض المصارف المشاركة بمزاد بيع العملة
الأجنبية، وسط اتهامات ومعلومات عن هيمنة
مصارف معينة على مزاد بيع العملة دون غيرها.

بالإضافة إلى توقف العمل بتمويل البطاقة
التمويلية المدعومة حكوميّاً، كذلك رواتبُ

الحماية الاجتماعية لأكثر من ٧ مليون شخص،
على شكل رواتب مالية ومعونات شهرية للعاطلين
عن العمل والأرامل والأيتام، علمًا أن الراتب
الواحد لا يزيد عن ١٨٠ ألف دينار عراقي (نحو
١٢٠ دولارًا).

وبالتالي يضرعُ المستوى المعيشي للمواطنين،
ويتوقف السفر إلى إيران وسوريا. ومعها يتوقف
حج حسوني عن نشر إعلاناته على صفحته في
الفايس بوك، والتي يدعو فيها الناس إلى قضاء
أمتع الأوقات في ربوع دمشق وشيراز وأصفهان.
وبالتالي لا يوجد من يسافر إلى إيران لغرض
السياحة وتلقي العلاج، إلا ما ندر. فيتوقف
أطبائهم ومطاعمهم وفنادقهم والأدلاء الطبيون

والسياحيون و مترجموهم عن العمل، بما فهم أمُّ علي المياحي، ورؤيا، والعلوية شيرين، والست مينو.

رئيسُ سنغافورة لي كوان يو، يومَ ٩ أغسطس سنة ١٩٦٥، كان يبكي حزناً لاستقلال بلاده بعد ما قررت ماليزيا أن تفصل سنغافورة عنها بحجة أنها عالية. ولم يستطع حتى توفير الماء لبلاده، ووصفت في حينه بأنها من أخطر الأماكن في العالم بسبب الفلتان الأمني المروع الذي نتج عن هذا الفساد، وباتت تشتهر بكثرة الجرائم، وباتت سكانها عرضةً للنهب والسرقات. والآن تُصنّف سنغافورة على أنها من أعلى المدن رواتباً.

٤١. الرمي العشوائي في العراق الجديد :

إطلاق العيارات النارية في الهواء ظاهرة سلبية غير حضارية وبربرية متوحشة، لا يسلكها إلا الشعب المتخلف عقلياً ونفسياً، الذي يعاني من أمراض نفسية مزمنة مركبة. وقد يُبرّرها البعض بكونها تاريخية متأصلة في عشائرية وقبلية الفرد العراقي، حينما كان الفرد يُعلن بإطلاقاته النارية لكي يسمع أفراد العشيرة بالنبأ المفرح والمحزن، لعدم وجود وسائل التواصل.

لكن اليوم، توفرت وسائل التواصل الاجتماعي بأنواعها المتعددة، مما يرفض هذا التبرير غير المبرر والباطل.

والعجيبُ أن تكونَ هذه الممارساتُ الباطلةُ في إطلاقِ الرصاصِ الحيِّ في المناسباتِ المفرحةِ والحزينةِ، وعجيبٌ أيضاً أن تُطلقَ في مولدِ الإنسانِ، ويُطلقُ له النارَ عندما يُختنُ، وعندما يموتُ يُطلقُ وراءَ جنازتهِ النارَ، وعندما ينجحُ في البكالوريا يُطلقُ له النارَ.

تتعقّدُ الأمورُ أكثرَ عندما تتزامنُ مع استخدامِ مفرقاتِ الألعابِ الناريةِ الصوتيةِ، حينها يمتطرونَ السماءَ بوابلٍ من رشاشاتهم الأتوماتيكيةِ، وربما تكونُ بأسلحةٍ متوسطةٍ في جنوبِ العراقِ وقراهُ وأهوارهِ.

الشعبُ العراقيُّ يرفضُ أن يُحكَمَ أصلاً، وهو من يعشقُ الفلتانَ الأمنيَّ، وصاحبُ ممارسةِ الحواسمِ

الخصوصية الاستلابية. أليس هو صاحب هوسه

“**حلو الفرهود كون يصير يومية**”؟ فنزعة التخريب

واللصوصية والعدوانية متجذرة في أعماق

اللاوعي للفرد العراقي، ذكرتُ هذا الحديث المؤلم

لي نخبة من أرقى باحثي علم الاجتماع والتاريخ،

مثل الدكتور الأكاديمي والباحث علي الوردی،

والمؤرخ المغربي ابن خلدون، والدكتور الأكاديمي

عبد الرزاق الحسيني، والبعض كان عندما يصير

عنده مولود يسميه - **فرهود** - بدلاً من عبد الله،

عبد الرزاق، عبد الفتاح.

وتؤدي النتائج السلبية لهذه الأعمال إلى العديد

من التداعيات الخطيرة، بما في ذلك فقدان أرواح

الأبرياء وحدثت إعاقة دائمة في أجسادهم، علاوةً

على ذلك، فإنّ هذه الأعمال تتسببُ في تهديدِ حياةِ المواطنين الأبرياء والأطفالِ، مما يعرضُهم للخطرِ.

ينبغي التأكيدُ على هكذا تصرفاتٍ غيرَ شرعيةٍ وخاطئةٍ تتعارضُ مع المبادئِ والقيمِ الدينية، فقد ذُكرَ في الكتابِ السماويِّ في سورة المائدةِ الآيةِ ٣٢ "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا"، كما جاءَ في حديثِ نبويٍّ "لا يجوزُ ترويعُ المسلمين"، وهذه الأعمالُ تزرعُ الرعبَ والخوفَ في قلوبِ الأطفالِ والنساءِ والمواطنينِ.

وتعدُّ هذه الأفعالُ إهانةً للنظامِ القانونيِّ الإلهيِّ والإنسانيِّ وتشويهًا لسمعةِ الدولةِ والأمنِ الوطنيِّ، وهي حربٌ على سلامةِ الأشخاصِ الأبرياءِ.

عند تزامن هذه الأعمال مع إطلاق الألعاب النارية، ينتج تلوث ضوئي يزيد من إرهاق الأشخاص وتأثيرهم السمي. كما يزيد أيضاً من آثار المطر الحمضي التي تتسبب في تدمير الممتلكات. لقد باتت الجهات الأمنية متقاعسة في التصدي لهذه الأعمال، بينما يُعتبرها رجال القانون والقضاء في الأردن جريمة قتل وقد وضعوا لها قوانين صارمة تنص على السجن والغرامة، أما في اليمن، فإنهم يعتقلون العريس عند إطلاقه النار في حفل زفافه.

الحل / التراخي مرفوض من أجل إرضاء غرور بعض المستهترين والمتهورين، إذ حانت ساعة الخلاص والحل بإصدار وثيقة شريفة قانونية

اجتماعية رادعة بالسجن أو الغرامة أو في الاثنين
معاً، وتشدد في حالات حدوث ضحايا بإصدار
إدانة الجرم، وتدرّسها في التطبيق تدريجياً
ليعكس الوجه التربوي وليس الوجه الانتقامي
الشرطي.

وأن القانون وتدخل الأمن ليست كافية إلا في
تعقيد الأيدي بشكل جماعي في تثقيف الشعب
وتوعيته بمخاطر هذا السلوك الخاطي، ومشاركة
وزارة التربية في تدريسه في المناهج الدراسية،
ويكون الكتاب في الصحف المحلية والخطباء في
المساجد ووسائل الإعلام بجميع أشكالها
مشاركين.

٤٢- نحن..... والأردن

المقدمة :

تُعتبرُ المملكةُ الأردنية الهاشميةُ واحدةً من الدولِ
الشامخةِ في منطقةِ الشرقِ الأوسطِ، حيثُ تميَّزُ
بموقعِها الاستراتيجيِّ، وطابعِها الثقافيِّ العريقِ،
ومساحتِها الجغرافيةِ المتنوعةِ، واقتصادِها
المتنوعِ والنامي. يهدفُ هذا المقالُ إلى استكشافِ
وتحليلِ عناصرِ الأردنِّ المختلفةِ، بما في ذلكِ
موقعِها الجغرافيِّ، ونفسيةِ شعبيها، ومساحتِها
الجغرافيةِ، واقتصادِها، وذلكِ بهدفِ فهمِ دورِها
الحاليِّ ومستقبلِها المحتملِ.

الموقع الجغرافي :

تَقَعُ المملكةُ الأردنية الهاشميةُ في قلبِ الشرقِ الأوسطِ، حيثُ تُحَدُّها السعوديةُ من الجنوبِ، وسوريا من الشمالِ، والعراقُ من الشمالِ الشرقيِّ، وفلسطينُ من الغربِ، مما يمنحُها موقعًا استراتيجيًا هامًا. تَتَمَيَّزُ الأردنُّ بموقعِها الجغرافيِّ كجسرٍ رئيسيٍّ بين بلادِ الشامِ وجنوبِ العراقِ وشمالِ الجزيرة العربيةِ، مما يجعلُها مَحَطَّةً للتجارةِ والتبادلِ الثقافيِّ منذ العصورِ القديمةِ.

النفسية والثقافة :

تَتَسَمُّ النفسيةُ الأردنيةُ بالكرمِ والضيافةِ، حيثُ يُعْتَبَرُ استقبالُ الضيوفِ من قيمِ المجتمعِ الأردنيِّ. كما تُعَدُّ الأسرةُ والعلاقاتُ الاجتماعيةُ مُهمَّةً لدى

الأردنيين، ويحتفظون بتقاليدهم وثقافتهم على مرّ
العصور، مما يجعلها واحدة من الوجهات
السياحية المفضّلة في المنطقة.

المساحة :

تبلغ مساحة المملكة الأردنية الهاشمية حوالي
٨٩,٣٤٢ كيلومتراً مربعاً، مما يجعلها واحدة من
الدول الصغيرة في المنطقة، تتنوع المساحة
الجغرافية للأردن ما بين السهول الواسعة،
والجبال الشاهقة، والوديان الخصبة، والبحيرات
الطبيعية الخلابة، مما يجعلها وجهةً سياحيةً
متميزةً.

الاقتصاد:

يعتمد اقتصاد الأردن بشكل أساسي على الخدمات، وتحديدًا قطاع السياحة والضيافة، والصناعة، والزراعة، تواجهه الأردن تحديات اقتصادية مثل ارتفاع معدل البطالة ونقص الموارد المائية، إلا أنها تعمل على تعزيز قطاعات الابتكار والتكنولوجيا لتعزيز النمو الاقتصادي.

العراق والأردن الشقيق :

عدد سُكَّانِ العراقِ ومساحتهُ أكبرُ بـ ٤ إلى ٥ مراتٍ من عددِ سُكَّانِ ومساحةِ الأردنِّ، ويشتركُ البلدانِ بحدودٍ طويلةٍ تُقدَّرُ بـ ١٨١ كيلومترًا. وهذا يعني أن أيَّ مشاكلٍ في العراقِ لها انعكاساتٌ على الوضعِ الأمنيِّ والاقتصاديِّ في الأردنِّ. أما الشيعةُ في

العراق فهم أغلبية السُّكَّانِ والحُكَّامُ الرسميّون
والفعليّون للبلادِ منذ عقدين، وكانوا المكوّنَ
الأساسيّ في تشكيلِ الحكوماتِ في بغدادَ منذ عامِ
/٢٠٠٣. هذا يعني أن أيةَ علاقاتٍ مع العراقِ هي
علاقاتٌ مع الشيعةِ، وهذا ما يدركُهُ العاهلُ
الأردنيُّ الذي كان أولَ رئيسٍ دولةٍ عربيٍّ يزورُ
العراقَ بعد سقوطِ نظامِ صدامَ حسينَ المجيدِ
عامَ /٢٠٠٣.

أولاً: الجانب الأمني

الأردنُ لديها مصالحٌ كثيرةٌ مع العراقِ. من الناحيةِ
الأمنيةِ، يُعتبرُ الإرهابيونَ الموالونَ لِداعشَ هم
الخطرُ الرئيسيُّ الذي يهددُ استقرارَ الدولةِ
الأردنيةِ. كان أبو مصعب الزرقاوي، زعيمُ

الجهاديين المتطرفين والمؤسّسُ الفعليُّ لداعش،
من حملة الجنسية الأردنية، وسعى إلى الإطاحة
بالحكومة الأردنية، وفي الوقت نفسه شنّ هجماتٍ
إرهابيةً وحشيةً ضدّ العراقيين.

هذا جعلَ حكومة بغداد، التي يقودها الشيعةُ
والمدعومةُ من الولايات المتحدة، حليفًا طبيعيًا
للأردنِ ضدّ الجهاديين. لهذا السبب، ساعدتِ
الأردنُ الولايات المتحدةَ في تدريبِ قواتِ الأمنِ
العراقيةِ ووقّعت عدةَ اتفاقياتٍ أمنيةً مع العراق.

لقد خدم ذلك مصلحتين للأردن :

الأولى : دعمُ العراقِ ضدّ الجهاديين الذين
يُشكلون تهديدًا مشتركًا لكلا البلدين.

الثانية : دعمُ الجهودِ الأمريكيةِ في العراق، وهو ما يخدمُ الأردنَّ في علاقاتها مع واشنطن التي تسعى عمانُ إلى كسبها في القضيةِ الفلسطينية التي تُعتبرُ أساسيةً بالنسبةِ للأردنِّ.

أما بالنسبةِ للمعارضةِ السورية، فلا يعني أنها ستلقى دعمًا مجانيًا فقط بسبب المذهبِ الدينيِّ الذي تنتمي إليه. إذا كانت الحكومةُ التي يقودها الشيعةُ في العراقَ شريكًا آمنياً و اقتصادياً للأردن، فماذا تكونُ المعارضةُ السورية؟.

في أحسن الأحوال، كانت المعارضةُ السوريةُ تحاربُ ضدَّ بعضِ الجماعاتِ الإرهابيةِ مثل داعشَ، ولكن في أسوأ الأحوالِ كانت فصائلُ من المعارضةِ نفسها تُهيمنُ عليها الجهاديونُ

المتطرفون مثل جبهة النصرة وجيش الإسلام
وفيلق الرحمن وغيرها.

لم تكن الأردن داعماً للمعارضة السورية بسبب
علاقتها القوية مع نظام (بشار الأسد) قبل عام /
٢٠١١ والمخاطر الأمنية والاقتصادية التي كان لها
تداعيات على الوضع الأردني. وكان ضغط الدول
الداعمة للمعارضة مثل السعودية هو الذي دفع
الأردن للتورط بها، إلا أنها عملت على تحسين
علاقتها مع دمشق بمجرد أن رفعت السعودية
يدها عن المعارضة. بمعنى آخر، كانت علاقة
الأردن مع المعارضة مجرد تكتيك لاسترضاء
الرياض ولا تمثل وجهة النظر الأردنية الحقيقية.

ثانياً: المصالح الاقتصادية والسياسية

أما من الناحية الاقتصادية، فالعراق هو من أكبر منتجي النفط، وعلاقات أفضل مع حكومته تُخدم المصالح الاقتصادية للأردن، ولتقليل اعتماد عمان على مساعدات دول الخليج العربي، بينما يساعد ذلك بغداد في تصدير نفطها من طرق مختلفة وتجنب الاعتماد على طريق مضيق هرمز في الخليج. ويساعد العراق أيضاً في الابتعاد عن تهديد إيران التي تعتمد الابتزاز في منطقة الخليج وتهدد بعرقلة الملاحة وإغلاق مضيق هرمز.

حينما هددت إيران بغلق مضيق هرمز في تموز، يوليو/ ٢٠١٢، ردّ المتحدث باسم الحكومة العراقية بأن ذلك سيضر العراق، وطلب من

إيرانَ عدمَ القيامِ بهذه الخطوة. كان هذا في وقتٍ
سعتُ فيه بغدادُ إلى مدِّ أنبوبٍ عبرَ الأردن لتصديرِ
نفطِها بالاتجاهِ الآخر.

المصالحُ الاقتصاديةُ والسياسيةُ بين العراقِ
والأردنِ تُقلُّ بشكلٍ كبيرٍ من أهميةِ الطائفةِ التي
تحكمُ أيَّامَ من البلدين. تاريخياً، كان المذهبُ
الشيوعيُّ يمثلُ الموالينَ للسلالةِ الهاشميةِ التي
ينحدرُ منها الملكُ (عبد الله الثاني)، وكانت الثورةُ
التي قادها رجالُ الدينِ والقبائلِ الشيعيةِ في
العراقِ عامَ / ١٩٢٠ هي التي جاءت بالهاشميينَ
للحكمِ في بغدادَ حينما أعلنَ معظمُ الشيعةِ
ولاءهم لهم. وكان جَدُّ رئيسِ الوزراءِ العراقيِّ

الأسبق (نوري المالكي) هو أحد أولئك الذين

دعموا حكم السلالة الهاشمية في العراق.

الاستنتاج:

تظل المملكة الأردنية الهاشمية دولة مهمة في

منطقة الشرق الأوسط، بفضل موقعها

الاستراتيجي، ونفسيتهما الثقافية القوية،

ومساحتهما الجغرافية المتنوعة، واقتصادها

المتنوع والنامي. ومن المهم أن تواصل الحكومة

الأردنية تعزيز الاستثمارات وتطوير البنية التحتية

لضمان النمو المستدام ورفاهية مواطنيها في

المستقبل.

الخاتمة

لماذا حين نختلف نفترق؟.

يواجه بعضُ الإسلاميين صعوبةً في فرضِ التوصياتِ الدينية، إذ يزعمون أن هذه التوصيات وُضعت فقط لحماية المجتمع. ولكن في سياقٍ تحقيقيٍ تطبقها، فإنهم يُقسّمون المجتمع، يُروّعونّه، ويقتلون من يريدون، باعتبارهم مجاهدين يسعون لإقامة دولة الخلافة، ولبسِ الجلباب، والنهي عن المنكر في سبيلِ الله.

وهناك طائفةٌ أخرى تُجاهد الطائفةَ الأولى لحماية الصراحة من الطعن، وأصحابِ الحق أمواتٌ أيضًا. بينما ترى طائفةٌ ثالثة أن شكلَ العدالة لا

يتحقق إلا في رؤيتها متمثلةً في الإمامة التي أحيها
الأموات في الماضي.

وتستمرُّ المعركة، وتنشغلُ المجتمعات، وتنفقُ
بعضُ الدول الأموال الطائلة لأجل نشر هذه
الانحرافات العقديّة، لتعزيز مذهبها وعاداتها
وتقاليدها الموروثة، والتي بدورها تقوّي كراسي
السلطة والجالسين عليها.

فإذا أردنا التعايش مع الأطراف الأخرى، يجبُ أن
نتقبلهم بعيوبهم. وليس ذلك بكافرٍ عليه اللعنة،
وذاك ملحدٍ لا تجلسوا معه ولا تأخذوا منه.

فإذا كان الاختلافُ يؤدي إلى القطيعة، فأين
يذهبُ الودُّ؟ وإذا كان الاختلافُ يحتاج إلى سنينٍ
حتى تعود المحبةُ من جديد، فأين الفضيلةُ؟ وإذا

كان الاختلافُ يؤدي إلى الهجر، فأين تذهبُ
المحبةُ؟ وإذا كان الاختلافُ يؤدي إلى الأحقاد،
فأين المصدقية، والحبُّ، والعشرةُ؟

نحن جيلٌ نشأ وتربّى وترعرعَ على الحبِّ،
والتسامح، والوفاء، والاحترام، وكلِّ القيمِ النبيلةِ
الجميلة. عاصرنا رجالاً ونساءً لم يعرفوا القراءة
والكتابة، لكنهم أتقنوا علمَ الكلام، ولم يدرسوا
الأدب، ولكنهم علمونا الأدب. لم يدرسوا قوانينَ
الطبيعة وعلمومَ الأحياء، ولكنهم علمونا فنَّ
الحياة.

لم يقرؤوا كتاباً واحداً عن العلاقات، لكنهم
علمونا حسنَ المعاملة والاحترام. لم يدرسوا
الدين، ولكنهم علمونا معنى الإيمان، وعلمونا

الحلال والحرام. لم يدرسوا التخطيط، لكنهم
علمونا بُعد النظر في كلِّ شيء. لم يجرؤ أحدٌ منا
على الكلام بصوتٍ عالٍ في البيت، كنا نحترم الجار
والجار السابع.

انشر الكلمة الطيبة بين أهلك قبل مجتمعتك.
للأسف، تجدُ بعضَ الأشخاص يعاملون الناس
بكلمةٍ طيبةٍ في الشارع ومكان العمل، لكنهم إذا
دخلوا مواقع التواصل الاجتماعي انتقدوا ووبَّخوا
وشتموا وعاملوا الناس بجفافٍ بحجة أنهم
عاملون بكلِّ شيء. فما تعطيه لأهلك من لطفٍ
ولباقة، ضعه في أفراد مجتمعتك، ومدح هذا،
وأشدَّ بعملِ ذاك، وشجِّع آخر، ليكون دخولك
فرحةً لأصحابها.

إهداءً لمن عاش تلك اللحظات الجميلة، وإلى
الجيل الذي ربّانا وهذبنا. حفظ الله من كان منهم
حيًا، والرحمة والمغفرة لمن غادر دنيانا.

نسمات الأدب

المصادر

- كتاب الأب الغني الأب الفقير / روبرت تي- كيو ساكي / مكتبة جرير / الطبعة الأولى ٢٠١٨
- هادي مستوفي / مقاله الأربعين الحسينية... بين المصالح الجيوسياسية والمكاسب الاقتصادية / الأربعاء ٦ أيلول ٢٠٢٣ .
- جريدة الصباح العراقية / العدد ٥٧٦٧ في ٩ ايلول ٢٠٢٣ .
- موقع رصيف ٢٢ في ٦ أيلول / ٢٠٢٣ .
[/https://rasef22.net](https://rasef22.net/)

- موقع ملتقى التنوير والنهضة.

<https://www.facebook.com/groups/٢٠٥٩>

[/٢٣٣٧٤٧٤٤٩٩٥٩](https://www.facebook.com/groups/٢٣٣٧٤٧٤٤٩٩٥٩)

- موقع السيد كمال الحيدري .

[./https://alhaydari.com/ar](https://alhaydari.com/ar)

- قناة الحرة عراق / ماذا وراء أزمة الدولار في

العراق / ٢٣ يناير ٢٠٢٣ .

- صحيفة الشرق / أزمة الدولار في العراق ... ٨ أسئلة

عن المشكلة والحل / أديس جواد ٢٨ يناير ٢٠٢٣ .

- موقع شفق نيوز / موقف إيراني رسمي من أزمة

الدولار في العراق ١٣ / ١ / ٢٠٢٣ .

- صحيفة المثقف / حكومة الإطاريين إيران أو الانتحار/ الكاتب خدرخلات بحزاني ٢٠٢٣/٢/٣.
- صحيفة RUDAW الكردية / ماه و نظام سويقت.. ولماذا فرض على العراق؟ جواد ملكشاهي ٢ شباط ٢٠٢٣.
- قناة RUDAW الفضائية العربية / ١٨ تشرين الثاني ٢٠٢١.
- صحيفة بلدي.... الجمعة ٢٨ يناير ٢٠٢٢.
- جواد غلوم/ عندما تصل عتبة الشيخوخة / صحيفة المثقف الصادرة في أستراليا العدد ٥٨٥٩ في ٢٠ أيلول ٢٠٢٢.

• عبد الجبار العبيدي / بين الحقيقة والخرافة في دولة الإسلام.. جدلية حقيقة نظرية المهدي المنتظر- الحلقة السادسة / موقع كتابات في ١٦ أيلول ٢٣. ٢٠.

• حيدر الموسوي / من سلطان المنبر الحسيني الى باسم دولار.. الرادود الشيعي الأشهر خارج المسير / موقع رصيف ٢٢ في ١٨ أيلول ٢٣. ٢٠.

• تطوير نموذج مقترح قائم على الذكاء الاصطناعي وفاعليته في تنمية مهارات البرمجة لدى طلاب الكلية الجامعية للعلوم والتكنولوجيا بخان يونس / ٢٠٢٠ / رسالة دكتوراه.

• درجة امتلاك معلمات المرحلة الثانوية بمحافظة الخرج السعودية لمهارات توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم، دراسات عربية في التربية وعلم النفس، ع ١١٩، ١١٩-١٥٢ / ٢٠٢٠ / دورية علمية.

• تطبيقات الذكاء الاصطناعي مدخل لتطوير التعليم في ظل تحديات جائحة فيروس كورونا (COVID-١٩)، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، مج ٣، ع ٣٤، ١٧١-٢٤٤ / ٢٠٢٠ / دورية علمية.

• [موقع https://ar.quora.com](https://ar.quora.com) /Quora

● نشرة الخوارزمية من أم أي تي تكنولوجي

ريفيو <https://mail.google.com>.

● موقع فص للمعلومات/ بوابتك لعالم التقنية

[./https://www.faisaltechh.com](https://www.faisaltechh.com)

● بحث... العوامل المؤثرة في تطور اللغة الفارسية /

م. مساعد: اياد محمد حسين / مركز بابل

لدراسات الحضارية والتاريخية.

● مقالة.. نحن وأيران/ عاطف العزي / موقع أيلاف

العدد ٨٢٥٦ في ٥ ديسمبر ٢٠٢٣

● <https://elaph.com/Web/AsdaElaph/٢٠٠٩/>

[.٣/٤١٤٩٩٧.htm](https://elaph.com/Web/AsdaElaph/٢٠٠٩/)

- بحث... إيران في العراق: ما مدى النفوذ/ كرايسز
جروب الشرق الأوسط / التقرير رقم ٣٨, ٢١ أذار
٢٠٠٥.

<https://www.files.ethz.ch/isn/27457/038>

[iran_in_iraq_how_much_influence_arab.](https://www.files.ethz.ch/isn/27457/038/iran_in_iraq_how_much_influence_arab.pdf)

.pdf

- مقالة.. مصالحنا ومصالح أمريكا تقاطع أم تلاق/
واثق الجابري / صحيفة الصباح العراقية، ٥ آب
٢٠١٩. <https://alsabaah.iq/12444-.html>

- Export diversification for economic
growth in oil-dependent economies: The

case of Iraq (Al Chalabi, H. and Khan, M.

((S

Iraq Economic Monitor: Toward Economic •

(Diversification (World Bank

• موقع الجزيرة/ قمة كوب ٢٨ تتوصل الى اتفاق

تأريخي بشأن الوقود الأحفوري/ وكالات/ ١٣ كانون

الأول ٢٣.٢٠

<https://www.aljazeera.net/news/٢٠٢٣/١٢>

./١٣

• موضوع أكبر موقع عربي بالعالم/ ما هو الوقود

الأحفوري؟/ وكيف تشكل؟ / عبيد الخزاعلة، ٢٠

ديسمبر ٢٠٢١. <https://mawdoo3.com>

• موقع الدكتور نبيل المرسومي / أستاذ جامعي.

<https://www.facebook.com/profile.php?i>

[.d=100010534905](https://www.facebook.com/profile.php?i.d=100010534905)



نسمات الأدب

للكاتب

الفهرست

الدوامة الأولى : ماذا جرى بعد ٩ نيسان/٢٠٠٣؟.

الثانية : التفاح مقابل الوقود

الثالثة : الانتخابات العراقية

الرابعة : الشرعية عادت من جديد

الخامسة : المسجد الذي لا يقبل سقف

السادسة : الطبيب والمدرس

السابعة : يهود العراق

الثامنة : قطارة الأمام علي (رض)

التاسعة : ضعف السلطة السياسية

العاشرة : العراق قاتل الغزاة

حادي عشر : من يحب العراق يحب التاريخ

ثاني عشر : الابتلاء الكبير

ثالث عشر : الفاسدون والتبعيون

رابع عشر : من وحي أفكاره

خامس عشر: من ذكريات الماضي القريب

سادس عشر: الصدر يتنازل مرة أخرى

سابع عشر : أسطورة المخلص مقتدى الصدر

ثامن عشر : الوعظ الديني ... الى أين؟.

تاسع عشر : زيارة الأربعين الحسينية

عشرون : من أسباب الاقتتال الشيعي -

الشيعي

أحدى وعشرون : ما لا يدركه الفقيه

أثنان وعشرون : الصحابة والقنبلة المؤقتة

ثلاثة وعشرون : رسالة الى الجيل الجديد وأخرى

الى الجيل القديم

أربعة وعشرون : مظلومية المرأة العراقية والمرأة

الإيرانية .

خمسة وعشرون : مصادر التشريع

سنة وعشرون : ارتفاع سعر الصرف بالدولار

والتغيير المطلوب

سبعة وعشرون : تفعيل الاستثمار مهمة وطنية

ثمانية وعشرون : الدين لدى البعض الرجوع الى

الماضي ومحاربة المحتل

تسعة وعشرون : مكافحة المخدرات في المجتمع

العراقي

ثلاثون : موانع نقد التراث الروائي الموروث

أحدى وثلاثون : كل عام وأنا أنتظر التغيير

أثنان وثلاثون : سدود كردستان العراق ... لماذا؟.

ثلاثة وثلاثون : العراق والكويت .. مشاكل لا

تنتهي.

أربعة وثلاثون : ما هي العمالة المفرطة؟.

خمسة وثلاثون : نحن وفلسطين.

ستة وثلاثون : من أين نأتي بنبوخذ نصر مرة

أخرى؟.

سبعة وثلاثون: أين نحن من الذكاء الاصطناعي؟.

ثمانية وثلاثون : عشرون عاماً من البكاء .

تسعة وثلاثون : العراق وأيران.. هل يمكن

الفراق؟.

أربعون : تحليل لواقع الاقتصادي في العراق بعد

انتهاء الاعتماد على البترول: تحديات وفرص.

أحدى وأربعون : الرمي العشوائي في العراق

الجديد.

أثنان وأربعون : نحن والأردن.

الخاتمة

المصادر والمراجع

فهرست الكتاب



- المؤلف في سطور

- تولد : العراق / محافظة ميسان ١٩٥٣
- دبلوم إدارة / معهد الإدارة بغداد ١٩٧٥
- بكالوريوس تربية لغة انكليزية / كلية التربية الأساسية ميسان ٢٠٠٥
- كاتب مقالات في كثير من الصحف العربية والعراقية، مثل صحيفة الراية القطرية والرؤية الإماراتية وجريدة الزمان العراقية، والكثير من المجلات المتخصصة بالنفط والطاقة، والمجلات الالكترونية وصفحات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك).

- لديه بعض البحوث في مجلة - دراسات اقتصادية

- الصادرة عن بيت الحكمة العراقي - بغداد.

• لديه مؤلفات تخص الإدارة العامة و أفاق

البناء والاستثمار والمشكلات الاجتماعية وهي :

• أ- كتاب / أفكار في الإدارة والقيادة الناجحة.

• ب- كتاب / مواضع النور والظلام في الحياة.

• ج- كتاب / أفاق البناء والاستثمار

الاقتصادي في محافظة ميسان .

• د- كتاب / بعض من حكايات العمر.

• هـ - كتاب / رجال وأربع مدن.

• و- كتاب / بعض من مشكلات المجتمع

العراقي المعاصر.

الصادرة عن مؤسسة ثائر العصامي // بغداد -
شارع المتنبي.

• ز- كتاب مدن في الذاكرة الحية / منشورات
الزمن .. كركوك / العراق .

• ح- كتاب / الحكومات الشيوعية بين الماضي
والحاضر .. الصادر عن المكتبة العربية للنشر
والتوزيع / مصر.

• عضو الاتحاد العالمي للمثقفين العرب.

• عضو تحرير مجلة ثقافتك الصادرة في السويد.

• البريد الإلكتروني: _____

shaker1970.iraq@gmail.com

• حساب الفيس : shakermoshfacebook.com

• رقم الهاتف : ٠٠٩٦٤٧٧٣٢٨٩٦٣٥٣